سحر الدنيا

سلسلة بناء العبد الرباني

مصطفى حسني

إهداء..

إلى والدَيَّ اللذين علَّماني وصبرا عليَّ وسعيا أن أرى الدنيا على حقيقتها.. وألا أسحر بدنيا هى فانية..

إلى والدَيَّ اللذين صبرا على تكاسلي حتى تنبهت أن للكسل سحرًا، إن تماديت بالاستمتاع به فسأتحول لشخص غير مسئول لا يُعتمد عليه..

إلى من تقبلا آرائي وإن كنت مخطئًا، فأوصلا لي أن أتمسك بها لكن دون أن أرفض آراء الآخرين فقط لأنها تختلف معي..

إلى من ظلا ينبهانني ويقفان وراء خطواتي وقراراتي حتى لا أُفتن ببلاء قد مررت به أو بصحبة سوء أتبعها دون أن أفكر، أو أن أستسلم لغضب يدفعني للانتقام لحظ النفس..

إلى من رسَّخا بمعتقدي أن ربي هو من سيهديني.. فيا رب.. ارحمهما كما رباني صغيرًا وكبيرًا..

ما هي سلسلة بناء العبد الرباني؟

الأزمة الحقيقية التي يواجهها عالمنا الإسلامي هي الفهم السليم ثم التطبيق الرحيم للدين الإسلامي العظيم .. فهناك فجوة بين الشريعة الكاملة النقية وبين فهم العقول لمراد الله منها، وكيفية تطبيقها بالشكل الصحيح على واقع العصر الذي نحياه معًا.

وطالما حلمتُ بأن أسهم بما أتعلم من العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية في بناء شخصية مؤمنة تحمل بين جنبيها نفسًا سوية وعقلًا مستنيرًا، نفسًا تصلح أن تكون خليفة الله في الأرض، نفسًا تحب العلم وتحترمه وتبحث عن صفات الله الظاهرة في الكون لتتعرف إليه .. لتتعلق به وتحبه، ثم تنشر هذه الصفات بين الخلق، فترحم برحمة الله، وتعطي بكرم الله، وتسامح كما رأت ربها يعفو ويسامح، نفسًا ترى عمارة الأرض واجبًا لا يقل عن الصلاة التي تقدسها بين يدي ربها.

وهذا مصداق قول الله في آية وصفت المتقين الصادقين:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾. [البقرة : 177]

دين شامل .. عقيدة أثمرت عبادة ظهرت آثارها في رقي معاملة الخلق وبناء الحضارة ..

وهذا هو غاية الهدف والرسالة السامية التي أحملها على كتفي منذ أن بدأت

طريق الدعوة من سنين عديدة، وهو بناء العبد الرباني العابد لسيده ومولاه، المنشغل بعمارة وطنه وأرضه، والمتخلق مع الخلق بأخلاق ربه حتى نعمل بوصية الله الخالدة لنا ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. [آل عمران : 79]

ستجدون في سلسلة بناء العبد الرباني:

- كتبًا تتناول البناء الكامل المتزن لهذا العبد الذي نحلم به.
- كتبًا في بناء العقل السوي المستنير وضبط المفاهيم.
- كتب إصلاح القلب وتأهيله للفهم عن رب العالمين ليظهر ذلك في سلوكيات من يحمل الخير والحق والجمال للخلق.
- كتبًا عن العبادات فهمًا لمعناها، وتعلُّمًا لكيفيتها والسعي لارتقاء الروح بها.
- كتبًا عن المهارات الشخصية وتطوير النفس التي هي أمانة الله لتصبح أكثر فاعلية في الحياة العملية وعمارة الأرض.
- كتب المعاملات بين المسلمين للارتقاء في معاملاتنا بعضنا مع بعض، وتقبُّل الطبيعة البشرية لكلٍّ منا.
- كتبًا عن السيرة النبوية وقصص الأنبياء العظيمة والتي نستوحي منها الطرق العملية للتصرُّف السليم في كافة المواقف التي نتعرض لها في حياتنا اليومية.
- كتبًا عن القرآن الكريم وتعلُّم كيفية فهمه وتدبُّره وتطبيقه بشكل عملي في حياتنا حتى نكون من «أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته».

وأسأل الله أن يمن علينا بالعلم النافع، والرزق الواسع، والقلب الرحيم، والعقل الواعي المستقيم .. وصلِّ اللهم وسلم على راحم المساكين .. والحمد لله رب العالمين.

التعامل مع الدنيا.. كيف؟!

هذا الكتاب هو رحلة، نغوص فيها داخل أعماق النفس البشرية؛ لنتأمل كيف تفاعلت مع رغباتها وشهواتها تجاه متع الدنيا وملذاتها، وهل كانت الدنيا طريقًا لمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ أم أننا فُتنَّا بها، وسحرتنا.... فهيا معي نواجه أنا وأنت أنفسنا، هل نحيا بقلوب يقظة، مراقِبة لله عَزَّوَجَلَّ أم فُتِنَّا بمُتع الدنيا، وأصابتنا الغفلة، فانحرفنا بعيدًا عن مراد الله من هذه الحياة الدنيا؟

أناس على مختلف الألوان والأجناس.. أحداث تتوالى.. أموال وصراعات.. أفراح وأتراح... إنه صخب الدنيا... وأنت أمام خيارين: إما أن تكون ذاكرًا لله تعالى، تستخيره في كل شئونك، وتفوض إليه كل أمورك، وإما أن تنجرف بعيدًا عن ساحل الإيمان، وتنغمس في مغريات الدنيا، فتصير حجابًا بينك وبين الله..

خلق الله تعالى آدم عليه السلام وأسكنه وزوجه الجنة، فلما عصى آدم ربه، أسكنه الأرض؛ لتكون مستقرًا ومتاعًا له ولذريته إلى يوم البعث والحساب، وحذره -جل في علاه- من أن تفتنه الدنيا، فقال تعالى:

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: 185]

أي إنها متعة زائلة فلا تغتروا بها، وقال تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥-١٦]

أي من أراد بعمله الحياة الدنيا، فسوف يوفيهم الله جزاءهم في الدنيا، وفي الآخرة ليس لهم إلا النار؛ لأنهم ما أرادوا بأفعالهم وجه الله، وهؤلاء يقول الله تعالى عنهم:

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٧]

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [القيامة: ٢٠-٢١].

لذا أوصانا رب العالمين أن نبتعد عن هؤلاء الذين شغلتهم الحياة الدنيا عن الآخرة:

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم: ٢٩]

وذكر لنا الحكمة من فتن الدنيا، وما سوف تصير إليه، فقال تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٧-٨]

فـالله ما خلق الدنيا إلا لتكون معبرًا للدار الآخرة، فمن حسُـن عمله في الدنيا، فهـو إلى نعيم سرمدي لا نهاية لـه، ولا يكدره أي منغصات أو ابتـلاءات، فالدنيا دار عمل وابتـلاء، وكل ما عليها من منافع للعباد سيزول بزوال الدنيا، يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]

أما الآخرة فهي دار الحساب والجزاء، ومع ذلك على الإنسان أن يسعى ليصيب السـعادة والغنى والنجاح في الدنيـا، ولكن المهم ألا يغفل عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن يوم الحساب، يقول تعالى:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

هل يُعقل أن يبيع إنسانٌ علاقته بالله من أجل جناح بعوضة؟!

نعم، فهذا وصف نبينا الكريم للدنيا، قال ﷺ:

«لَـوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَـقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[1].

1 رواه الترمذي.

وفي معرض المقارنة بين الدنيا والآخرة يقول ﷺ:

«وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَضَعُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ!»[1].

فهذه الأرض بجبالها وسهولها، وأنهارها وبحارها، وكل ما فيها من حيوانات وزروع وثمار، والسماء بما فيها من نجوم، وأجرام، وطيور تسبح في الفضاء، هذه الدنيا لا تعدو أن تعدل في مُلك الله نصف قطرة ماء! فاحذر أن تُسحر بها، وكن فطِنًا، فلا تعطها أكبر من قدرها.

واعلم أنَّ التحدي الحقيقي الذي يواجه الإنسان هو أن يكون مأمورًا بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ وفي الوقت نفسه مسئولًا عن عمارة الأرض، التي اختارها الله عَزَّوَجَلَّ لتكون دارًا للاختبار والامتحان، وجعلها محفوفة بالفتن والمغريات، قال سيدنا محمد ﷺ:

«إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَة، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ...»[2].

1 رواه مسلم.

2 رواه مسلم.

نعم الدنيا حلوة مزينة، فاحذر أن تغرك، فتغفل عن الآخرة.. يقول النبي ﷺ:

«...مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنيَا عَلَيْكُم كَمَا بُسِطَتْ علَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُم»[1].

فالنفس البشرية تريد حظها من ذلك النعيم، وبها من الرغبات والشهوات ما قد يأخذ بالإنسان -إن لم يكن يقظًا- بعيدًا عن اتباع ما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه.

فكرة سحر الدنيا

كل نعمة في الدنيا أعطاها لك رب العالمين لتلبي احتياجًا ما في نفسك، لكن في ذات النعمة تكمن شهوة ساحرة، هي التي تدفع الإنسان لا لأن يأخذ حظ نفسه منها وفقًا لمراد الله؛ بل يتعدَّى به الأمر فتستحوذ عليه النعمة، ويصير عبدًا لشهوته فيها.. يقول تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤]

1 متفق عليه.

قال المفسرون في تلك الآية إن هذه النعم مباحة للإنسان، لكن الله زين له الحلال منها، وزين له الشيطان الحرام فيها! والشخص المسحور هو الذي استعبده المال، واستعبدته النساء، وانساق وراء شهوات النفس، فأصابه الهم والبأس.

* والناس في تفاعلهم مع نعم الدنيا وشهواتها على ثلاثة مستويات: «المفتون الكافر» وهي أقصى درجات السحر، ثم «المسحور الغافل»، ثم «اليقظ العاقل»:

١ المفتون الكافر «منكر الإله»:

هو شخصٌ أسرف على نفسه، فانساق وراء متع الحياة، يستمتع بها وقتما شاء، وكيفما شاء، رافضًا كل ضوابط الشرع، بل إنه رفض فكرة وجود إله لهذا الكون، يأمره وينهاه؛ فكفر بالله، وعاش للذته وهواه، وقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- هذا الصنف في القرآن فقال:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

٢ المسحور الغافل:

هو شخص يؤمن بالله ورسوله، لكن هناك نعمة ما استحوذت على قلبه، وتعلق بها، فتملكته، وصارت مركزية حياته، فأخذ يسعى لها بكل سبيل، لا يأبه بالحلال أو الحرام، المهم هو إشباع لذته وشهوته فيها ما

أمكنه ذلك، فكأنه صار عبدًا لها بوصف رسول الله ﷺ حين قال:

«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ..»[1].

وقد حُكي عن مالك بن دينار[2] أنه قال: «اتقوا الدنيا فإنها سحَّارة تسحر قلوب العلماء». فحتى العلماء، وهم أقرب الناس إلى الله، وأعرفهم بالله، قد تخطف الدنيا قلوبهم إن لم يكونوا على قدر من اليقظة والحذر من مفاتنها...

وعلى سبيل المثال، الحب بين الرجل والمرأة، ليس أمرًا حرامًا؛ بل ديننا جعل هذا الحب من أرقى العبادات التي تقرب إلى الله، ولكن له ضوابط، إن لم يؤخذ بها ويتم مراعتها ينقلب فتنة تأخذ بالإنسان بعيدًا عن طريق الله، ونذكر هنا امرأة العزيز، التي شُغف قلبها بحب نبي الله يوسف عليه السلام حتى صار أمرها لا يخفى على أحد، يحدثنا القرآن في ذلك:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]

والمسحور لا يستطيع أن يميز بين الحق والباطل؛ لذا كان من دعاء سيدنا أبي

1 رواه ابن ماجه.

2 هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري، من أعلام التابعين، قال الذهبي: «علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين. ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بلغته». ولد في الكوفة وتوفي عام 748م.

بكر الصديق رضي الله عنه: «اللهم أرِنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعَه، وأرِنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابَه»؛ لأن المسحور يرى كل ما يُرضي شهوته حقًّا، وكل ما يحول بينه وبينها باطلًا، فاستعبدته فتن الدنيا، وأفقدته نور البصيرة.

قوم لوط سحرتْهم شهوتهم، فأسرفوا على أنفسهم في ارتكاب الفواحش والزنا، حتى فقدوا لذتها، فانتقلوا يلتمسون في علاقة الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، نوعًا آخر من اللذة تشبع شهوتهم، فقال سيدنا لوط عليه السلام يزجرهم:

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]

فما كان منهم إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا آل لوط من قريتكم، إنهم أناس يتنزهون عن الفواحش، وإتيان الذكور، يقول تعالى:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

وهناك نوع آخر من سحر الغفلة وهو سحر الجاه والسطوة، أن يُحب الإنسان أن تكون له منزلة عالية، وكلمة نافذة، ينقاد له الجميع، ويخضعون لأوامره، فها هو فرعون يرفض ما جاء به موسى ويخاطب قومه قائلًا:

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وجاء في الأثر أن الدنيا تصورت لسيدنا عيسى عليه السلام امرأةً عجوزًا، تتزين بالذهب والفضة، فقال لها: «من أنتِ؟». قالت: «أنا الدنيا». قال: «كم تزوجتِ؟» -أي كم استحوذت من قلوب الناس؟- قالت: «لا أحصيهم عددًا». فلما رآها وحدها قال: «أكلهم تركوكِ؟». قالت: «لا، بل كلهم قتلتُ». أي «فتنتهم حتى أهلكتهم».

والمحرك لكل تلك الشهوات الزائفة هو الشيطان، يقول تعالى:

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]

زين لهم كل فتنة حرام بداخل كل نعمة مباحة، فخطف قلوبهم..

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]

ولما استحوذ عليهم الشيطان نسوا الرجوع إلى الله، والبعث، والحساب..

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]

.. فانشغلوا عن الله بالشهوات، واستحوذت عليهم، فانحرفوا عن طريق الهدى والرشاد.

ويفيق الإنسان من سحر الدنيا بأحد الأمرين: إما بالرسالة تلو الرسالة

تأتيه مـــن الله؛ ليعلمه أنه حاد عن الطريق المســتقيم، فإن أعرض عنها، وأصر على ما هو فيه، يأتيه الأمر الثاني: الموت بشـــدته؛ ليعلم أن الله هو الحق ذو القوة المتين، وأنه كان في غفلة وضلال مبين...

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ١٩-٢٢]

حينها يدرك الإنسان، وهو يُساق إلى المصير المحتوم، أنه كان في غفلة، ويُكشف عنه غطاء الشـــهوات التي أعمت قلبه وبصيرته، ويرى كل ما أنكره من الحقائق في الدنيا واضحًا لا لبس فيه، قال ﷺ:

«لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاء، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي. فَأَقُولُ لَهُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ»[1].

فمهما كان المجتمع الذي أنت فيه منساقًا لأي نوع من الشهوات، فليس هذا مبررًا لأن تخوض فيها، فلن يحمل أحد وزرك عنك يوم القيامة.

٣ اليقظ العاقل:

وهو الشخص الذي استمتع بمتع الدنيا على مراد الله -سبحانه وتعالى- فحقق الاتزان الذي ذكره الله في القرآن:

1 متفق عليه، واللفظ لمسلم.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١]

فأقامـــوا الصلاة، وأخرجوا زكاة أموالهم، وأمروا بكل ما أمر الله به من حقوقه، وحقوق عباده، ونَهوا عن كل ما نهى الله عنه ورســـوله... فمن البدهي أن يعصي ابن آدم، وأن تصيبه الغفلة، لكن اليقظ هو من يستشعر تلك الوحشـــة في قلبه إن حاد عن منهج الله، فيئـــوب إلى خالقه سريعًا، ويســـتغفر مما كان منه؛ لأنه يعلم يقينًا أنه سيقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ ليُسأل عن كل صغيرة وكبيرة.. فيكون حاله حال الصالحين الذين فازوا بمتاع الدارين..

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

منهج الكتاب..

في كل موضوع من موضوعات هذا الكتاب سأتناول نعمة من نعم الله ﷻ وكيف يمكن أن تستغلها وتستمتع بها دون أن تُسحر بها، كما سأخبرك بعلامات المسحور؛ لتسأل نفسك هل أنت هذا الشخص المسحور أم لا، وسأحكي لك قصة مسحور فَتَنَتْه تلك النعمة، لعلك تكون قد عشت تجربة مشابهة من قبل في حياتك، وسأخبرك أيضًا بالعواقب، والثمن الذي يدفعه كل مسحور، حتى تدرك خطورة الأمر، ثم أذكر لك العلاج؛ وكيف تتخلص من هذا السحر، وتحت عنوان مقام اليقظة، سأذكر نموذجًا لشخصية يقظة، لم تُسحر بتلك النعمة، سواء أكانت من التراث الإسلامي القديم أم من حياتنا المعاصرة؛ لتدرك كيف استطاع أناس، على مدار التاريخ قديمًا وحديثًا، أن يستمتعوا بالنعم دون أن تستعبد نفوسهم، وتُسيطر عليهم، وتسحرهم.

انتبه...

لكي تنتفع بهذا الكتاب.. لا بد أن تفتح له قلبك وعقلك، وأن تشعر وكأنني أخاطبك أنت، فالحديث عن الفتن والمعاصي أمر تكرهه النفس؛ لذا ينبغي أن تكون صادقًا مع نفسك، وتواجهها بالعلامات حتى تعرف هل أنت مسحور أم لا، فإن وجدت نفسك كذلك، فخذ القرار بالعلاج فورًا.. واستعن بالله، وجاهد نفسك حتى تتخلص من هذا السحر.

النفس
والشيطان

عَدوَّان لدودان للإنسان لا يزالان به، يدفعانه نحو انتهاك المحارم، والإغراق في الشهوات والملذات حتى يصير عبدًا للدنيا أسيرًا للذاتها ورغباتها.. إنهما النفس والشيطان..

والآن بعد أن أوجزت لك في نقاط مراحل سحر النفس والشيطان، إليك تحليلًا وافيًا لكل مرحلة لتتعرف من خلاله مكانك منها:

أولًا مرحلة التمني

وهي بداية التفات نفس الإنسان لحظِّها من النعم، حظها في أن تمتلك مالًا

يوفر لها حياة كريمة، حظها في أن تحوز منصبًا يحقق لها مكانة في المجتمع، حظها في أن تبحث عمن تهوى وتعشق لتكمل معه مسيرة الحياة.

هذه في الأصل كلها نعم الاستمتاع بها شيء أباحه الله، بل أحبه لنا، غير أننا لا بد ألا ننسى حق الله فيها، وذلك في الحصول عليها أولًا بشكل مشروع، ومن ثَمَّ التمتع بها وفقًا لمراد الله، وحمد الله وشكره عليها.

غير أن بعض الناس يلتفتون إلى غيرهم ممن حصلوا على تلك النعم ولكن عن طريق مُحَرَّم، وتبدأ النفس تُحدِّث صاحبها: لم لا تحصل على ما تريد بدون تلك القيود الصارمة من «افعل ولا تفعل»؟ ومن هنا توشك النفس أن تفتح تلك الملفات، إنها ملفات الشهوات المركبة فينا، والتي ما وضعت تلك القيود الصارمة إلا لنتحكم فيها ونمسك بزمام النفس وشهواتها، فلا تجمح بعيدًا عن مراد الله ﷻ وتنزلق فيما لا يرضيه.

تذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥]

فامضِ في حياتك وليجدك ربك حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك، واقطع تلك الوساوس والتمني بالاستعاذة والذكر، وإلا سقطت في شراك المرحلة الثانية!

ثانيًا مرحلة عقد العزم

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذه المرحلة في قوله:

«.... وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[1].

فهذا الأخير عقد العزم على أنه إن امتلك المال فسينفقه فيما لا يرضي الله!

ويلعب الشيطان في هذه المرحلة دورًا محوريًّا يطلق عليه العلماء «تلبيس إبليس»، ويتمثل ذلك في أمرين رئيسين:

١- تهوين الذنب، فترى أنه لا بأس أن تفعله ولو مرة واحدة فقط ثم تتوب إلى الله بعدها ولا شيء عليك.

٢- أن يجعلك تقارن نفسك بآخرين ممن أباحت لهم أنفسهم ارتكاب الذنب حتى صار الواحد منهم من أصحاب الكبائر، ويوهمك أنك لست مثلهم، بل حالك أحسن بكثير، وتستطيع الإقلاع عن الذنب متى تشاء.

ولكن من طبيعة النفس أنها تشعر بالهيبة من تجربة الشيء الجديد، إلا أن التحفز لأن تعيش تلك المغامرة قد يدفع بها إلى ارتكاب الذنب والتغافل عن العواقب التي قد تنتج عن ذلك.

تذكر قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ

1 رواه الترمذي وأحمد.

سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء ٢٦: ٢٨]، فهذه إرادة الله بك أن يهديك سواء السبيل، ويرشدك إلى طريق الأنبياء والصالحين، يريد -سبحانه وتعالى- أن يتوب عليك وأن يخفف عنك، فماذا تريد أنت؟ تريد أن تعصيه فتتبع خطوات الشيطان، وتنساق وراء أصحاب الشهوات، وتستسلم لرغبات نفسك والملذات، وإذ بك ودون أن تدري تنتقل إلى المرحلة الثالثة.

ثالثًا مرحلة تذوق لذة الحرام

إنها الخطوة الأولى لتذوق تلك اللذة التي تشعر بها مع أول مال تملكه بسهولة من طريق مليء بالشبهات، مع أول لمسة ليد فتاة وأنت تهمس لها بعبارات الحب، لذة الشعور بالقوة عندما تبطش بأحدهم لتظهر شجاعتك أمام الناس، أول سيجارة.. أول كأس تشربها لتتناسى بها همومك.

وفي ذلك يقول علماء النفس إن في المخ مراكز تسمى مراكز التعزيز؛ أي طلب الزيادة، هذه المراكز تنشط عند شعور الإنسان بتلك اللذة المُزيفة، فيحدث -كما يقول العلماء- ارتباط شرطي ما بين هذا الفعل المُحرَّم واللذة، فتدفع المخ إلى طلب المزيد من اللذة التي ارتبطت عنده بهذا الفعل المحرم، ومن هنا تنشأ الرغبة والتعود فيشتاق الإنسان ويسعى ليحقق لنفسه ما تريد، ومرة بعد أخرى ينتقل الإنسان إلى المرحلة الرابعة.

تذكر (١) قول ابن عطاء الله [1] «مِن جهلِ العبد أن يسيء فتؤخر العقوبة فيقول: لو كان هذا إساءة أدب لقطع الإمداد، وأوجب الإبعاد، وقد يقطع المدد من حيث لا تدري، ولو لم يكن إلا منع المزيد، ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد» بمعنى أن الإنسان قد يعصي الله ويتوقع العقوبة فإذا به يجد الإحسان من الله، ومن هنا يُخدع ويظن أنه لم يرتكب إثمًا عظيمًا فيتمادى فيه، غير أن الله لم يحسن إليك إلا ليذكرك بنعمه عليك لعلك تتوب فترجع إليه، كما أنه سبحانه قد يعاقبك دون أن تشعر، كتيسيره لك ارتكاب المعصية فتفعلها المرة بعد المرة.

(٢) دور الشيطان في هذه المرحلة يتمثل في أمور ثلاثة

أولها: تصغير وتحقير الذنب.

ثانيها: تعظيم رحمة الله -وهي بالفعل كبيرة ووسعت كل شيء- غير أن الجمع بين هذين الأمرين -تحقير الذنب وتعظيم رحمة الله- قد يدفعك لارتكاب الذنب.

ثالثها: أن يقذف في قلبك طول الأمل، وأن العمر أمامك طويل وحتمًا لا بد أن تتوب وتقلع عن الذنب في يوم ما، فتجد نفسك مقبلًا على الذنب.

(٣) قول ابن القيم لكي يتوب العبد المذنب لا بد أن يتولد لديه شعور يُنغّص عليه لذة الذنب، إنه شعور الحياء من الله عزوجل فترى نعم الله عليك التي لا تُحصى ولا تُعد، وفي المقابل ترى إسرافك على نفسك وتقصيرك في حقه سبحانه وتعالى.

---

1 ابن عطاء الله: هو ابن عطاء الله السكندري فقيه مالكي وصوفي شاذلي الطريقة.

رابعًا مرحلة الانغماس والتعود

في هـذه المرحلة يكون العبد قد أسرف على نفسـه في ارتكاب المعاصي والذنـوب، وابتعد عن صراط الله المسـتقيم، وهنا تنقسـم النفوس إلى قسـمين: نفس يئسـت من رحمة الله تعالى، وأخرى اتَّكلـت إليها، وأنه سبحانه سـيغفر لها مهما أخطأت أو مهما كان الذنب كبيرًا، وكلاهما على خطأ، وابتعدا بهذين المفهومين عن رب العالمين.

فالأولى أخطأت لأن الله -سبحانه وتعالى- رحمته وسعت كل شيء، قال تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

أما الأخرى فقد أخطأت لأنها اجترأت على محارم الله فانتهكتها بدعوى أن الله سيعفو ويغفر، قال تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

والشـخص المنغمس في المعاصي والذنوب تأتيه لحظات يقظة يود أن يعود إلى الله ﷻ ويقلع عن تلك المعاصي، لكنه يجد نفسـه وقد أرهقتها الذنوب فيشـعر بتثاقل في العبادة.. تثاقل عـن ركعتين توبةً.. تثاقل عن ذكر الله والصلاة على النبي ﷺ.. يشـعر بأنه لن يقبل وأن الوقت لم يَحِنْ

بعدُ للتوبة، ويُحدِّث نفسه أنه لا بد أن يحج بيت الله حتى يتطهر من آثامه فيعود وقد صار مستقيمًا على طاعة الله، لكنه الآن منغمس في المعاصي والذنوب، فليس هذا إذن الوقت المناسب للتوبة.

تذكر قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]، هذه الآية تذكرني بالأب عندما يخطئ ابنه ويثور عليه فيترك البيت، وعندما يهدأ يرجع إلى البيت فإذ بأبيه في انتظار عودته كما هو لم يتغير، ولله المثل الأعلى، فمهما أخطأت وارتكبت من الكبائر فلا تيئس، وعُدْ إلى الله وأقبل عليه، وستجده -سبحانه وتعالى- هو الرحيم العفو المقبل على العصاة، ولتكن على يقين أن من ستر وأنت تحت سقف المعصية لن يفضحك أبدًا وأنت تحت جناح التوبة!

علامات الاغترار بالنفس

عندما تحزن على تفويت الطاعة دون أن تَجبُر ذلك التقصير الذي أحزنك بالإسراع إلى أدائها، فهذا يعني أنك مخدوع في نفسك بسبب انغماسك في المعاصي والشهوات، وهنا يقول ابن عطاء الله:

> «كيف يُشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته؟! أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته؟! أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟!».
>
> ابن عطاء الله

كيف يُشرق قلب وصور تلك الشهوات والمعاصي المنغمس فيها والمسحور بها مطبوعة على قلبه، حاجبة عنه الإحساس بالله عَزَّوَجَلَّ؟ أم كيف يدخل على الله ويستشعر القرب منه والحضور معه وقلبه في حالة جنابة بسبب البعد عن الصراط المستقيم والانغماس في بحر الشهوات والمعاصي؟! فما الحل إذن؟

الحل أن تتذكر قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]

عصوا الله ورسوله وانغمسوا في المعاصي والفواحش حتى قست قلوبهم، فلم تعد تخشع لذكر الله ولا لتلاوة القرآن، وبعد أن حدثنا الله عن حال هؤلاء، قال:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]

فكما أن الله يحيي الأرض بعد موتها بالمطر فتخرج النبات، فكذلك هو القادر -سبحانه- على تليين قلوبهم بعد قسوتها.

فمهما انغمست واعتدت ارتكاب المعاصي فارجع لرب العالمين، واستعذ به من شر نفسك، ومن الشيطان الذي خدعك فجعلك تتمنى وتعقد العزم، ثم دفعك نحو تذوق لذة الحرام والانغماس فيه حتى اعتدته فصرت عبدًا لنفسك أسيرًا لشهواتها، واعلم أنك إذا استسلمت لذلك ربما تصير إلى ما هو أشد جُرمًا، وهو أن يجندك الشيطان لتصبح داعيًا للآخرين لارتكاب الذنوب والمعاصي بعد أن كنت مذنبًا فحسب!

قصة مسحور

سأحكي لك عن شخص مر بمراحل السحر كلها: تمنى، وعقد العزم، وأخذ الخطوة الأولى، فذاق لذة الحرام، وانغمس فيه حتى صار عبدًا له.. إنه «برصيصا» عابد بني إسرائيل..

وقد روى العلماء في كتب التفسير[1] أنه كان هناك عابد في بني إسرائيل، كان

1 جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص296.

يسكن في صومعة له بعيدًا عن الناس عابدًا لله معرضًا عن الدنيا، زاهدًا فيها، وفي أحد الأيام أتاه ثلاثة نفر أرادوا السفر للتجارة وكانت لهم أخت خافوا إن تركوها وحدها أن يصيبها مكروه أو يطمع فيها الماكرون، فطلبوا من ذلك العابد -لما عرفوه عنه من الدين والخُلُقِ- أن يتركوها عنده، فأجاب طلبهم بعد تردد، على أن يقيموا لها مسكنًا بجوار صومعته وانطلقوا إلى سفرهم.

لكن الشيطان كان متربصًا لذلك العابد الزاهد يريد أن يغويه، ووجد الفرصة سانحة له مع وجود تلك الفتاة وقد غاب عنها أهلها، فجاء إليه وأخذ يحدثه لم لا يذهب لينظر إلى تلك الفتاة المسكينة كي يطمئن عليها فهي وديعة استودعها إخوتها عنده فلا بد أن يحفظها ويرعاها، وبالفعل ذهب ونظر إليها ليطمئن عليها ثم عاد إلى صومعته، فجاءه الشيطان في اليوم التالي يوسوس له أن يذهب لها بالطعام والشراب ويسألها إن كانت تريد شيئًا فكان للشيطان ما أراد، وفي اليوم الثالث أتاه الشيطان بفكرة أخرى أن هذه الفتاة مستوحشة وحيدة قد فارقها إخوتها لم لا تذهب إليها فتحدثها قليلًا لتؤنس وحشتها؟ هيا قم إليها فحدثها عن الدار الآخرة وما أعده الله من الثواب للطائعين، وما توعد به من العذاب للعصاة الفاجرين، ثم عد إلى صومعتك.

وهكذا خطوة بعد خطوة وجدناه وقد استسلم لوساوس الشيطان، ودون أن يدري بدأ حب الفتاة يتسلل إلى قلبه شيئًا فشيئًا حتى صار عاشقًا لها متيمًا بها، ولم يستطع أن يكبح جماح نفسه فوقع بها وحملت منه، فهل اكتفى الشيطان بذلك؟ بالطبع لا، لم يكتفِ الشيطان بذلك، بل أخذ

يوسوس له.. ماذا ستفعل الآن أيها العابد الزاهد بعد أن يعود المجاهدون ويروا ما فعلت بأختهم؟ وماذا سيقول عنك الناس بعد أن كنت أعبدهم لله أزهدهم في الدنيا وما فيها، والله لا أرى إلا أن تقتلها وتخبر إخوتها إذا ما عادوا يسألون عنها أنها مرضت ثم ماتت فدفنتَها ودعوتَ لها بالرحمة والمغفرة، وهذا ما حدث بالفعل وصدّقه إخوة الفتاة في زعمه..

لكن الشيطان لم يهنأ بعد، فجاء لكل واحد منهم على حدة في منامه يخبره بحقيقة ما حل بأختهم، فاستيقظوا جميعًا يُحدث كل واحد منهم الآخر بما رآه في نومه، فعادوا إليه ليستيقنوا من هذا الأمر، وفتحوا قبر أختهم فوجدوها بالفعل حاملًا ومقتولة، وهنا لم يتمالك العابد الزاهد نفسه كيف سيخرج من هذا المأزق، فجاءه الشيطان فألقى في نفسه أن اسجد لي وأنا أجد لك مخرجًا مما حلَّ بك، ففعل وسجد للشيطان فقبض الله روحه فمات كافرًا بالله عابدًا للشيطان، ونزل فيه قوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر ١٦].

إن سحر النفس والشيطان ليس له حد، وفتن الدنيا كثيرة؛ لذا كان رسولنا الكريم ﷺ دائم الاستعاذة بالله من فتن المحيا والممات، فلتكن -إذن- مراقبًا لله في كل ما أنعم به عليك، مؤديًا حقه في شكر تلك النعم،

واستعمالها في كل ما يرضيه، وإياك إياك أن تغتر يومًا بنفسك، فتظن أنه يستحيل أن تزل قدمك في أي معصية، فلا حول -أي بُعد- عن ارتكاب المعاصي، ولا قوة على فعل الطاعات إلا بالله سبحانه وتعالى.

الخلاصة

مراحل سحر النفس والشيطان:

- المرحلة الأولى: التمني.
- المرحلة الثانية: عقد العزم.
- المرحلة الثالثة: تذوق لذة الحرام.
- المرحلة الرابعة: الانغماس والتعود.

علامات الاغترار بالنفس:

الحزن على ترك الطاعة مع عدم القيام بها.

BOOKS

مقامات
اليقظة

لعلك تتســاءل وأنت تقرأ عنوان هذا الموضوع عن معنى اليقظة، وما مقاماتها؟ وما العلاقة بينها وبين مضمون هذا الكتاب سحر الدنيا؟

إن الوصول إلى مرتبة اليقظة هو الهدف من هذا الكتاب، فالإنســان اليَقِظ هو الذي لا يريد أن يعيش غافلًا، مســحور القلب بالغرائز، بعيدًا عن رب العالمين؛ ولذا تجده وقد أصبح همه الوحيد وشــغله الشاغل هو أن يرضي الله -سبحانه وتعالى- قدر استطاعته، وأن يعرفه حتى يحبه، فيعبده حق عبادته.

*** وحتى يصل الإنسان لهذه المرتبة لا بد أن يمر بأربعة مقامات أو مراحل**

أولها أن يكون عائدًا، والعائد هو ذلك الشخص المسحور بأي فتنة من فتن الدنيا؛ كالمال أو النساء أو الشهرة... لكنه استفاق من غفلته، وأدرك أنه مسحور، فتاب وعاد إلى الله تعالى.

وأما ثانيهــا فهو أن يكون مريدًا؛ وهو الــذي ذاق حلاوة الطاعة فأراد طريق الله وَوجَّه وجهه إليه وبحث عن سبل الاستقامة.

وثالثهــا أن يكون مجاهدًا، فطريق الاســتقامة ليس ممهــدًا، بل فيه من العقبات ما يســتوجب المجاهدة، فجاهد هوى النفس وإغواء الشيطان، فلــما رأى اللهُ منه الصدق والإخــلاص والمثابرة عــلى الطريق اصطفاه وارتقى به إلى المرحلة الأخيرة وهي مرتبة **المحب المحبوب**.

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠].

وفي هذا الموضوع سنرتقي معًا في هذه المقامات تفصيلًا واحدًا بعد الآخر حتى نصل إلى أعلاها مرتبة وهي «المحبة».

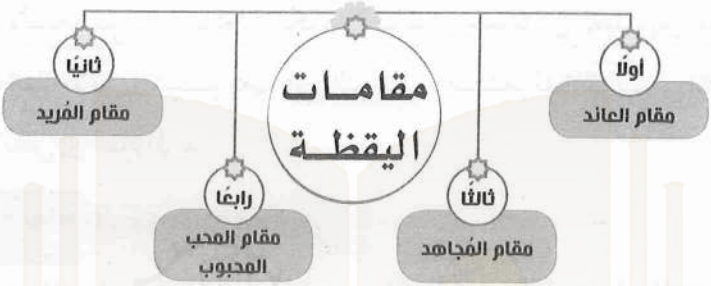

المقام الأول: مقام العائد

هو الذي عاد من ذل المعصية إلى عز الطاعة، فترك ذنبًا كان مصرًّا عليه، وترك نمط حياة بعيدًا فيها عن منهج رب العالمين ورسوله النبي الأمين، ليحيا بدعاء علمه لنا رسولنا الحبيب ﷺ:

«اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»[1].

والمراد بالوجه في الحديث هو القلب الذي يتوجه به إلى الله، فصار متوكلًا عليه، مطمئنًّا إليه، مسلمًا الأمر له، لا يناطح شرعه، غناه في قلبه كما قال ﷺ:

1 متفق عليه.

«لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[1].

لأنــه علم أن الدنيا إما أن تكون بابًــا لله أو حجابًا بين العبد وبين الله، فاختار الأولى وتنسَّــم معها عبير التوحيد، واستشعر لذة القرب من الله، فانتقل إلى مقام المريد.

المقام الثاني: المُريد

هو الذي أراد الله فتوحدت إرادته مع إرادته سبحانه، لم يعد متأرجحًا كما كان من قبل مشــتت الأهواء بين الدنيا والسعي خلف ملذاتها وشهواتها وبين الرغبة في القرب من الله، بل صار يسعى إلى مرضاة الله ويراه في كل شيء، وأصبح شــعاره: «على المُريد ألا يُريد» وسأل نفسه سؤالًا سأله الله في القرآن:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس ٣١: ٣٢]

فعلم أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فكيف يصرف عن عبادته إلى ما سواه؟! ودعا ربه قائلًا:

1 متفق عليه.

«اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلى دِينِكَ»[1]، «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبَ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[2].

فسلك طريق المريد، ولكنه وجد عقبات وشدائد ومهمات، فانتقل إلى ثالث المقامات.

المقام الثالث: المُجاهد

هو من جاهد نفسه وشيطانه حتى يصل إلى الله، فلو أنك أردت السير إلى وِجهة ما ثم وجدت أحدهم يعترض الطريق، فإما أن ترجع، وإما أن تتخذ طريقًا آخر، وإما أن تقاومه لتبعده عن طريقك، فكان الاختيار الثالث هو اختيار المجاهد، فالطريق إلى الله ليس ممهدًا، فهناك الشيطان الذي قال لله:

﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]

ووجد أهواء النفس ورغباتها منها ما هو حلال فتكون إرادة العبد فيها متوحدة مع إرادة الله، ومنها ما لا يرضي الله، فقرر أن يجاهد نفسه والشيطان وأن يستمر في طريقه إلى الله متذكرًا قوله تعالى:

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]

1 رواه الترمذي.

2 رواه مسلم.

فالدنيا عقبة بينه وبين الله، إما أن يجتازها ليصل إليه سبحانه، وإما أن تكون حجابًا يحول بينه وبين معرفة الله، فيُبعث بين يدي الله مفلسًا يوم القيامة.

والمجاهد قرر أن يجدد العهد مع الله كما فعل اثنان وسبعون أنصاريًّا من قبل عندما بايعوا رسول الله ﷺ لينصروا دعوته، فقال أحدهم -هو عبدالله بن رواحة-: فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ فَمَا لَنَا؟ قال: الجَنَّة. قال: رَبِحَ البَيْعُ. قال: لا نُقِيلُ ولا نَسْتَقِيلُ...فنزلت:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١][1]

اشترى الله من المؤمنين والثمن غالٍ..

«...أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّة»[2].

وصار دستور المجاهد في رحلته في السير إلى الله رب العالمين هو «ترك ما يهوى من أجل من يخشى» فعاش لذة الانتصار على شهوته..

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]

1 ابن العربي، أحكام القرآن.
2 رواه الترمذي.

إنها جنة الدنيا، جنة الأنس بالله، وجنة الآخرة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وانتبه أيها المُحِب لربه أن مقام المجاهد فيه الكثير من التضحيات، فكن مستعدًّا لها، كالتضحية بصحبة مسحورة بفتنة من فتن الدنيا قد تأخذ بك بعيدًا عن طريق الله، قال ﷺ:

«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَغَفَ الجِبَالِ[1] ومَوَاقِعَ القَطْرِ[2] يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»[3].

ففي عصور الفتن حين يشعر المسلم بالغربة ولا يأمن على دينه من فتن الزمان، فخير له الاعتزال بنفسه والفرار من الفتن ولو أن يأخذ قطيعًا من الغنم إلى أعلى جبل فيرعاها ويشرب لبنها ويأكل من لحمها، فارًّا بدينه من الفتن، وأنت بالمثل قد تضطر إلى ترك صحبة تدفع بك في طريق الفتن وارتكاب المعاصي، فتجد أحدهم مثلًا في ليلة رأس السنة يدعوك لتشرب الخمر معه، أو لتلهو وترقص وتصاحب الفتيات، فتتركه وتخلو بربك لتصلي ركعتين فيصبح هذا العمل هو رأس مالك الذي يدخلك الجنة كما قال ﷺ:

«العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ[4] كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[5].

1 أي رءوس الجبال.

2 أي بطون الأودية.

3 رواه البخاري.

4 الهرج: المراد به الفتنة واختلاط أمور الناس.

5 رواه مسلم.

وقد تجد نفسك تسعى لشيء من الترفيه والترويح عن النفس، فلا بأس أبدًا ولكن احرص على تلك الصحبة الصالحة الذين يرفهون عن أنفسهم ولكن دون أن يعصوا رب العالمين، فهذه بمثابة عبادة في زمن استبيحت فيه الحُرمات وانتشرت فيه المعاصي والشبهات.

يا أيها المجاهد، يا من تركت ما تهوى من أجل من تخشى، أنت على أعتاب الوصول إلى أعلى مقامات اليقظة.. إنه مقام المحبة.

المقام الرابع: المحب المحبوب

هذا المقام هو ثمرة المجاهدة المستمرة لهوى النفس والشيطان، والسعي الدءوب لمرضاة الله، فيجد الإنسان نفسه وقد اجتباه رب العالمين، وارتقى به ليكون ذلك المحب، إنه العبد الرباني الذي ملأ قلبَه حبُّ الله واستشعر الأنس به، فصار يبحث عنه في كل شيء، تراه يذهب إلى عمله ويحدث نفسه فيقول: ما الذي يحبه الله في العمل؟ فتجيبه نفسه أن الله يحب الحرص على إتقان العمل وفي الوقت نفسه لا ينشغل بالعمل عن أداء الصلاة على وقتها، فصار هذا حاله، يسأل نفسه وهو مقبل على الزواج: ماذا أفعل لأكون زوجًا صالحًا؟ فيتذكر قوله ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله»[1].

1 رواه الترمذي وابن ماجه.

وهي بالمثل تسعى لأن ترضي الله في كل شيء، فتصير الزوجة الصالحة والمربية الفاضلة والمرأة العاملة المعمرة للأرض...

فالمحب إذن هو الباحث عن الله، وشعاره في سيره إلى الله «واشوقاه لمن يراني ولا أراه!» فهو لا يرى بديلًا عن رب العالمين..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾ [المائدة ٥٤]

ذاك هو العبد المحب لله، رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، يجاهد أعداء الله، ولا يخاف أحدًا في ذات الله، تجده يتمسك بالقيم، حريصًا على مكارم الأخلاق، يحيا غريبًا في عالم يفتقر إلى الإيمان الحق ومراعاة حقوق الإنسان، وفي ذلك قال عنه رسول الله ﷺ:

«إِنَّ الإِسْلامَ بدَأَ غريبًا وسَيَعُودُ غريبًا، فطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». قالُوا: يا رسُولَ اللّهِ، ومَنِ الْغُرَبَاءِ؟ قال: «الَّذِينَ يصْلُحُونَ إِذا فسَدَ النَّاسُ»[1].

وفي بعض الآثار أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصدِّيقين: «إن لي عبادًا أحبهم ويحبونني، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إلي وأنظر إليهم، فإن حذوتَ طريقهم أحببتُك، وإن عدلتَ عنهم

1 جامع الأحاديث.

مقتُّك. قال: يا رب، وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا جنَّهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إليَّ أقدامهم، وافترشوا إليَّ وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملقوا إليَّ بإنعامي؛ فبين صارخ وباكٍ، وبين متأوه وشاكٍ، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي، أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم، والثانية لو كانت السماوات السبع والأرَضون السبع وما فيهما من موازينهم لاستقللتها لهم، والثالثة أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه؟ أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟»[1].

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

إنه مقام المُحب الذي باع كل شيء في سبيل رضا رب العالمين..

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

فيشري في اللغة أي «يبيع»، فلما باع نفسه لله رأف الله به، ورحمه، وجزاه خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

والآن بعد أن وعيت مفهوم اليقظة ومقاماتها، سأبدأ الحديث في

1 ذكره الإمام الغزالي في الإحياء.

الفصول القادمة من هذا الكتاب عن نعم الله على العباد، التي بدلًا من أن تكون بابًـا للتعرف على الله، تكون حجابًا بينك وبين الله إذا ما أصبحت أسـيرًا لها، شغوفًا بتحصيلها. فهيا بنا نبحر معًا في أعماق أنفسنا البشرية؛ لنتعلـم كيف نتحكم في أهوائها، ونتفاعل مـع رغباتها، بحيث لا نصير عبيدًا لها، مسحورين بالدنيا، مفتونين بشهواتها.

الخلاصة

من هو الإنسان اليَقِظ؟

هو الذي لا يريد أن يعيش غافلًا، مسحور القلب، بعيدًا عن رب العالميـن؛ ولذا تجده وقد أصبح همه الوحيد وشـغله الشـاغل هو أن يرضي الله -سبحانه وتعالى- وأن يعرفه حق معرفته، فيعبده حق عبادته.

مقامات اليقظة:

- **المقام الأول:** مقام العائد.
- **المقام الثاني:** المُريد.
- **المقام الثالث:** المُجاهد.
- **المقام الرابع:** المُحب المحبوب.

سحر
الحُب

هذا السحر لا يحتاج لمقدمة طويلة؛ لأنك عندما تسير في الشارع ترى آلاف المسحورين به.. التلفاز يشجعك لتكون مسحورًا به.. أصحاب كثيرون لك مسحورون به، ويستغربونك لأنك تقاومه! سحر هذا الموضوع هو سحر الحُب، وهو ينشأ بين اثنين غالبًا ما تكون نواياهما طيبة، يُريدان الزواج، لكن عامل الوقت والمال قد لا يساعدهما فيقرران أن يستمتعا بمشاعر الحُب قبل أن تأتي الخطوات الشرعية فيدخلان في حيرة بين حبهما لبعضهما وحبهما لله!

فكان الحب!

اتفقنا منذ البداية أن من علامات الشخص المسحور أنه ينسى المقصد الذي خلق الله من أجله النعمة، فلماذا خلق الله الحُب؟ لأن الحب شعور قوي جدًّا بين الرجل والمرأة بل هو ألذ شعور في الوجود، يدخل العلاقات فيسمو بها ويطيل مداها، فعندما تتزوج قد تظل ثلاثين أو أربعين عامًا متزوجًا وسط عواصف الحياة والمحن والابتلاءات، تحتاج إلى رابطة قوية تربط بينكما، فكان الحب، وقد خلق الله الحب بهذه القوة؛ كي يكون مناخًا جميلًا للعطاء والتضحية والكرم والتسامح... بداية من علاقتك بالله، هناك فرقٌ كبير بين من يصلي كي يُزيح من على أكتافه التكاليف الشرعية، ومن يُصلي حُبًّا لرب العالمين... فرق كبير بين العلاقة الزوجية -الحميمية- بين الرجل والمرأة عندما تكون بسبب الغريزة الإنسانية، وعندما يدخل عليها الحُب فتسمو وتعلو وتُصبح المتعة التي خلقها الله وفي الوقت نفسه تزيد الحب.

من هو مسحور الحب؟

فالحب هو أجمل شـــعور، ودونه تُصبح العلاقات منطفئة، لكن للأسف الشديد مســـحور الحُب هو الشخص الذي تعجل لحظة الحُب وما يترتب عليـــه من الدخول في علاقة قبل الخطوات الشرعية، فضحّى من أجل هذه اللذة بمســـتقبله، وماضيه، وقيمه، ومبادئه، وعلاقته برب العالمين سبحانه وتعالى... فلنخرج معًا خارج نفوسنا وننظر إليها كيف تتعامل، وهل نحن نحب لكن الله في قلوبنا أكبر من الحب؟ أم أننا فُتنّا وسُحرنا بسحر الحب؟

علامات المسحور بسحر الحُب:

الحب إحساس جميل، وعندما يسألني أحدهم: هل الحب حلال أم حرام؟ أرد عليه بأنه حلال؛ لأن المشكلة ليست في الشعور، لكنها في الأفعال التي تترتب على هذا الشـــعور، المشكلة في طرد حُب الله واستحواذ حُب الآخر على القلب؛ لذلك ســـأخبرك بالعلامات وانظر هل تتصف بهذه العلامات أم لا، وإن كنت كذلك فاسع معنا لتتخلص من هذا السحر.

العلامة الأولى اللذة الوقتية

فتجد من يحبان بعضهما كثيرًا يبحثان عن اللذة الوقتية.. حُب المتعة.. ونحن مُتّفقون أن من يُحبك يخاف عليكِ، لكن عندما تأتي اللذة الوقتية.. لمسة اليد.. النظرة الجميلة.. والأكثر من ذلك، ينسى الخوف عليكِ! لأن جرأته وحُب القرب منكِ يُنسيه أن يخاف على علاقتك بالله وصورتكِ أمام الناس، أو حتى صورتكِ أمامه هو! فيبحث عن اللذة الوقتية وأنتِ بداخلكِ الحنان والرغبة والحُب فقد يدفعكِ كل هذا أيضًا للذة الوقتية.

وللحب طريقان: طريق يحبه الله وصفته البركة والتيسير، خاصة لمن يريدان الزواج، والطريق الآخر رسمه الشيطان وصفته اللذة الوقتية والمتعة الجسدية؛ لذلك علمنا الله في القرآن أنك إن كنت تُريد الحُب فتزوج، وسر في الطريق الصحيح، فقال تعالى للفتيات:

﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]

فإياكِ أن تقعي في الفاحشة، وإياكِ أن تتخذي صاحبًا! وقال للرجال:

﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة:٥]

فتزوج وخفْ على من تحبها، وإياك أن تقع في الفاحشة وتُصاحبها! هذا هو الطريق الذي وصفه الله عَزَّوَجَلَّ ويرضى عنه ويبارك فيه، غير ذلك فأنت تبحث عن اللذة والمتعة الوقتية.

العلامة الثانية ضعف المقاومة

فجرأة الشـــاب في القرب من الفتاة قد تُحدث ضعفًـــا منها في مقاومة قربـــه... علماء النفس يقولون إن لحظات الحب الجميلة تُفرز في الجســـد هرمونًا اســـمه «الأكستوسين»، هذا الهرمون يعطي لذة ونشوة، ويُفرز في ثلاث حالات: لحظات القُرب والحُب، ولحظات العلاقة الجســـدية بين الرجل والمرأة، ولحظة الرضاعة بين الأم وطفلها، وفي كل هذه اللحظات تصدر نشـــوة، كي يكون لدى المُرضعة الحنان وتشـــعر بالســـعادة وهي تُرضع طفلها، وكي تنشأ اللذة في العلاقة الجسدية الزوجية الحلال، لكن هذا الهرمون أيضًا يُفرز أثناء القرب بين المُحبين! ســـواء كانا متزوجين أم لا، فهذا الهرمون عندما يُفرز ويُحدث نشوة في الجسد يطلب مركز التعزيز في المخ تكرار هذا الشـــعور وزيادته؛ لذلك يتولد شعور الشوق، فيتمنى أن يقترب من الفتاة مرة أخرى، وعندما يمســـك يديها يتمنى أن تتكرر هذه اللحظة؛ لذلك قالت الفتاة في الشعر العربي:

سلام على حُب يؤلف بيننا.. يسري في روحي ويجري في دمي

وينسيني ربي ويصبح جنتي.. وأهـــلًا وســـهلًا بعـده بجهنم

فليس مُهمًّا بالنســـبة لهـــا أن تدخل النار، المهم ألا تُكوى بنار الشـــوق والحب، فلســـان حالها يقول: أنا أُريد القرب منك.. أريد أن أسمح لك أن تقترب مني؛ لأن هذا يُعطيها لذة ونشوة.

العلامة الثالثة التبرير

لماذا تتركينه يقترب منكِ؟ لمـــاذا صاحبتيه من البداية؟ وأنتَ ألا تخاف

عليهـا؟ فيكون التبرير: أنا أريد الزواج منهـا، والتبرير الذي تقوله هي أنه يخاف عليها! وأنه سـيصبح زوجها! وأنها لا تفعل ذلك لأن أخلاقها سيئة... بل لأنه هو من ستعيش معه لآخر عمرها، حسنًا فلتتزوجا الآن، لا.. لا نسـتطيع لأننا لا نملك المال، ومازلنا ندرس في الجامعة، حسـنًا فلتبتعـدا عن بعضكما اليوم لأن الله لا يحب ذلك، لا.. لا نسـتطيع!... عندما تجد نفسـك تُخطئ وتبرر خطأك فاعلم أنك مسحور! فأي سحر في الدنيا أكـبر علامة فيه الادعاء بعدم الخطـأ! أو الاعتراف بالخطأ مع الاستسلام له لأن من حولك أيضًا يفعلونه!

لذلك اسـأل نفسـك: أين أنت؟ هل تتمنى أن تحب بعدما شـاهدت مسلسلًا من المسلسلات؟ أم أخذت قرارًا هو أنك عندما تدخل الجامعة ستحب وستصاحب؟ أم تذوقت أول لذة ولمست يد فتاة، وشعرت أنك ملك زمانك وتذوقت أول خطوة وبدأ السحر يسري في قلبك؟ أم أصبح هذا الكلام قديمًا وذهب حُب رب العالمين وأتى حُب آخر وانغمسـت فيه؟ انظر أين أنت من هذه المراحل؟ واسـأل الله أن يأخذ بيدك وينقذك من سحر الحب!

قصة مسحور

فتاة تقول: كنت في الجامعة مع الشباب والبنات، وطلب منّا أستاذنا أن نقوم بمشروع، وكنـا نتقابل معًا في الجامعة ثم نخرج معًا إلى الكافيهات

ونجلس لنفكر في مشروعنا ونرسم ونكتب معًا، وكان بيني وبين شاب استلطاف في بداية الأمر لكنه كان استلطافًا عاديًّا مثلما يحدث بيني وبين أي شاب عادي أراه، ضحكنا معًا وتكلمنا، لكن العلاقة اتخذت منحنى أقوى بعدما كلمني في هاتفي وطلب مني أن يحكي لي شيئًا خاصًّا به.. مشكلة بينه وبين أهله، فتقول: لم أر في حياتي رجلًا ضعيفًا بهذا الشكل ويبكي مثله! ووجدت نفسي تلقائيًّا أريد أن أحتويه وأحنو عليه، وتعودت على مكالماته، كان يتصل بي ويحكي لي الأخبار والجديد دائمًا، بدأت أفرح به، وليكلمني بدأت أحكي له مشكلة بيني وبين صديقتي المقربة، وبدأت تزداد المكالمات بيننا، وبالفعل وقفت إلى جانبه حتى بدأت تنحل مشكلته قليلًا، وطلب مني في يوم أن نخرج معًا بمفردنا، وكانت أول مرة أفعل ذلك في حياتي!

وخرجنا ووجدته يُعطيني هدية بسيطة وقال لي: أُحبكِ! وكنت سأرد عليه فقاطعني وقال لي: لا أريد أن أسمع منكِ ردًّا، كان بداخلي شعور وأردت أن أقوله لكِ! فذهبت وأنا أسعد إنسانة في الدنيا لأن هناك من يهتم بي ويحبني، ثم طلبت منه مقابلته وجلسنا معًا، وتمنيت أن أقول له أحبك ولكن سألته: نحن مازلنا في السنة الأولى في دراستنا، ماذا سنفعل في الوقت المقبل؟ لا أستطيع أن أكمل معك بهذه الطريقة، فأنا لم أتربَّ على هذا! فقال لي: أنا أريد الزواج منكِ ولا أريد أن نقع في الخطأ، فلنبقَ معًا هكذا، وأردت أن أوصل لكِ الشعور الذي بداخلي فقط! وهنا وقعت في حيرة: هل أكمل

في هـذه العلاقة أم لا؟ فهو يُريد الزواج مني ولا يُريد إيذائي. فتقول: دون أن نتحدث اتفقنا أن نتصاحب مثل أي اثنين، وبررت لنا أنفسنا ذلك بأننا نُحب بعضنا ونُريد الزواج لكن نزهاتنا مثل أي اثنين متصاحبين، وبدأت الألفة تزيد، وتُرفع الكُلفة، وبدأ يقترب مني ويمسك بيدي ويلمسني، ولم أستطع أن أقاومه لأني أحبه، ولكني كنت أشعر بالخيانة عندما أقابل أبي ونضحك معًا، وكلما اقترب مني أتذكر الشاب الذي أحبه عندما يقترب مني وأشعر وكأن سكاكين تمزقني، ولكني لم أستطع مقاومة قصة الحب التي بيننا، وكلما قلت له لا تقترب مني هكذا وجدته يقول لي إننا نقترب من بعضنا لنتعارف حتى إذا تزوجنا لم نختلف كثيرًا، هذا تبرير من أي شخص مسحور بالحُب، ثم انقضت السنوات الثلاث وقد تضاعف اقترابنا من بعض، واندفع الولد وتقدم لها قبل أن يُقدم على وظيفة، وعندما تقدم لها رفضه والدها، وصُدما من رفض أبيها، وعرف أبوها أنها تحبه وأنهما يتقابلان فمنعها من الخروج، وقرأت في كتاب اسمه «صدمة الحُب» لروس أن الحبيبين إذا لقي حبهما عائقًا صار أمامهما طريقان: إما أن يشتاقا لبعضهما أكثر، وإما أن ينتحر أحدهما أو ينتحرا معًا.

وهذا ما حدث عندما منعها والدها من الخروج، اشتاقا لبعضهما أكثر، وصارا يتحدثان في الهاتف أكثر، واشتاقت له أكثر فطلب منها أن يتقابلا في المنزل عنده، فأهله مسافرون، وبالفعل خرجت وذهبت له في بيته ونشأت بينهما علاقة جسدية، وتكرر السقوط !!! تقدم لها شباب

للزواج ورفضت الواحد تلو الآخر وهي تعيش مع الشاب الذي تُحبه كالزوجين، وتقدم لها شاب لا يُرفض، فتحكي وتقول: لا أجد فيه سببًا لأرفضه، فوافقت عليه، وهي مازالت تذهب لحبيبها في بيته، وخُطبت لمن تقدم لها، وبدأت خطوات الزواج، وشراء البيت وتجهيزه وهي مازالت مع حبيبها!.. تقول: غدًا يوم زفافي وأمس كنت عنده في حجرة نومه، خسرت كل شيءٍ، لا تستطيع أن تُحب خطيبها الذي يحبها.. فهذه حياة غير سوية، فقدت دنياها... وهناك فتيات كثيرات يمررن بنفس التجربة وشباب كثيرون أجرموا في حق إناث تحت سحر الحب.

عواقب سحر الحب

١ أول ثمن يدفعه المسحور بسحر الحب هو أنه يبيع حُب الله؛ لأن الإنسان الذي يحب لشهوته ويأخذ ويعطي لشهوته يطرد حب الله من قلبه.

٢ ثاني عاقبة هي فساد شعور الحب بسبب الضنك المكتوب على كل معصية، خاصة معاصي الحب، فيفقد الإنسان الثقة في الحب.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]

ومن تعجل بشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وكثرة الحب والعلاقات الكثيرة الحرام ستجعلك فاقدًا للثقة في أن تجد حبًّا حقيقيًّا صادقًا، مثلما نرى شابًّا تجاوز الثلاثين من عمره وليس لديه أي مشكلة في حياته، لكنه ليس

واثقًا في أن يدخل في زواج صادق، فقد الحب، وهذا ذكره الله في القرآن:

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩]

ففسد العمل وضاع الحب.

٣ الثمن الأخير هو صعوبة رد الحقوق يوم القيامة، في الدنيا تستطيع أن ترد الحقوق، ولكن في الآخرة ماذا ستفعل؟ عندما يأتي إليك أب أو أخ انتهكت عرضه ولو حتى بلمسة أو نظرة شهوة، يقول سيدنا محمد ﷺ:

«كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[1].

فماذا ستفعل يوم القيامة، عندما تظهر الأسرار، ويطلب منك حقه في عرضه؟ وليس ذلك فقط، فيدك التي لمست واستمتعت ستتكلم وتشهد عليك فأنت استخدمتها في شهوتك، قال تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]

وتأتي الفتاة التي لمستها فيقول الله:

1 رواه مسلم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠-٢٢]

ستشهد الجلود والأبصار والأيدي والعيون، ماذا ستقول له؟! فكر جيدًا،... هل ستبيع حُب الله؟ بالطبع لا.. فهيا لنعالج أنفسنا من سحر الحب...

علاج سحر الحب

أولا املئي قلبك بحب رب العالمين..

ضعيه بديلًا للحب الحرام، يقول الفيلسوف المشهور أفلاطون: «إن العشق هو انجذابٌ صادَفَ قلبًا فارغًا». هذا حقيقي وواقعي، فاشحني قلبك بحب الله، بكثرة الذكر والدعاء؛ ليخلصك الله من أي شيء يطرد حبه...

ثانيًا اختبري الرجل الذي يُحبك...

فإذا كان يُحبك بصدق فسيخاف عليكِ وعلى علاقتك بالله وعلاقتك بأهلك، ففي قصة عنترة وعبلة أراد عنترة أن يقترب من عبلة، وكان عبدًا وهي سيدة من سيدات القوم، قالت له: اذهب لأبي، فلما ذهب لأبيها قال له: اذهب وأحضر مائة ناقة حمراء؛ لأن العرب يتباهون بالمهر، فذهب عنترة وحارب بلدًا بأكمله وكانت أمام عينيه حبيبته عبلة، هذا الذي يجب

أن يفعله كل رجل... اذهب واعمل واتعب وابتغ من فضل الله، وحبيبتك أمام عينيك، هذه نية شريفة وسيعينك الله بهذه النية على أن تتزوجها.

ثالثًا أغلقي أبواب التمني..

جربي أن تقاومي المسلسلات الممتلئة بالحب الحرام.. قاومي الأفلام الرومانسية التي تملأ القلب بالتمني في وقت غير مناسب.... قاومي هذه المنافذ.

ووصلنا لمقام اليقظة عكس السحر، لأي شاب أو فتاة يبحثان عن العفاف والزواج الحلال يقول لهم الحبيب ﷺ:

«ثَلاثَةٌ حَقٌّ على اللهِ عَوْنُهم: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالمُكَاتبُ الذي يُرِيدُ الأَدَاءَ، والنَّاكِحُ الذي يُرِيدُ العَفَافَ»[1].

احلمي بمقام السيدة مريم التي قالت:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]

واقرئي سورة مريم بنية أن يُطهر الله قلبك من الحب الحرام؛ لأن الله سمى العشق في القرآن «السوء» فقال عن سيدنا يوسف:

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤]

وقال أهل العلم: السوء هو «العشق الحرام»، والفحشاء هي الزنا..

1 رواه الترمذي.

فاسألي الله أن يصرف عن قلبك السوء.. وكما تعلمنا من وجد الله فماذا فقد؟! ومن فقد الله فماذا وجد؟!.. اسألي الله أن يُعلق قلبك به وحده ويرزقك الصبر حتى يكتب لكِ الزواج وهو راضٍ عنكِ.

الخلاصة

من هو مسحور الحب؟

هو ذلك الشخص الذي تعجل لحظة الحُب قبل الخطوات الشرعية، فضحى من أجل هذه اللذة بمستقبله، وماضيه، وقيمه، ومبادئه، وعلاقته برب العالمين سبحانه وتعالى.

علامات المسحور بالحُب:

- العلامة الأولى: اللذة الوقتية.
- العلامة الثانية: ضعف المقاومة.
- العلامة الثالثة: التبرير.

عواقب سحر الحب:

- المسحور بسحر الحب يبيع حُب الله.
- فساد شعور الحب.
- صعوبة رد الحقوق يوم القيامة.

علاج سحر الحب:

- أولًا: املئي قلبك بحب رب العالمين.
- ثانيًا: اختبري الرجل الذي يُحبك.
- ثالثًا: أغلقي أبواب التمني.

سحر
المال

لن أكون مبالغًا إن قلت إنه أخطر سحر، فُتن به العالم بأسره، فصار لكثير من الناس المصدرَ الوحيد للسكينة والطمأنينة، مصدرًا للقوة والسيطرة، مصدرًا لا غيره للسعادة، بل إن شئت قل هو السعادة نفسها...إنه سحر المال.

وعندما ذكر الله تعالى المال في القرآن قال:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]

فوصف -جل وعلا- المال بالزينة التي تخطف البصر، وتسحر العقل، فتتزاحم فيه الأفكار والهواجس، ويتعلق القلب بالدنيا، فيغفل عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، وفي آية أخرى يقول تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤]

فليس المال هو المقصد فحسب؛ بل الرغبة والسعي إلى الثراء الفاحش، فيصير الإنسان شَرِهًا في جمع المال بأي طريقة، وأيًا كانت العواقب.

وفي السُنَّة النبوية، ذكر الحبيب ﷺ لنا نموذجين لجامعي المال، أحدهما قال عنه ﷺ:

«نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»[1].

1 رواه أحمد بن حنبل.

فالمال الصالح هو المال الذي جمعه صاحبه من طريق مشروع، والعبد الصالح هو الذي ينفق ماله في كل ما يرضي الله، ويراعي فيه حق الفقراء والمساكين، أما الآخر فقال عنه ﷺ:

«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ...»[1].

من هو مسحور المال؟

هو ذلك العبد الذي استعبده حب المال، فلا يبالي من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، ومن هنا كان المال من أقوى جنود الشيطان.

علامات الشخص المسحور بالمال:

أولًا الغدر

هي صفة جوهرية في كل من سحره المال، فالعلاقات الإنسانية بالنسبة له لا قيمة لها، يرى الناس أشياء ولا يراهم نفوسًا، يُضحِّي بأي شخص مهما كان غاليًا أو عزيزًا على نفسه إذا ما تعارض مع مصالحه الشخصية، وظهر لنا في الأمثال الشعبية -التي تعد مرآة لأحوال المجتمع- ما يعبر عن ذلك، كقولهم: «التاجر ربّه الجنيه»، «ده ياكل مال النبي» إلى غير ذلك مما يعبر عن ضمور القيم الإنسانية عند كل من يستحوذ عليه حب المال.

1 رواه البخاري.

ثانيا التنازل عن المبادئ

إن مسحور المال لا مبدأ له، مات ضميره من كثرة ما تهاون في حقوق الله والعباد، وفي ذلك قال ﷺ:

«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»[1].

ومن ذلك ما يحدث من بعض الأزواج عند حدوث الانفصال، تجد الرجل يبتز المرأة، ويضغط عليها بكل السبل حتى تتنازل عن حقها في مؤخر الصداق والنفقة في مقابل الطلاق، فأين هذا من قوله تعالى:

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

قصة مسحور

هي قصة لأخوين من أسرة بسيطة الحال، توفي والدهما وهما صغيران، فعملت الأم في البيوت لتنفق عليهما، وكانت تأتي لهما بملابس الأثرياء المستعملة، فكان أحدهما كلما ارتدى هذه الملابس يحلم بأن يكون يومًا ما صاحبها، وأول من يلبسها؛ لذلك عزم على أن يصبح طبيبًا، وكان يذاكر باجتهاد، حتى حصل على مجموع كبير في الثانوية العامة، والتحق

1 رواه البخاري.

بكلية الطب، وواصل مسيرة التفوق الدراسي حتى تخرج في الكلية، حتى الآن هو يسير في الطريق الصحيح لتحقيق حلم الارتقاء بمستواه المادي، ولكن على ما يبدو أن الدافع لذلك لم يكن مجرد الطموح المشروع الذي هو من حق أي إنسان، فالمال بالنسبة له لم يكن «وسيلة» لتحقيق حلم الارتقاء، بل هو «غاية» يسعى لها، ظهر ذلك عندما خطب أخوه فتاة غنية كانت تأتي لزيارة صديقة لها تسكن في نفس الشارع الذي يسكن فيه الأخَوان، فحين رآها أعجب كل منهما بالآخر، واستطاعت الفتاة أن تقنع والدها، الذي كان تاجرًا غنيًّا لكنه كان متواضعًا، بأن يقبل بهذا الشاب البسيط، وتم الارتباط، وهنا بدأت الغيرة تشتعل في قلب الطبيب، عندما رأى مستوى أخيه وقد بدأ في الارتقاء، وأخذ يتقرب إلى خطيبة أخيه، ويخدعها بالكلام، حتى تعلق قلبها به، ففسخت خطبتها لأخيه، وارتبطت به هو، فانهار أخوه، ودخل المستشفى، وتبرأت الأم من ابنها الطبيب؛ لغدره بأخيه، وتم الزواج في الوقت الذي كان فيه الأخ المسكين مازال يعالج في المستشفى، ومرت السنون، واستطاع هذا الطبيب إقناع زوجته بأن تكتب له نصف ثروتها؛ حتى لا تفقد كل أموالها إذا ما دخلت في صفقة خاسرة مع والدها، وهذا ما حدث بالفعل، فخسر الأب كل ما يملك من أموال في إحدى الصفقات، فطلبت الابنة من زوجها الطبيب أن يعيد لها أموالها؛ لأن والدها في حاجة إليها، لكنه رفض، وطلقها بعد أن صارت فقيرة لا تمتلك شيئًا، ليس هذا فحسب،

بل إنه استطاع أن يحتال على إحدى صديقاتها -وكانت ثرية- وادّعى أنه طلق زوجته بسبب خيانتها له، وبالفعل اقتنعت بكلامه، وقبلت الزواج منه، لتصبح الضحية الثانية...

عواقب سحر المال

العاقبة الأولى: قلة البركة:

وهذا أمر يغفل عنه الكثير من الناس، فالعبرة ليست بكثرة المال؛ لأن المال لا يكفي وحده ليكون مصدرًا للسعادة، وإنما هي البركة، بما تبعثه من سكينة وطمأنينة، يشعر بها المرء في حياته، وبين أسرته، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان مصدر المال من حلال، وهنا تحضرني قصة لتاجر يمتلك أكثر من سوق تجاري، أراد أن يزيد من أرباحه، فقرر أن يبيع الخمور، وبالفعل زادت الأرباح، غير أنه -وكما يقول- رزقه الله زوجة متسلطة، وأبناء لا يبرّونه على الإطلاق، حتى إنهم أحيانًا كانوا يهددونه بالقتل ليأخذوا أمواله؛ الأمر الذي اضطره لأن يبيت في سيارته خوفًا منهم.

العاقبة الثانية: داء الشُحّ:

هو مرض غالبًا يصيب الكثير من الأغنياء، تجد أحدهم يسعى في جمع المال بِنَهم شديد، وفي الوقت نفسه يتهرب من أداء ما عليه من حقوق للآخرين في هذا المال، فتراه يأخذ حقوق الناس، ويمنعهم حقوقهم،

كحق الزكاة للفقراء والمساكين، وحق الخادم، وحق الأجير، هل تعرف مليونيرًا إخوته يلبسون ثيابًا مهلهلة وبالية؟ أنا أعرف شخصًا كهذا، يعيش في نعيم، وإخوته لا يجدون ثمن ثوب جديد، وهذا ثري آخر ملياردير لكنه يتهرب من الضرائب ولا يخرج زكاة ماله، وغيرهم كثير.

ومما ورد عن سلفنا الصالح: دخل الحسن البصري على رجل يعوده في مرضه، فرآه يُصَوِّب بصره في صندوق في بيته ويُصعده، ثم قال الرجل للحسن: يا أبا سعيد؛ ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤدِّ فيها زكاة، ولم أصل منها رحمًا؟ قال: ثكلتك أمك! ولمن كنت تجمعها؟! قال: لروعة الزمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة. ثم مات الرجل، فشهده الحسن، فلما فرغ من دفنه حزن على هذا المسكين الذي أتاه الشيطان، فحذره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومكاثرة عشيرته عما رزقه الله إياه، وغمره فيه، فخرج منها مسلوبًا محزونًا!

انظر ما يفعل سحر المال بصاحبه، أمضى عمره في جمع المال خوفًا من تقلبات الدهر، وبطش السلطان، ولياهي به عشيرته، فما كان المصير؟ مات وترك المال لورثته وباء هو بذنبه، ولو أنه تفكر قليلًا لعلم أن منع الناس حقوقهم هو أهم أسباب ضيق الرزق، وظلم السلطان، قال ﷺ:

«يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِم الذِينَ مَضَوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا...»[1].

فيا مَن تخشى ظلم الحاكم وتقلبات الزمان، إياك أن تغش أو تسرق، لا تأخذ رشوة، احرص على كسب المال من حلال، اتَّقِ الله في مالك، ولا تنسَ حق الضعيف والمسكين.

العاقبة الثالثة: يتبرَّأ المال منك يوم القيامة

وهذه من أعظم الحسرات؛ أن ترى مالك الذي كنزته سبب هلاكك يوم لا ينفع مال ولا بنون، يقول تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٨]

وقال ﷺ فيمن لم يخرج زكاة ماله:

1 رواه ابن ماجه في سننه.

«مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ[1] يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ[2] -يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ».

ثُمَّ تَلَا قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠][3]

فهذا جزاء من يبخلون بما أنعم الله به عليهم، سيكون هذا المال طوقًا من نار يوضع في أعناقهم يوم القيامة.

علاج سحر المال

لا تستبعد أن تكون مسحورًا بالمال، فحب المال فُطر عليه ابن آدم، قال ﷺ:

«لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[4].

1 زبيبتان: نابان يخرجان من فيه.
2 لهزمتيه: لحم الخدين الذي يتحرك إذا أكل الإنسان.
3 رواه البخاري.
4 متفق عليه.

لذا قال تعالى مخاطبًا عباده في معرض الوعظ والتوبيخ:

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]

أي التكاثر في الأموال والأولاد والجاه إلى غير ذلك، وهذه الآية لما قرأها النبي ﷺ قال:

«يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي. قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ»[1].

ولعلاج هذا السحر أو الوقاية منه احرص على هذين الأمرين:

أولًا الصحبة الصالحة

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]

احرص على مصاحبة الأخيار، ومخالطتهم؛ ليكونوا عونًا لك على التقرب إلى الله، والتفكر في الآخرة، وابتعد عن تلك الصحبة التي تلهث وراء الدنيا وشهواتها، وتغفل عن الآخرة، والاستعداد لها؛ لذا أسعد كثيرًا عند حضور اجتماعات لكبار رجال أعمال، وأجدهم يتباحثون في

1 رواه مسلم.

وسائل الإنفاق، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، فالمجتمع في أمسِّ الحاجة لتضافر جهود رءوس الأموال من أجل الإعمار والبناء.

ثانيا الإنفاق:

قال تعالى عن الدنيا إنها عقبة، يشق على الإنسان أن يتخطاها:

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [البلد: ١١-١٢]

ثم ذكر بعد ذلك ما يعين على تجاوز هذه العقبة:

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد:١٣-١٦]

وهي أوجه الإنفاق المختلفة، من إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة، وإطعام ذوي القرابة لما يجتمع فيه من فضل الصدقة وصلة الرحم، وكذلك الفقير المعدم الذي لا شيء عنده، فكن كريمًا، ولا تخش قلة المال، فما نقص مال من صدقة، واعلم أن من جاءك يسأل، ما جاء ليأخذ مالك، وإنما أرسله الله إليك ليختبر صدق إيمانك.

مقام اليقظة

مقام الشخص الذي لم يستعبده ماله، فهذا سيدنا سليمان عليه السلام يقول عنه الله في كتابه:

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٠-٣٣]

فعندما عُرِضَت عليه الخيل في عرض عسكري وكان يعدها للجهاد في سبيل الله، ونظرًا لكثرة عددها استمر العرض مدة طويلة حتى انشغل سيدنا سليمان عليه السلام بالنظر إليها حتى توارت عنه وحجب آخرها مختفيًا عن نظره، انتبه عندها لنفسه وقد فاته ورده من الذكر قبل الغروب، فندم نبي الله سليمان عليه السلام، واستغفر ربه واستدرك ذكره، ثم دعا الخيل إليه وراح يمسح على أعناقها وأقدامها؛ إعجابًا بها وحنوًّا عليها، وليعرف أيضًا هل فيها ما يدل على المرض؛ فقد كان خبيرًا بها محبًّا لها.

وقد رضي الله عنه بعد هذه الغفلة غير المقصودة، فمنحه ما هو أسرع من الخيل؛ سخر له الريح تجري بأمره رخاء[1] حيث شاء.

1 رُخاء: لينة، طيّعة.

وأنـا لا أقول لك أخرج كل أموالك إذا شـغلتك في لحظة عن ذكر الله كما فعل سليمان عليه السلام، ولكن أنفق بقدر ما تستطيع حتى لا تستعبدك شهوة المال.

اللهم أخرج منا الجشـع وحب المال... ووسِّـع علينـا في الأرزاق... وحبِّب إلينا الإنفاق.

الخلاصة

من هو مسحور المال؟

هو ذلك العبد الذي استعبده حب المال، فلا يبالي من أين اكتسبه، وفيم أنفقه.

علامات المسحور بالمال:

- **أولاً:** الغدر.
- **ثانيًا:** التنازل عن المبادئ.

عواقب سحر المال:

- **العاقبة الأولى:** قلة البركة.
- **العاقبة الثانية:** داء الشُّح.
- **العاقبة الثالثة:** يتبرَّأ المال منك يوم القيامة.

علاج سحر المال:

- **أولاً:** الصحبة الصالحة.
- **ثانيًا:** الإنفاق.

سحر
الفن

يشهد التاريخ عبر عصوره المختلفة أن إحدى أدوات إلهام النفوس وترقيق القلـوب وصناعة الثقافة، بل وبناء الحضارة، هـو الفن، ويتربع على عرش الفنون من حيث الشـهرة فـن التمثيل والدراما القادر عـلى إيصال المعنى في مشـهد، وتلخيص الفكرة في حوار، واسـترجاع التاريخ المجيد في عمل يشاهده مئات الملايين، ونحن جميعًا نشهد بأن ذكريات عقولنا مليئة بالدموع والضحـكات تأثرًا بـما تقدمه لنا الدرامـا في كل جيل، لكن هـذه الدراما سـلاح فعال جدًّا ذو حدين: حد بناء، وحد يشـهد لـه الواقع -بل والنقاد المتخصصون- أنه هدام، سـواء بالترويج للأفكار المؤذية، أو السـخرية من الأخلاق البناءة، أو التركيز على العري والفواحش التي تخدش حياء الإنسان السوي. ومن هنا تأتي فكرة «سحر الفن والدراما».

فالمشاعر والوجدان إما تتأثر بما هو بنَّاء للنفس والمجتمع وممتع وأيضًا مفيد، أو تضيع الأخلاق وتسود الفاحشة ويروج لها بـ«العادية» تحت مظلة الفن.

من هو مسحور الفن؟

هو من تعـوَّد على رؤية المشـاهد الفنية المحتوية على كل مـا نهى عنه الله ورسوله، وأصبح يروج لها بطريقة عادية تحت مظلة الفن.

علامات سحر الفن

أولا الاستمتاع بالفواحش:

أنت عندما تسـمع ألفاظًا بذيئة أو تشـاهد ذلك التقارب الجسدي بين

الرجل والمرأة على الشاشات، بماذا تشعر؟ ستشعر أنك بين أمرين: إما أن تنفر بفطرتك، ويغلب عليك حياؤك، فتقول: تلك مشاهد لا يحبها الله ورسوله. وإما أن تدفعك شهوتك للاستمتاع بها، فهي إما فطرة، وإما شهوة!! أما أن تدَّعي أنك لا تبالي بتلك المشاهد، وأصبحت تشاهدها وأنت تأكل مع إخوتك أو أبنائك دون أن تشعر لا برغبة في الاستمتاع بها، ولا بالاشمئزاز منها، فاعلم أن فطرتك قد تأثرت بالسلب من كثرة ما أفرطت في مشاهدة ذلك النوع من الإباحية، وخلاصة القول أن الاستمتاع بكل ما نهى عنه الله ورسوله مما يثير الشهوات من دلائل سحر الفن.

ثانيًا ❁ الترويج للفن الفاسد:

الإنسان إذا ما أحب شيئًا تجده يتحدث عنه دائمًا، فاللسان هو المعبر عما في القلب، فمن أحب الله يتحدث عنه وعن رسوله ﷺ مع جميع الناس، كذلك من أحب كرة القدم تجده متابعًا لكل المباريات مغرمًا بتحليلها، وهذا طبيعي من حقه وكذلك الحال مع عشاق السيارات... وهكذا، فالمسحور -إذن- بهذا النوع من الفن الفاسد تجده شغوفًا بالحديث عنه، فكما لو أنه أصبح شاشة عرض، يعرض كل ما يشاهده على كل من يراهم، ومثل هذا الشخص يعد في علم التسويق من أقوى وسائل الترويج للمنتج كما يطلقون عليه word of mouth أي التحدث عن المنتج ممن جرَّبه... أتَذْكُرُ كم مرة نشرت مشهدًا من هذا النوع على مواقع التواصل؟ أو أرسلت رابطًا به لأحد أصدقائك؟ فإذا وجدت نفسك كذلك فإليك قوله ﷺ:

«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْـرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَـيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[1].

قصة مسحور

هذه القصة ليست لشـخص بعينه، ولا لعائلة من العائلات، ولا حتى لمجتمع من المجتمعـات، وإنا هي قصة لأمة بأكملها، رسـولها من أولي العزم من الرسل، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، أفنى عمره في الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، فقامت أمته على أساس من التقوى، والفطرة النقية، التي تحلل الحلال، وتحرم الحرام، قال ﷺ:

«البِرُّ حُسْـنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[2].

غـير أنه ومع مرور الأيام تراجعت تلك الأمة عن دورها الحضاري في السمو بالإنسـانية، وتقدم الغرب الصفوف، ليصبحوا -لا سيما اليهود منهم- يتحكمون في الإعلام العالمي...

1 رواه مسلم.
2 رواه مسلم.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]

بقيم تفتقر في مجملها إلى الحياء، وغزا بلادَنا ذلك النوع من الفن الذي يستهدف -في الأعم الأغلب منه- إثارة الشهوات، والغرائز، والترويج للعلاقات.

ولا شك أن تقدم وسائل الحياة المعاصرة هيّأ مناخًا من الفراغ؛ مما دفع بأغلب الأسر العربية لأن تلتف حول شاشات التلفاز، وبدأ يحدث الخلاف بين أفرادها حول ما يُقدم من أعمال... فمنهم من يرفض بالكلية ذلك الفن الذي يدعو إلى الإباحية ويخدش الحياء العام، ومنهم من يقبله بدعوى أنه يحاكي الواقع، فضلًا عما يقدمه من عبرة وعظة للمشاهد، وفي الوقت نفسه لا يخلو من بعض القيم التي يحث عليها المجتمع، وما بين مؤيد ومعارض يتوالى ظهور هذه الأعمال على الشاشات؛ لتجذب إليها قطاعًا واسعًا من الجماهير، وصار الناس فيما بينهم يتناولون تلك الأعمال بالنقد والتحليل، وصار الشباب يتوقون لظهور فيلم العيد.

لا بأس أن نجتمع حول فيلم العيد، شريطة أن يكون ما نشاهده يرضاه لنا نبينا ﷺ، وبالطبع قد تعجب من ذلك، لماذا؟ لأنك أحسست أني أقلل من مقامه الشريف -صلوات ربي وسلامه عليه- لأن أغلب ما يعرض الآن على الشاشات لا يجوز أن تقترن به سيرة الحبيب ﷺ، مع أنه كان يستمع إلى الصحابة -رضوان الله عليهم- وهم ينشدون قائلين: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا». ولكن أين ذلك مما يُعرض الآن، من العري،

والفاحش من القـول، الذي أصبحنا -للأسـف- نألف مشـاهدته، والاسـتماع إليه في عصر السماوات المفتوحة والفضائيات، وصار الدعاة والمصلحون يُتهمون بأنهم يحاربون الفن والإبداع، ويقيدون الحريات؟!

سـافرت إلى فرنسـا لألقي بعض المحاضرات، وفي أثناء زيارتي تلك ذهبت لاسـتاد كبير تقـام به بطولات التنس، ولمـا دخلت متحف هذا الاستاد شـاهدت صورة لأول لاعبة تنس، ودهشـت لما رأيتها ترتدي ثوبًا طويلًا يصل إلى قدميهـا، نعم، ولم لا؟ وقتها كانت الفطرة ما زالت سليمة، سبحان الله!! أين هذا مما ترتديه لاعبات التنس الآن؟!

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الشورى: ٥]

انظـر كيف أثَّر الفن إلى هذا الحد في منظومـة القيم والأخلاق، وأصبح الممتع مرتبطًا بكل ما يثير الغريزة والشهوة، وانتشر العُري، وزادت حالات التحرش، وارتفعت معدلات الاغتصاب في أمة قال عنها نبيها ﷺ:

«إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ»[1].

وتشرَّبت العقلية العربية ما يقدم لها في الأفلام والمسلسـلات من أنماط حياة تتعارض بالكلية مع ثوابتها، وقيمها الدينية والاجتماعية.

1 رواه ابن ماجه.

عواقب سحر الفن

أولا تغيير الثوابت:

وأخص بالذكر هنا ثابت الحلال والحرام، يقول تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]

فالخالق -سبحانه- هو الأعلم بما ينفع عباده، وما يضرهم، فالأمر أمره، والحكم حكمه:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]

فكَم التقارب الجسدي بين الرجال والنساء الذي نراه على الشاشات يتناقض مع الفطرة الإنسانية النقية، وتتباين المشاعر تجاه تلك المشاهد، فمنهم من يشعر بانقباض في القلب، ونفور منها، وذلك بدافع الفطرة السليمة التي تأبى أن تنتهك محارم الله صباحَ مساءَ على الشاشات، ومنهم من يشعر بالإقبال على مشاهدتها، والاستمتاع بها؛ ذلك لأن الإنسان بطبعه يميل إلى الجنس الآخر، ومن هنا يحدث الخلل في منظومة القيم والثوابت في المجتمع، غير أن الحق -تبارك وتعالى- يحاسب عباده في الدنيا والآخرة وفقًا لما وضعه -سبحانه- من الثوابت، وليس وفقًا لما

يُحدِثه البشر من تغيير في تلك الثوابت، قال ﷺ:

«...أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ...»[1].

ثانيًا الدخول في حزب الشيطان:

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]

أترضى لنفسك أن تكون من حزب الشيطان؟ بالطبع لا، إذن فكيف تدعم وتروج لمثل تلك الأعمال التي تُنتهك فيها الحرمات، وتهتز لها السماوات؟! ألا تعلم أن المبلغ الذي تدفعه لدخول عمل فني مُخِل «وبالطبع ليست كل الأعمال مُخِلَّة» هو بمثابة الدعم منك لاستمرار إنتاج تلك الأعمال؟!، كذلك الرسائل التي تبعثها لتظهر على شاشة قنوات الفيديو كليب التي تروج للعُري هي من مصادر الدخل التي تدعم أيضًا استمرار تلك القنوات! فكأنك بذلك الدعم أصبحت من جند إبليس، تعمل على نشر الرذيلة، وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]

1 متفق عليه.

أحد أهم مقاصد الشريعة أنها جاءت لحرية البشرية، لكنها حرية تحت مظلة العبودية، وبضوابط الشريعة الإسلامية، فنحن لا نحارب الدراما أو السينما، وإنما نحارب الابتذال والعري الذي تقدمه بعض أعمالها، فـ «نور ومهند»، «كريم وفاطمة»، وغيرهم كثير، أبطال لأعمال درامية، تبتعد كل البعد عن قيمنا وثوابتنا، غير أنهم أسروا القلوب، واستحوذوا على عقول الملايين، الذين تعلّقوا بهم، بل وأخذ بعضهم يسخر من ثوابت الدين، وقد قال ﷺ:

«المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1].

والخيار لك أولًا وأخيرًا، فمن أحب النبي ﷺ، وصحابته، والصالحين من أمته، فسيحشر معهم، ومَن أحبَّ أهلَ الفواحش، فهو مع من أحب.

ثالثًا ❁ الغشاوة على البصيرة

يقول تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]

ففي أمر الدين العمى الضار هو عمى القلب، أما عمى البصر فليس بضار، ومتى تعمى القلوب؟ عندما يتراكم الذنب على الذنب حتى يسود القلب، فلا يعي خيرًا، ولا يثبت فيه صلاح، ويعجز الإنسان عن إدراك

1 متفق عليه.

الصواب من الخطأ؛ لذا كان من دعاء أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

> «اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه».
>
> أبو بكر

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا أَذْنَبَ العَبْدُ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ تَابَ صُقِلَ مِنْهَا، فَإِنْ عَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ؛ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾»[1].

فـ«الرَّانُ» هو ذلك الحاجز بين العبد وبين إدراك الصواب.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَدُنَا يُذْنِبُ. قَالَ: «يُكْتَبُ عَلَيْهِ». قَالَ: ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتُوبُ. قَالَ: «يُغْفَرُ لَهُ وَيُتَابُ عَلَيْهِ». قَالَ: فيَعُودُ فَيُذْنِبُ. قَالَ: «يُكْتَبُ عَلَيْهِ». قَالَ: ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتُوبُ. قَالَ: «يُغْفَرُ لَهُ وَيُتَابُ عَلَيْهِ، وَلَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا»[2].

1 أخرجه الحاكم في مستدركه.

2 أخرجه الحاكم في مستدركه.

فالتوبة الصادقة يمحو الله بها الذنـــوب، فهل تُبتَ عن متابعة الأعمال ذات القيم الهدامة، وقلت:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[1].

كلمة «أبـــوء» بمعنى أعترف، فهـــلَّا اعترفت بذنبـــك، وعزمت على مقاطعة تلك الأعمال؟

علاج سحر الفن

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا النَّجَاة؟ قَالَ:

«امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»[2].

أولا املك عليك لسانك

إن أبَيْتَ إلا أن تتابع تلك الأفلام والأعمال الدرامية، فأضعفُ الإيمان ألا تدعمَها، وتروِّجَ لها، فتأتي يوم القيامة بذنوب كالجبال من حيث لا تدري.

1 رواه البخاري.

2 أخرجه أحمد والترمذي.

ثانيًا وليسعك بيتك

قاطع الأماكن التي تعرض الفن الحرام، وحافظ على أهل بيتك فلا يشاهدوا تلك الأعمال.

ثالثًا التوبة

اندم على ما أسرفت في حق الله، وتب إلى الله توبة نصوحًا، وعاهد ربك أن تقاطع كل صور الفن الذي لا يرضاه الله.

مقام اليقظة

كن كسيدنا عليِّ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي عاش في زمن انتشر فيه الإسلام في نصف العالم القديم، فكثرت الفتوحات، وكثرت معها الأموال، فما كان منه إلا أن قال للدنيا:

> «يا دنيا غُرّي غيري، قد طلقتكِ ثلاثًا».
>
> عليُّ بنُ أبي طالب

فطلِّقْ أنت أيضًا الفن الحرام ولا تعدْ له مرة أخرى، وتشبه بسيدنا عليٍّ الذي لم يُسحر بفتن الدنيا.

يا رب نسألك أن تحفظ لنا سمعنا، وبصرنا، فلا نسمع ولا نرى إلا ما ترضاه لنا، واصرف عنا كيد من أراد أن يهدم قيمنا، ويشيع الفواحش في بلادنا.

الخلاصة

من هو مسحور الفن؟

هو من تعود على رؤية المشاهد الفنية المحتوية على كل ما نهى عنه الله ورسوله، وأصبح يروج لها بطريقة عادية تحت مظلة الفن.

علامات مسحور الفن:

- **أولًا:** الاستمتاع بالفواحش.
- **ثانيًا:** الترويج للفن الفاسد.

عواقب سحر الفن:

- **أولًا:** تغيير الثوابت.
- **ثانيًا:** الدخول في حزب الشيطان.
- **ثالثًا:** الغشاوة على البصيرة.

علاج سحر الفن:

- **أولًا:** املك عليك لسانك.
- **ثانيًا:** وليسعك بيتك.
- **ثالثًا:** التوبة.

BOOKS

سحر
الشراء
والاقتناء

أسـواق تجارية تعرض آلاف البضائع والمنتجـات، والناس يتوافدون عليها من كل مكان، منهم من يذهـب إليها وهو يعلم ما يريده تحديدًا، ويفكر جيـدًا قبل شرائه لأي منتج، ومنهم من تجـده يقلِّب بصره يمينًا ويسـارًا، يبحث عن أي شيء يشـتريه بصرف النظر عن احتياجه له أو قدرته المادية عـلى شرائه، ومن قلب تلك الأسـواق يظهر لنا أحد أهم أمراض العصر... إنه هَوَس الشراء.

أحوال الناس مع الشراء

(١) زاد الراكب

وهذا حاله في الشراء حال المسافر، الذي يأخذ فقط في سفره ما يحتاج إليه من الطعام والشراب واللباس، إنه حال الأنبياء والمرسلين، الذين عرفوا حقيقـة هذه الدنيا، وأنها رحلة قصيرة، لا تلبث أن تنتهي، فلا داعي إذن للكثير من الأحمال، كل ما نحتاج إليه فقط هو ما تقوم به الحياة؛ ولذا كان من دعاء سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ:

«اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحمَّدٍ قُوتًا»[1].

قوتًا أي: اليوم بيومه.

1 متفق عليه.

(٢) المقتصد

هو الذي يشـــتري ما يحتاج إليه من الطعام والشراب وغير ذلك، لكنه يزيد قليلًا على حاجته، تحسُّـبًا لما قد يجدُّ من الظروف، فهذه الزيادة تشـــعره بنوع من الأمان والاســـتقرار النفسي، وهذا في الواقع هو حال أغلبنا، ولا بأس في ذلك، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا لبس أحدهم ثوبًا جديدًا قيل له:

«تُبْلِي، وَيُخْلِفُ الله»[1].

ولم ينه ﷺ أمته عن شراء ما تحتاج إليه، وإنما وضع ضابطًا لذلك، يظهر في قوله ﷺ:

«كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ[2]»[3].

(٣) المسرف

ويكون الإنســـان مسرفًا إذا كان الشراء عنده لا يرتبط بالاحتياج، وإنما هو في ذاته لذة ومتعة لا يســـتطيع مقاومتها، فتجده ينفق بسَـــفَهٍ شديد، يشـــتري ما يحتاج وما لا يحتاج لتحقيق تلك اللذة، ولا مانع أن ينفق من أمواله في سبيل الله، غير أن ذلك لا يقارن -بحال من الأحوال- بما ينفقه لإشباع شهوة الاقتناء... إنه المسحور بالشراء.

1 رواه أبو داود.
2 مخيلة: هي العُجب والكِبر.
3 أخرجه النسائي في سننه، ورواه البخاري.

من هو المسحور بالشراء؟

هو من لم يرتبط الشراء عنده بالاحتياج، بل أصبح لذة ومتعة لا يستطيع مقاومتها، حتى انقلب لإسراف شديد يفوق قدرته المادية، وأصبح مضرًّا لنفسه ولمسئولياته المالية الأخرى.

علامات المسحور بالشراء

أولًا حب التملك

فهو شغوف بتملك كل ما هو جديد، فدافع الشراء هنا ليس الاحتياج، وإنما الرغبة الملحة بداخله في امتلاك الأشياء، وقد أخبرنا القرآن الكريم أن شهوة التملك وحب البقاء من فطرة الإنسان، قال تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ [طه: ١٢٠]

ومن هنا يظهر لنا أحد مداخل إبليس على بني آدم: عدم القناعة بالرزق، والتشبث بطول البقاء.

ثانيًا ادِّعاء الاحتياج

تسأله: لِمَ تشتري هذا القميص وأنت تمتلك مثله؟ فيجيب: قد أحتاجه يومًا ما، هذا الثوب لم يعد مسايرًا للموضة، لِمَ اشتريته؟... الأيام تمر وقد يصبح موضة من جديد، هلَّا أخرجت هذا المعطف لفقير، لم يعد يناسبك فقد صرت نحيفًا؟.. ومن يدري قد أعود سمينًا مرة أخرى، وهكذا دائمًا يدّعي الحاجة،

وقد وصف الله ﷻ هذا الصنف من الناس بأنه جَموع مَنوع، قال تعالى:

﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٥-١٨]

وجمع فأوعى أي أمسك ماله في وعاء ولم يؤدِّ حق الله فيه، فإذا فتحت خزانة ملابسك فوجدت الثياب تسقط عليك، أو نظرت أسفل سريرك فرأيت عشرات الأحذية التي لا تلبسها، أو كان لديك من العطور ومزيلات العرق ما لا تعرف له عددًا، فاعلم أنك قد تكون من هذا الصنف الجَموع المَنوع.

ثالثًا: الزهو بكثرة المتلكات

وهو ما لا ينبغي لمسلم أن يتصف به، فالمسلم الحق تقلقه كثرة المتلكات؛ لأنه يعلم أنه سيُسأل عنها يوم القيامة بين يدي الله ﷻ فهي ليست مصدرًا للفخر أو التباهي بين الناس؛ بل على العكس كلما زادت أموالك كان ذلك أدعى أن تُسأل يوم القيامة: من أين اكتسبتها؟ وفيمَ أنفقتها؟ وهل أديت حق الفقير والمسكين فيها؟!

وقد رُوي أن رسول الله ﷺ جاءه قوم حفاة عراة مجتابو[1] النمار أو العباء، فتمعَّر[2] وجه الرسول ﷺ لِما رأى بهم من الفاقة[3]، فدخل، ثم

1 مجتابو النمار: المراد أن ثيابهم رثَّة وبالية.
2 تمعَّر: تغيَّر والمراد: ظهر على وجهه ملامح الحزن والأسى.
3 الفاقة: الفقر.

خـــرج، فأمر بلالًا، فأذَّن، وأقام، فصلى، ثم خطب الناس ووعظهم وحضهم على الصدقة، فقرأ:

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]

فقام رجل منهـــم وانطلق إلى داره وعاد ومعه مـــا تيسر له من صدقة، ووضعها أمام الرســـول ﷺ، فلما رآه الصحابة قام كل منهم وفعل مثله، حتى اجتمع أمام الرســـول ﷺ كأمثال الجبال من الطعام والدراهم، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ فرح باستجابة أصحابه واستبشر وجهه وأشرق حتى صار كقطعة من ذهب أو فضة لامعة.

وفي تلك الحادثة الدعوة إلى تفعيل المراقبة، بأن يكون الإنسان رقيبًا على نفسه، والتحذير من التساهل في حقوق العباد لا سيما ذوي الأرحام.

قصة مسحور

هي قصة لشاب يشتكي إسراف زوجته، فيقول: «أنا إنسان أجتهد في عملي كثيرًا، وأترك لزوجتي كل راتبي لتنفق على البيت، وتدير شئونه، إذ لا أجد وقتًا لمثل تلك الأمور، غير أن زوجتي مسرفة إلى أبعد الحدود، فدائمًا تطلب مني أن نخرج للأســـواق التجارية الكبرى للتســـوق وشراء الاحتياجات، إلا أنـــه ما من مرة نخرج فيها معًا إلا ونعود وقد اشـــترينا أشـــياء لا حاجة لنا بها، فعلى ســـبيل المثال، خرجنا يومًا إلى أحد الأســـواق التجارية ورأت

زوجتي حقيبة حمراء، فقالت: سأشتريها وإن كان ليس عندي ما يناسبها، فقلت: إذن ولِمَ تشترينها؟! قالت: لا تقلق سأشتري لها غدًا ما يناسبها، وبالفعل اشترتها، وكانت غالية الثمن، ولم أرها ولو يومًا تحملها.

يومًا آخر كنت معها في سوق تجاري، فلفت انتباهها فستان، فقالت إنها تريد شراءه، فقلت لها: هذا الفستان باهظ الثمن، فهو لا يتناسب مع دخلنا ولا مع نمط الحياة التي نعيشها، فأجابتني: وما أدراك لعلنا يومًا ما نتقابل مع شخصيات مرموقة ولا بد وقتها أن نبدو بمظهر لائق ومُشرِّف.. وأصرَّت على شرائه، واضطررت لأن أقترض في ذلك الشهر إذ لم يعد معي ما يكفي من المال لأدفع قسط سيارتها.

هذه المرة لم يكن الشراء من أحد الأسواق؛ لأننا كنا في المنزل، فبينما كنت أجلس معها أمام التلفاز شاهدنا إعلانًا عن مكواة بخار، بالطبع هذا لم يلفت انتباهي لأننا بالفعل نملك واحدة، إلا أني دُهشت من رغبتها في شرائها، وقد عللتْ ذلك بأنها أحدث من تلك التي نملكها، فصِحْتُ في وجهها أننا لسنا بحاجة إليها، ولا داعي لشرائها، وفي اليوم التالي وبعد أن عدت من عملي وجدتها قد اتصلت بالشركة المعلنة وبالفعل اشترت واحدة، وظلت المكواة طيلة ستة أشهر لم تستخدمها، وتشاجرت معها وقلت: ألم أقل لكِ إننا لم نكن بحاجة إليها؟! فقامت بإخراجها من علبتها واستخدمتها لمرة أو اثنتين ثم تركتها مرة أخرى.

يقول الشاب: لقد أصبحت مصاريف المدارس الخاصة بأولادنا هَمًّا بالنسبة لي مع أن راتبي يسمح بذلك، غير أن زوجتي تنفقه أولًا بأول،

كذلك رؤيتي لحماي أصبحت هـي الأخرى عبئًا عليَّ؛ إذ إنني أصبحت مدينًـا له بمبالغ كبيرة بسـبب هوس الشراء الذي تعـاني منه ابنته، كم أصبحت متعبًا من هذا الكم الهائل مـن الملابس والأحذية وزجاجات العطور وغيرها من الأشـياء التي اكتظ بها منزلنا! والسؤال: ماذا أفعل مع زوجتي؟ هل أمنع راتبي عنها وإن كنت أعلم جيدًا أن هذا سيسـبب لي من المتاعب ما لا حصر له، وقد تصل بنا إلى الطلاق؟ أم أترك لها المال ولا أدري كيف سيحاسبنا الله يوم القيامة على هذا الإسراف؟!

للأسف، لقد أصبح هذا حال الكثير من البيوت في وطننا العربي، وحتى أكون منصفًا ليس دائمًا الطرف المسرف هو الزوجة؛ بل في بعض الأحيان يكون الرجل، فهذه تشتكي زوجها فتقول إنه يعطيها يوميًّا عشرة جنيهات فقط لاحتياجات البيت والأبناء، بينما ينفق هو أغلب راتبه على السـجائر والجلـوس على المقاهي مـع الأصدقاء... لذا لم أندهـش عندما علمت أن أغلب حالات الطلاق كانت بسـبب عدم مراعاة أولويات الإنفاق، والإسراف الشديد، الذي ينتج عنه الهم والغم في الحياة، يقول تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ [الأعراف: ٣٢]

فالله عَزَّوَجَلَّ يوسـع على عباده في الطيبات، فالـشراء في ذاته ليس حرامًا، ولكن الحرام هو الإسراف فيه.

عواقب سحر الشراء

اولا الشعور بالهم

وذلك لانشـــغاله بما في يد غيره، وهذه -للأســـف- ظاهرة منتشرة بقوة في مجتمعاتنـــا، فتجد الناس في التجمعات المختلفة منشـــغلين بالحديث عما في أيدي الآخرين، حتى إن الكثير منهم من فرط انشـــغاله بما يمتلكه غيره يغفل عما حباه الله من النعم، وفي ذلك يقول أحد الحكماء: «كثير من الناس ينشغل بما في أيدي الآخرين، وينسى الاستمتاع بما في يده»، وتتولد بداخل البعض منهم مشاعر سلبية من حقد وحسد يصل إلى حد تمني زوال النعمة عن الآخر حتى وإن لم يمتلكها هو، وفي ذلك يقول الحبيب ﷺ مُحذِّرًا:

«انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْـــفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا[1] نِعْمَةَ اللهِ»[2].

ثانيًا فقدان محبة الله

فالله عَزَّوَجَلَّ حين ذمَّ الإسراف في القرآن قال:

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]

1 تزدروا: تحقروا.

2 رواه مسلم.

لاحظ أنه تعالى ذكر أنه لا يحب المسرفين أنفسهم، ولم يقل لا يحب الإسراف، بل ووضعهم جنبًا إلى جنب مع الكافرين والمفسدين وكل خوان كفور وغيرهم، وقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ...﴾ [الإسراء: ٢٧]

فكما يقول العلماء إن الشيطان لم يشكر نعمة الله عليه حين جعله مع الملائكة، فكذلك المبذر أو المسرف لم يشكر نعمة الله عليه، فأنفق ماله بسفهٍ على الشهوات، واعلم أن الله لا يحب المسرفين حتى ولو كانوا يخرجون الزكاة ويتصدقون؛ لأن المال مال الله، فينبغي أن يُنفق كما يحب ويرضى الله

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

ثالثًا قلة الحظ وطول الحساب يوم القيامة

قال رسولنا الكريم ﷺ:

«إِنَّ المُكْثِرِينَ هُمُ المُقِلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْرًا فَنَفَحَ فِيهِ[1] عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا»[2].

1 نفح فيه: المراد أنفقه.

2 متفق عليه.

فكلما أكثر الإنسان من جمع المال في الدنيا، طال حسابه بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، وسؤاله عن هذا المال من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه.

علاج سحر الشراء

التخلص من سحر الشراء

أولا أنفق كلما اشتريت

عندما تشتري شـيئًا جديدًا اخرج من القديم، واستحضر نية أن يخرج الله من قلبك حب الاقتناء الزائد، وحبذا لو أنك أخرجت شـيئًا جديدًا لم تلبسـه أيضًا، كما فعلت الفتاتان اللتان ذهبتا معًا لشراء ملابس العيد، فعندما دخلتا معًا لتُصليا الظهر في أحد المساجد، لفت نظرهما أن خادمة المسجد تبدو فقيرة جدًّا، فقد كان ثوبها قديمًا، وحذاؤها ممزقًا، فقررتا معًا أن تشـتريا لها ثوبًا وحذاءً جديدين، وأخذتا تنتقلان من محل لآخر حتى استطاعتا أن تجدا لها شيئًا مناسبًا، وإن كانتا لم تشتريا لأنفسهما شيئًا.

عادت الفتاتان إلى المسـجد قبيل العشاء، فوجدتا خادمة المسجد تصلي المغرب، وأطالت السجود، وبعد أن فرغت من صلاتها، أقبلت الفتاتان عليها، وأعطتا لها حقيبة المشـتريات، فتحت الخادمـة الحقيبة ولما رأت الثوب والحذاء أخذت تبكي بكاءً حـارًّا، فقالت الفتاتان لها: لِمَ تبكين؟

قالت: أعلم يقينًا أن الله يستجيب الدعاء، غير أني لم أكن أعلم أن الأمر سيكون بهذه السرعة، فقد تقدم شاب لخطبتي، وقرأ أهلي الفاتحة معه، ومن أجل ذلك استعرت من جارتي ثوبًا وحذاءً؛ لأبدوَ بمظهر لائق أمامه، والآن اقترب موعد الخِطبة، واستحييت أن أستعير من جارتي مرة أخرى شيئًا أرتديه، فأخذت أتوسل إلى الله أن يرزقني من حيث لا أحتسب، فسبحان المُعطي الوهاب! يرزق من يشاء بغير حساب.

ثانيًا مرِّن نفسك على الامتناع عن الشراء

فكلما وجدت من نفسك اللهفة لشراء شيء ما، وأنت تعلم أنه ليس ضروريًّا، امنع نفسك، فقد روي أنَّ جابرَ بنَ عبدِالله مرَّ على عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رأى لَحْمًا مُعَلَّقًا بيدي جابر، فقال: مَا هَذَا يا جَابِرُ؟ قال: هَذَا لَحْمٌ اشْتَرَيْتُهُ اشْتَهَيْتُهُ. قال: أَوَكُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا اشْتَرَيْتَهُ؟! فاضبط نفسك ولا تطاوعها في كل ما تشتهيه؛ لذلك قال الحسن البصري:

> «المُؤمِنُ قَوَّامٌ عَلَى نَفسِهِ يُحَاسِبُهَا للهِ، وَإنَّما خَفَّ الحِسَابُ عَلَى قَوْمٍ حَاسَبُوا أنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإنَّما شَقَّ الحِسَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ»[1].
>
> الحسن البصري[2]

1 حلية الأولياء، لأبي نعيم.

2 الحسن بن يسار البصري «21هـ - 110هـ/ 642م - 728م» إمام وعالِم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد، ولد عام واحد وعشرين من الهجرة قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب، كانت أمه تابعة لخدمة أم المؤمنين السيدة أم سلمة، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة لتسكته، وتربى في بيت النبوة. كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، ودعا له عمر بن الخطاب، فقال: «اللهم فقِّهْهُ في الدين وحبِّبْهُ إلى الناس».

ثالثًا لا تصاحب المسرفين

قال تعالى:

﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥١- ١٥٢]

فإياك والجلوس مع من يتباهون بممتلكاتهم، ولا حديث لهم إلا عن شهوات الدنيا من الأموال، والقصور، والسيارات الفارهة...، فمثل هذه الصحبة تتعب القلب، فتجعله يتمنى، ويشتهي، ويقبل على التكاثر من الدنيا.

مقام اليقظة

أسأل الله تعالى أن نكون من عباد الرحمن الذين قال عنهم في كتابه العزيز:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٧]

واحرص من اليوم أن يكون إنفاقك على نفسك أو أهلك دون إسراف ولا تقصير، وتذكر قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ [الإسراء ٢٩]

فنهـى الله ﷻ عن كلا الطرفين، وهما: غاية البخل، وغاية الجود، وأمر بالتوسط بينهما.

هيـا قم الآن، وأخرج من دولاب ملابسـك، وأعطِ فقـيرًا أو محتاجًا ما يكسوه ويستره، واسـأل الله ﷻ أن يُخرج من قلبك حب الشهوات، ويبدلك به حب الإنفاق، وفعل الطاعات.

الخلاصة

من هو المسحور بالشراء؟

هو من لم يرتبط الشراء عنده بالاحتياج، بل أصبح لذة ومتعة لا يستطيع مقاومتها، حتى انقلب لإسراف شديد يفوق قدرته المادية، وأصبح مضرًا لنفسه ولمسئولياته المالية الأخرى.

علامات المسحور بالشراء:

- **أولًا:** حب التملك.
- **ثانيًا:** ادّعاء الاحتياج.
- **ثالثًا:** الزهو بكثرة الممتلكات.

عواقب سحر الشراء:

- **أولًا:** الشعور بالهم.
- **ثانيًا:** فقدان معية الله.
- **ثالثًا:** قلة الحظ وطول الحساب يوم القيامة.

علاج سحر الشراء:

- **أولًا:** أنفق كلما اشتريت.
- **ثانيًا:** مرّن نفسك على الامتناع عن الشراء.
- **ثالثًا:** لا تصاحب المسرفين.

سحر
العمل
والنجاح

إن «إيلون ماسك Elon Musk» المدير التنفيذي لكل من الشركتين «تسلا Tesla» لصناعة السيارات و«سبيس إكس SpaceX» وهي شركة مخصصة لتقنيات استكشاف الفضاء - من أنجح القادة الذين عملوا بهاتين الشركتين، فقد اشتهر بتغريدته الشهيرة التي قال بها: «لا أحد يغير العالم يعمل 40 ساعة أسبوعيًا»، ولكن في المقابل كان قليلًا ما ينام، ونادرًا ما يرى أطفاله، فعلى الرغم من نجاحاته العملية، فإنه عرض حياته الصحية للكثير من الوعكات الصحية؛ بقلة نومه، وفقد أجمل أوقات حياته العائلية في مراقبته نمو أبنائه أمام عينه، وخسر صنع لحظات من السعادة بين أفراد عائلته ليتذكرها معهم بعد عمر طويل.

وحسب ما نشر موقع «هارفارد بيزنس ريفيو»، فإن «ماسك» لا يعد القائد الوحيد الذي يقوم بذلك، فهناك الكثير من القادة الذين يضحون بحياتهم الشخصية لصالح العمل مثل الملياردير «مارك كوبان» الذي كان يعمل حتى الثانية صباحًا، ولم يأخذ إجازة طوال سبع سنوات.

وعادة ما يتم الاحتفاء بهذه الطريقة من العمل الشاق باعتبارها الطريقة الوحيدة لجعل الأشخاص قادة منتجين ومهمين؛ حيث أظهرت الدراسات الاستقصائية أن المديرين والمديرين التنفيذيين يصفون «العامل المثالي» بأنه شخص ليست لديه حياة شخصية.

ويعتقد أغلب القادة -الذين يحددون السلوك المتبع في المنظمات- أن التوازن بين العمل والحياة أمر مثالي يصعب تحقيقه.

ولكن العمل إذا سلب حياة الإنسان واستحوذ عليه أضاع جوانب كثيرة من حياته، كأسرته وأهله وصحته وعلاقته بالله -سبحانه وتعالى- والروحانيات المطلوبة منه، وصلته للأرحام ومساعدته للناس... فهذا ليس مقصد الشريعة الإسلامية، وليس هذا الذي خُلق من أجله الإنسان! لذلك نسعى للحث على الاجتهاد والإتقان لكن نسعى أيضًا للاتزان ونزع سحر العمل، ليس لنرتاح راحة مطلقة؛ ولكن لنتزن في حياتنا.

من هو المسحور بسحر العمل والنجاح؟

هو الشخص الذي وجد لذته وشهوته في تحقيق النجاحات في العمل فقط، فيأتي ذلك على حساب أهله وبيته وروحانياته مع الله، وباقي الجوانب التي خُلق من أجلها.

علامات المسحور بالعمل والنجاح

أولا استعظام النفس

فتنسب الفضل لنفسك فقط، وتصبح كلمة «الحمد لله» غريبة على لسانك، وإن قيلت فهي ليست من قلبك تقولها دون أن تستشعر حقًّا أن الفضل لله، فإذا كنت كذلك فاعلم أنك سُحرت بالنجاح والعمل، ودخل قلبك معنى أنك من فعلت ذلك وليس الله؛ لذلك سيدنا محمد ﷺ قال لعبدالله بن قيس رضي الله عنه:

«قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ؛ فَإِنَّها كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»[1].

ثانيًا تسلق الحرام للوصول إلى النجاح

عندما تبدأ في تسلق الحرام لتصل إلى النجاح، وتضحي بمبادئك وقيمك من أجله.. فاعلم أن النجاح أصبح بالنسبة لك إلهًا! وأمة النبي أغلى ما تملكه هي القيم، والله هو مركزية حياتها؛ لذلك قال سيدنا محمد ﷺ:

«إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَها وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لا يُنالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطاعَتِهِ!»[2].

فلا أحد يموت دون أن يأخذ رزقه كاملًا، فاتق الله ولا تطلب رزقك بمعصية.

ثالثًا ثقل ما دون العمل

فيُصبح أي عمل سواه ثقيلًا على قلبك؛ لأنك وجدت لذتك ونشوتك وشهوتك في تحديات العمل والإنجازات والأهداف التي تحققها، فأصبحت تستشعر ثقل جلوسك في منزلك مع أهلك، ودائمًا ما تكون مشغولًا متعكر المزاج، وهذا عن علاقتك بأهلك، أما عن علاقتك بالله، فيقول رب العالمين:

1 - متفق عليه.

2 - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم: ٥٩]

فأنت اتبعت شهوتك في العمل فأضعت الصلاة التي لا تستغرق سوى عشر دقائق! لأنك مسحور بالعمل وتفتخر بكلمة «مدمن عمل»! ولكنه مرض! يُسبب الأرق والأمراض الجسدية والنفسية! فليتك مدمن عمل ولكن داخل شركتك ومحيط عملك فقط بإتقانك!

«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»[1].

ولكن خارج أسوار العمل، فكن مع أهل بيتك باهتمامك وتركيزك.

رابعًا التبرير الدائم

دائمًا يُبرر لنفسه بأن هذه هي الحياة، ولا بد أن نعمل ونُعمر الأرض حتى وإن أدى ذلك لإهمال مسئوليات وواجبات أخرى، ومن هنا يأتي السحر! فمن المفترض أن تتوسع في عملك، ولكن ليس على حساب أهلك ونفسك! لذلك في الخارج يقسمون يومهم إلى ثلاث فترات: ثماني ساعات للنوم، وثمانٍ للعمل، وثمانٍ للمسئوليات الأخرى، وهذا هو التوازن الذي نبحث عنه!

1 - أخرجه أبو يعلى والطبراني.

قصة مسحور

شـــاب له أخ وأختان، تخرج ذلك الشـــاب في كلية الآداب، بينما تخرج أخـــوه في كلية الطـــب، وبالطبع الأخ خريج كليـــة الطب هو من شرَّف العائلة، وصاحـــب القصة خريج كلية الآداب كان دائمًا يحلم بأن يُشرِّف عائلته وينجح كأخيه، فعندما أنهى دراســـته بحث عـــن العمل وبدأ في الادخار ليكوِّن نفسه، فحاز وظيفة مندوب مبيعات وعمل بها، ومن هنا بدأت قصة نجاح جميلة جدًّا... كان مجتهدًا ويعمل لساعات كثيرة طوال اليوم، ودائمًا ما يكون الأول وسط زملائه في عمله...

يقول: أجمل صوت كنت أســـمعه في حياتي وكأنه صوت موسيقى هو صوت التصفيق عندما كانوا يصفقون لي بسبب نجاحي، ورأى صاحب الشركة أنني مجتهد وأســـعى للنجاح في عملي فعـــرض عليَّ العمل معه براتب ثلاثة أضعاف راتبي الحالي، وبدأ مالي يتنامى، وتزوجت في ســـن لا يحلم الشباب بالزواج فيها، وعندما تزوجت كانت زوجتي سعيدة بي وبنجاحي، وأهلي فرحين بي أكثر من أخي الطبيب...

ومرت الأيام وقرر أن يؤســـس شركـــة للدعاية والإعـــلان مع أحد أصدقائه، وبالفعل افتتحها وبدأ ينشـــغل من الصباح حتى المساء، وبدأ يبتعـــد عن زوجتـــه، وكانت حامـــلًا، وأشرفت على الـــولادة وتحتاجه بجانبها، فيبرر لها بأنه يريد أن يشـــتري لها سيارة، ويغير البيت... ومرت الأيام وأنجبت زوجته، وتقول: كان يجلس في البيت معنا يومًا كل ثلاثة أسابيع، ورغم قلة وقت جلوســـه معنا فإنه يبقى شارد الذهن، يتحدث

في الهاتف كثيرًا، وكثيرًا ما كنت أسمعه يحلف كذبًا ليقنع بعض العملاء بالعمل معه، وبدأ الحرام يتسلل إلى قلبه، وتوقف عن الصلاة بعدما كان مواظبًا عليها، ونادرًا ما كان يزور والدته، أو حماه وحماته، وفي يوم من الأيام كانت والدته مريضة واتصل به أخوه ليأتي ويزورها ولكنه تأخر يومين ولم يذهب لزيارتها، فأرسل له أخوه رسالة: «أمك بتموت» فترك الاجتماع وأخذ سيارته مسرعًا إليها، ولكنه لم يدركها، فقد توفيت...

فخسر أمه، وأصبح هناك جفاء بينه وبين زوجته، حتى ابنه، فوجئ أنه كبر بسرعة، وفي يوم من الأيام سأله ابنه: أبي؛ كم راتبك؟ فغضب من هذا السؤال؛ لأنه لا يريد أن يحدثه أحد عن المال، فلم يُجبه، فرد ابنه: أريد أن أعرف، قل لي ولن أخبر أحدًا، فقال له: راتبي عشرة آلاف جنيه، فأجابه الولد: هل يمكنك أن تعطيني أربعة جنيهات؟! فتذمر والده من طلبه بعد إلحاحه بكل هذه الأسئلة ورفض وقال له بغضب: اذهب للنوم! فشعر الأب بتأنيب الضمير وذهب لابنه وقال له: آسف أني قسوت عليك اليوم، لأني مضغوط في عملي، وأعطاه أربعة جنيهات، فأخرج الابن عشرة جنيهات ووضعها على الأربعة جنيهات وأعطاها لوالده، وقال له: أبي عندما قلت لي راتبك جلست لأحسبها ووجدت أنك تقبض في الساعة أربعة عشر جنيهًا، تفضل ها هو راتب الساعة وابقَ معي لبعض الوقت! فاهتز لرسالة ابنه، وتذكر وفاة أمه، فقرر أن يعود لبيته وأهله ثانيًا، وينظم وقته، ويتقي الله في علاقته بربه وزوجته، فعرف أن العمل عبادة ولكن سحر العمل يأخذه من كل شيء خلقه الله من أجله..

عواقب سحر العمل والنجاح

أولًا الغفلة

وهي فقدان الشعور بما يجب أن تشعر به، ومن أهم الأشياء التي يمكن أن يغفل عنها الإنسان هي أن العمر يمر، وأن هناك حسابًا غدًا، فيعمل بصدق لينجح، ويصل رحمه وأهله؛ لأن هناك سؤالًا غدًا، وقد ورد في الحديث القدسي:

«يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ اللهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ، فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمِكَ هَذا؟ فَيَقُولُ: لا. فيقول له: اليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»[1].

تدبر هذه اللحظة عندما يقول الله له: اليوم سأنساك كما نسيتني. عندما ينسى الله الإنسان فمن يتذكره؟ وقتها أين النجاح والمال والشهادات؟! كل هذا من صميم دورك في الأرض، لكن إياك أن تشغلك عن علاقتك بالله واجتماعياتك التي أمرك الله بها؛ لأن ديننا ثلاث: عمارة الأرض، وعبادة الله بالمناسك، واجتماعيات وأخلاقيات.

ثانيًا فساد في العلاقات الإنسانية

الشخص الذي شغله عمله، وحياته مليئة بالإنجازات هذا شيء راقٍ، ولكن عندما لا يحقق الاتزان يفقد أهم شيء في الدنيا وهو حقوق من حوله، أهم شيء أن تكون أمك راضية عنك، وزوجتك، ولديك

1 رواه الترمذي في سننه.

أصدقاء صالحون وليس أصدقاء العمل فقط، والمسحور بالعمل علاقاته بمن حوله فاترة باهتة، وعلاقاته عميقة بالمصالح الشخصية التي تساعده على تحقيق أهدافه، فتجده لا يتمنى الخير لمنافسه، فيقول ﷺ:

«وَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم، فَتَنَافَسُوها كَمَا تَنَافَسُوها، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[1].

علاج سحر العمل والنجاح

اولا الاعتراف

اعترف بأن العمل اختطفك من سائر جوانب حياتك، هل العمل اختطفك فعلًا أم لا؟ تعطي من حولك حقوقهم أم لا؟

ثانيا قدِّس الإجازة

قدِّس يومًا أو يومين في الأسبوع، فهذه عبادة أيضًا، تقضيها مع أهل بيتك ونفسك ومن تحب، وتنجز فيها سائر مصالحك، قدِّسها مثل العمل.

ثالثا ساعد شخصًا في مجالك

علِّم أحدًا معك شيئًا لا يعرفه، وتعرف إلى من لا يقصر في حق زملائه، رغم أنهم قد ينافسونه في نفس المجال، ورغم ذلك فإنه يدلهم على مهارات العمل وخباياه وسبل تطويره، وعندما تسأله يقول لك: الكبير هو من تشعر بجواره أنك كبير، فكبِّر غيرك.

1 متفق عليه.

مقام اليقظة

مـن كان يقظًا منتبهًـا لحاله في مقام اليقظة كان « ويـل رو» الذي يبلغ من العمر 59 عامًا ويعمل مديرًا في شركة الاستشـارات «Booz Allen Hamilton» في واشنطن دي سي.

حيث تبنى طريقة مختلفة للعمـل والحياة؛ فقد تبنى طريقة تفكير تعطي أهمية للعمل والأسرة على حد سواء، وهو ما قام به.

وكان «رو» قد اتفـق مع زوجته في بداية حياتهـما الزوجية على أن تأتي العائلة والصداقة كأولوية في حياتهما، وقد التزم الاثنان بقضاء الكثير من الوقت قدْرَ الإمكان مع العائلة؛ حيث عمل «رو» أربعة أيام في الأسبوع، بينما عملت زوجته ثلاثـة أيام، وكانا يتركان لجارهما مهمة رعاية طفليهما ليوم واحد في الأسبوع.

وقد أتاح هذا الجدول المرن لـ«رو» أن يكون عضوًا نشطًا في حيه، ومنحه الشجاعة ليطلب من مديره إجازة لمدة ستة أشهر للسفر مع عائلته، وظل «رو» ملتزمًا بهذا الجدول المرن، بينما كان أطفاله يكبرون؛ حيث كان يقوم بتغيير الوقت حسب الحاجة لتلبية حاجات عملائه وأسرته.

ويـرى «رو» أن مفتـاح تحقيق التـوازن بين العمل والحيـاة يتمثل في التخطيط لذلك بشـكل واضح وصريح مـع الأسرة حتى تصبح العائلة أولوية، وتأتي في المقام الأول.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]

عش بهـذا الحال الذي ينسـب الفضل لرب العالمـين، اعمل وانجح وخطط ولكن أبقِ قلبك مع رب العالمين، فلا تُسـحر بأي نجاح، حتى تبعث يوم القيامة من الشاكرين الذاكرين الناجحين العاملين بسنة النبي عليه الصلاة والسلام.

الخلاصة

من هو المسحور بسحر العمل والنجاح؟

هـو الشـخص الـذي وجـد لذتـه وشـهوته فـي تحقيق النجاحات في العمل، فيأتي ذلك على حساب أهله وبيته وروحانياته مع الله وباقي الجوانب التي خُلق من أجلها.

علامات المسحور بالعمل والنجاح:

- **أولًا:** استعظام النفس.
- **ثانيًا:** تسلق الحرام للوصول إلى النجاح.
- **ثالثًا:** ثقل ما دون العمل.
- **رابعًا:** التبرير الدائم.

عواقب سحر العمل والنجاح:

- **أولًا:** الغفلة.
- **ثانيًا:** فساد في العلاقات الإنسانية.

علاج سحر العمل والنجاح:

- **أولًا:** الاعتراف.
- **ثانيًا:** قدّس الإجازة.
- **ثالثًا:** ساعد شخصًا في مجالك.

سحر
النساء

كثير من الشباب يغادر منزله وجُلُّ همِّه أن يصطاد!! ولكنه لا يبحث عن سمكة ليَصيدها، بل يلتمس فتاة ليصطاد قلبها، ويصاحبها، ويلمسها؛ لأنه مسحور بأعظم فتنة مرت بالبشر على مدار التاريخ كما قال ﷺ:

«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[1].

وسِحر النساء ليس فقط يُقصيك عن الله، ولكنه أيضًا يُسقط أممًا كاملة كما قال ﷺ:

«إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[2].

وقد علَّمنا رسولنا الكريم أن الحياء والاحترام هما اللذان يضبطان العلاقة بين الرجل والمرأة، فقال ﷺ:

«إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ»[3].

ولكن الرجل ينجذب بشكل قوي تجاه المرأة، فالمرأة طبيعتها الرقة والأنوثة والحنان، والرجل طبيعته القوة والشدة؛ لذلك يحتاج لها، ولكن...

1 متفق عليه.
2 رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.
3 رواه ابن ماجه، والطبراني.

العمر يمر، وقريبًا سنلقى الله، وإما أن تكون قويًا وتضبط نفسك في فتنة النساء، وإما أن تعيش مسحورًا بأكبر فتنة مرت على التاريخ.

من هو المسحور بسحر النساء؟

هو كل من كان همه التقرب من النساء؛ ليصطاد قلبهن، ويصاحبهن، ويلمسهن.

علامات سحر النساء

أولا دوام إطلاق البصر

هناك فرق بين شخص يحاول أن يغض بصره تارةً يَضعف وأخرى يصمد، وآخر مداوم على ذلك ومستمتع ويتحرش بصريًا بشكل مستمر!

ثانيًا بذل المجهود من أجل لفت نظر النساء

سألنا مجموعة من البنات كيف يعرفن أن هذا الفتى ينشغل بالفتيات؟ فقلن: هو شخص يمزح أمامنا باستماتة؛ ليلفت الأنظار إليه.

ثالثًا الملل من الأماكن التي ليس بها فتيات

المسحور بسحر النساء يشعر بالملل في الأماكن الخالية من النساء، هذا الملل يدل على تمكن السحر من قلبه حتى صار ينشده في كل الأماكن التي يذهب إليها.

قصة مسحور

تحكي فتاة عن خطيبها المسحور بالبنات فتقول: «كان معنا في العمل شاب نحب الحديث معه؛ لأنه لطيف ومرح، فأُعجبت به وأُعجب بي وتقدم لخطبتي، وبعد الخِطبة بدأ جحيم الغيرة، فلا يترك فتاة جديدة في

العمل إلا ويفعل كل ما بوسعه ليتعرف عليها، ويشعر بانتصار النفس إذا استطاع أن يلفت نظرها إليه، وكنا نختلف كثيرًا بسبب علاقاته بهؤلاء الفتيات... ومرت الأيام وعقدنا عقد الزواج، وبدأنا في الخروج وحدنا، وبعد مرور شهر طلب مني أن نخرج مع مجموعة العمل حتى يشتاق كلانا للآخر ولا تكون كل نزهاتنا وحدنا، وبعدما خرجنا وجدته مهتمًا بالفتيات ثانيًا، ويومًا ما حضرنا درسًا دينيًّا وتعلمنا فيه مساعدة الناس وخدمتهم فذهبنا لنتطوع في جمعية خيرية لنحضر «شنط» رمضان، وكان في الجمعية عشرة أولاد وثلاثون فتاة، وبعد مدة من الوقت جاء ليساعدني، ولكنه جلس وسط الفتيات وظل يتكلم ويحكي قصصه ويمرح... وبعد فترة اكتشفت أن هناك فتاة في العمل معنا كان يحكي لها كل شيء خاص بعلاقتنا، ومشاكلنا الخاصة، واكتشفت أيضًا أنها تحكي له كل شيء، وفوجئت أنها جاءت تصلح بيني وبينه وتتقصى عن التفاصيل الدقيقة للمشكلة، وعندما واجهته اختلق الحجج والمبررات..

وكان يكتب كلام أغانٍ على الفيسبوك والفتيات يعلقن ويمزحن معه، واكتشفت أنه يُعلق على صور إباحية بما لا يليق، وعندما واجهته أُحرج وقال لي إنه أخطأ وأنه لا شك سيتغير حاله بعد الزواج... ولكني أُريد الطلاق».

هذا الشخص أضاع من بين يديه جوهرة... فتاة تحبه وتخاف عليه ولكنه خسرها بسبب سحره بالبنات ولؤمه معها.. فالأثر الشريف المشهور يعلمنا: «لا يكرم النساء إلا كريم ولا يهين النساء إلا لئيم».

عواقب سحر النساء

أولا داء الشرَه

الشره أي «الطمع»، دائمًا يريد أن يتكلم مع النساء.. يريد أن يراهن.... يمزح معهن. يلمسهن.. يفعل أي شيء ليجذبهن إليه.. هذا الشخص صغير أمام نفسه وليس كبيرًا، ولو آذته فتاة وأهانته لرأيته يضحك ليواري كسرة قلبه؛ لأنه لم يستطع التحكم في نفسه.

فتاة كتبت قصة اسمها «صابونة المُعيد» تقول إن مجموعة من الفتيات يضحكن على مُعيدهن الأكبر منهن سنًّا لأنه يحب البنات، فيمازحهن أثناء المحاضرة، ويقوم بفعل أي شيء ليلفت أنظارهن، فقررت إحداهن أن تتدلل عليه وتمثل أنها تحبه لكي يعطيها الأسئلة التي ستأتي في الامتحان، ويعطيها المزيد من الاهتمام لكي تنجح في دراستها، وتحقق لها ما أرادت بالفعل، وتعلق بها جدًّا من كثرة التدلل، وعندما انتهت السنة الدراسية قطعت علاقتها به فورًا، وغيرت رقم هاتفها.. تلك نهاية من لا يقاوم فتنة وسحر النساء؛ يُعاقب بالشره ولا يستطيع التحكم في نفسه، فقاوم نفسك لأنه عذاب أن تكون مسحورًا بالنساء.

ثانيا حرمان لذة الحلال

المتزوج يملك امرأة حلالًا مثل كل البنات، هي جميلة لكنه محرومٌ من جمالها لأنه يشاهد الجميلات على الشاشات ولا يريد أن يغض بصره،

وهن جميلات وهو يشاهدهن لأنهن جميلات، وبعد ذلك عندما ينظر لزوجته فيرى جمالها عاديًا -مع أنها جميلة- لكنه محروم لأنه يتذوق من غيرها! وكما في الأثر: «**إن الله لا يحب الذواقين، ولا يحب الذواقات**».

من يظل يتذوق من جمال هذه، وشعر هذه، وتدلل هذه، يُحرم لذة حلاله! خاصة من لم يتزوج؛ فإنه يريد أن يتزوج فتاة مركبة! شعر فلانة، وصوت فلانة، ودلال فلانة، ولون فلانة! لن يجدها! وإن وجدها أو أرسل الله له فتاة بهذه المواصفات وما زال ينظر لغيرها، فلن تملأ عينه من كان يتمنى الارتباط بها؛ لأن «من لم يرض بالحلال حُرم لذة الجمال، ومن اكتفى بالحلال رزق فيه الكمال».

ثالثًا ضنك الدنيا والآخرة

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]

فيُبتلى بضيق في الصدر، والرزق، فعن عبدالله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال:

«يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ؛ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوا....»[1].

1 رواه ابن ماجه في سننه.

...أمراض.. أوجاع.. هموم.. تأخـر زواج.. نكد.. ضيق في الرزق لم يكن موجودًا من قبل!

عَنْ أَبِي شَهْمٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّتْ بِي جَارِيَةٌ بِالْمَدِينَةِ فَأَخَذْتُ بِكَشْحِهَا (يعني جذبها من ثيابها). قَالَ: وَأَصْبَحَ الرَّسُـولُ يُبَايِعُ النَّاسَ، يَعْنِي النبي ﷺ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَلَمْ يُبَايِعْنِي، فَقَالَ: «صَاحِبُ الجُبَيْذَةِ؟». قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِ لَا أَعُودُ. قَالَ: فَبَايَعَنِي[1].

ماذا سـتقول لرب العالمين عندما يواجهك بإطلاق بصرك، مع أنه كان من الممكن أن يسـلب منك نعمة النظر؟! ماذا ستقول للنبي ﷺ عندما يقول لك أنت تعلم أن بنات الأمة بناتي؟!

علاج سحر النساء

غض البصر: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم نظر إلى محاسـن امرأة ثم صرف بصره، إلا أحـدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه**»[2]. فمن قابل امـرأة ووقع بصره عليها من غير قصد فليصرف بصره عنها تورعًا.

فغـض البصر عما حرم الله أزكى وأطهر للنفس كما أمرنا الله سـبحانه

1 - مسند أحمد بن حنبل.

2 شعب الإيمان.

وتعالى في كتابه الكريم:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور : ٣٠]

قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا للهِ عَزَّوَجَلَّ، إِلَّا أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»[1].

«الجزاء من جنس العمل، فمن غضّ بصره عما حرّم الله عَزَّوَجَلَّ عليه، عوّضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرّمات، أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى»[2].

ابن القيم[3]

كل الحوادث مَبداها من النظرِ *** ومُعظم النار من مُستصغَر الشررِ
كمْ نظرةٍ فتكتْ في قلبِ صاحبِها *** فتْكَ السهامِ بلا قــوسٍ ولا وترِ

1 أخرجه أحمد، والبيهقي.

2 إغاثة اللهفان.

3 «ابن قيِّم الجوزية» أو المشهور باسم «ابن القيِّم» هو فقيهٌ ومحدِّث ومفسِّر وعالم مسلم مجتهد، له العديد من المؤلفات، وواحد من أبرز أئمَّة المذهب الحنبلي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، ومن أبرز شيوخه ابن تيمية، ومن أبرز تلامذته ابن رجب الحنبلي وابن كثير.

مقام اليقظة

احلم بمقام أبي بكر المسكي الذي كانت رائحته كالمسك فقيل له: إنا نشم رائحة المسك على الدوام، فما سببه؟ فقال: «والله لي سنين عديدة لم أمسَّ المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت عليَّ حتى أدخلتني دارها وأغلقت دوني الأبواب وراودتني عن نفسي، فتحيرتُ في أمري، فضاقت بي الحيل، فقلت لها: إن لي حاجة في الطهارة، فأمرت بجارية لها تمضي بي إلى بيت الراحة -مكان قضاء الحاجة- ففعلتْ، فلما دخلتُ بيت الراحة أخذت العَذِرة «أي: القذارة» وألقيتها على جميع جسدي، ثم رجعتُ إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأتني دهشت ثم أمرت بإخراجي، فمضيت إلى بيتي واغتسلت، فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام قائلًا يقول لي: فعلتَ ما لم يفعله أحدٌ غيرُك، لأطيِّبنَّ ريحك في الدنيا والآخرة، فأصبحت والمسك يفوح مني».....واستمرت تلك الرائحة لا تنقطع وبقيت حتى مات[1].

احلم بمقام النبي يوسف عليه السلام الذي سأل الله أن يصرف عنه كيد النساء:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]

1 المواعظ والمجالس لابن الجوزي.

قل: يا رب؛ لأنْ أجلسَ وسـط أهلي أحـب إليَّ من خروجي مع بنات يُعجزني التحكم في شـهواتي معهن! واقرأ سورة يوسف بنيَّة أن ينقي الله قلبك من سحر النسـاء ويملأه بحبه وبالصبر حتى تتزوج ويسعدك مع زوجتك حلالك.. وقل له: يـا رب؛ بحق مسجدك وبيتك يا كريم اجعل قلبي سليمًا وطاهرًا وصبورًا عفيفًا مثل سيدنا يوسف عليه السلام.

الخلاصة

من هو المسحور بسحر النساء؟

هو كل من كان همه التقرب من النساء؛ ليصطاد قلبهن، ويصاحبهن، ويلمسهن.

علامات سحر النساء:

- **أولًا:** دوام إطلاق البصر.
- **ثانيًا:** بذل المجهود من أجل لفت نظر النساء.
- **ثالثًا:** الملل من الأماكن التي ليس بها فتيات.

عواقب سحر النساء:

- **أولًا:** داء الشرَه.
- **ثانيًا:** حرمان لذة الحلال.
- **ثالثًا:** ضنك الدنيا والآخرة.

علاج سحر النساء:

- غض البصر.

سحر
المصلحة

إنه حقًّا لَداءٌ خبيث، يباعد بين القلوب، فيجعل كل إنسان منكبًّا على ذاته، لا يرى إلا احتياجاتها فقط، ويتواصل مع الآخرين في حدود خدمة أهدافه ومطامعه، وتتلاشى مع هذا الداء كل المشاعر الإنسانية النبيلة، وكل قيم أخلاقية دعا إليها الدين الحنيف، ويتجرد الإنسان من الإحساس بآلام الآخرين، وهمومهم، ومتطلباتهم؛ ليعيش في دائرة مغلقة... لا يعنيه إلا ما يحقق له المنفعة... إنه المُصاب بسحر المصلحة.

وبالطبع أنا لا أعني ألا تحرص على ما ينفعك، فقد قال النبي ﷺ:

«المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ...»[1]

فمثلًا أن تكون طالبًا فتهتم بدراستك، وتبتعد عمن يقصر فيها، ولا يحرص على مستقبله، فأنت حريص على مصلحتك.. أن تعمل باجتهاد لتطور من نفسك، وتتفوق في عملك، وتبتعد عمَّن يتكاسل في عمله، ولا يريد أن يتحمل المسئولية، فأنت حريص على مصلحتك.. عندما تسعى أن تتقرب إلى الله، وتزكي نفسك، وترفض أن تشارك غيرك في ارتكاب المعاصي، فأنت حريص على مصلحتك.. فكل تلك معانٍ راقية جدًّا، فليست المشكلة في الحرص على المصلحة، ولكن أن تصير أنانيًّا وانتهازيًّا.

1 رواه مسلم.

من هو المسحور بسحر المصلحة؟

هو من صار أنانيًّا وانتهازيًّا، فلا يسعى إلا في كل ما يجلب له نفعًا، أما ما ينفع الآخرين فلا يلتفت إليه، بل ربما سعى في حجبه عنهم، أو الاستحواذ عليه لنفسه؛ فهذا هو الأمر المذموم الذي نسعى معًا لنتخلص منه.

علامات سحر المصلحة

أولًا الطغيان على المصالح العامة لصالح المصلحة الشخصية

بحيث يصير الشخص أنانيًّا، لا يراعي إلا مصلحته فقط، ولو على حساب مصالح الآخرين، فترى شابًّا يُصر على أن يأخذ سيارة أبيه في عطلة نهاية الأسبوع؛ ليخرج مع أصدقائه، ولا يعنيه أن يترك أمه وإخوته يركبون المواصلات العامة، وآخر يأخذ مبلغًا كبيرًا من المال ليشتري قميصًا من متجر معروف؛ ليتباهى به بين زملائه، مع علمه أن ذلك لا يتناسب مع قدرة والده المادية، إلى غير ذلك من مظاهر الأنانية التي -للأسف- نراها منتشرة بين الشباب.

وفي حياة النبي ﷺ موقف نحو ذلك حدث مع الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه حيث كانت له أرض يسقيها، ويترك الماء ليمر ويسقي أرض جار له من الأنصار، غير أن الرجل أراد أن يسقي هو أولًا قبل الزبير، مع أن الماء يمر أولًا بأرض الزبير،

... فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ». فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ. فَتَلَوَّنَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ...»[1].

فانظر كيف كان رد فعل النبي ﷺ حازمًا حين رأى أنانية ذلك الرجل الذي دفعته أن يظن سوءًا في أشرف الخلق ﷺ وأنه يُحابي ابن عمته الزبير.

وعلى العكس تمامًا قصة يرويها لنا أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حرَّة[2]، فَإِذَا شرجة[3] مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَد اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمَسَاحَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عبدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ. لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَهُ فِي السَّحَابِ -أي إنه الاسم ذاته الذي سمعه الرجل في السحاب- قَالَ: فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذا قُلْتَ

1 رواه البخاري.

2 حرة: الأرض التي تكثر بها الحجارة السوداء.

3 شرجة: مفرد شراج، وهي الطرق التي يسيل فيها الماء وينحدر.

هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلى مَا يَخْـرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»[1].

هذا إنسان يراعي الصالح العام وليس مصلحته وأولاده فقط.

يقول تعالى:

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ [التوبة: ٨]

هذه الآيــة نزلت في المنافقين، وهم صنف من الناس في منتهى الأنانية، لا تعنيهــم إلا المصلحة فقط، بحيث إنهم إذا شــعروا في أي وقت بالقوة على المؤمنين لا يراعون قرابة، ولا يحفظون عهدًا... فهل يَسُرُّكَ أن تكون منهم؟!

ثانيًا المَنُّ على مَن حولك

فالشــخص المانُّ هو من يفعل المعروف وينتظر الشكر عليه، ولا يترك فرصة دون أن يُذَكِّرَ الآخر بما قدمه له من العون أو المساعدة، وقد ذكر لنا الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن أن المن يُبطل العمل الصالح، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

1 رواه مسلم.

فالمن بالصدقة محرم؛ لأن المنة لله وحده، وليس للعبد أن يمن بنعمة الله وإحسانه وفضله، وعندما جاء نفر من الأعراب يمنون على النبي ﷺ بإسلامهم ونصرتهم له أنزل الله ﷻ قوله:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]

أي قل لهم: لا تمنوا علي دخولكم في الإسلام، فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، ولله المنة عليكم أن وفقكم للإيمان به وبرسوله، وكذلك الحال في أي عمل خير تعمله ينبغي أن تحمد الله على توفيقه لك وأنْ يسَّرَهُ لك.

وقد رُوي أنَّ علي بن الحسين زين العابدين كان يحمل الجراب على ظهره بالليل ليدور به على بيوت الفقراء فيضع أمامهم الطعام، ولم يكن يسأل خادمًا أن يعينه على ذلك، ولما مات وُجدت آثار في ظهره عند تغسيله من سواد في جلده، فكان ذلك من أثر ما كان يحمله على ظهره ليوصله للفقراء، فكم كان حريصًا رضي الله عنه ألا يعلم أحد بصدقته؛ ليكون ما يفعله خالصًا لوجه الله، دون نفاق أو رياء.

قصة مسحور[1]

هي قصة حكاها لنا القرآن الكريم عن حديقة يملكها رجل صالح، فكان وقت الحصاد يترك الفقراء يدخلون ليأخذوا ما يشاءون منها، وعندما مات عزم أبناؤه أن يقطعوا ثمار حديقتهم، مبكرين في الصباح، لئلا يطعم منها غيرهم من المساكين

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾

فكان العقاب من الله أن أنزل عليها نارًا فأحرقتها وهم نائمون فأصبحت كالسواد العظيم

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾

فنادى بعضهم بعضًا وقت الصباح أن اذهبوا إلى زرعكم، فاندفعوا مسرعين وهم يتسارُّون بألا تمكنوا أحدًا من المساكين من دخول حديقتكم، وكانوا في غاية الإصرار على تنفيذ عزمهم

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾

1 الآيات في القصة من سورة القلم «17 - 32».

فلما رأوا حديقتهم وقد احترقت أنكروها وقالوا: لقد أخطأنا الطريق، فلما عرفوا أنها حديقتهم أدركوا أنهم حُرموا خيرها بسبب منعهم المساكين منها

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾

فقال أفضلهم وأقربهم إلى الخير: لو أنكم تُسبِّحون! فقالوا وقد عادوا إلى رشدهم: تنزه ربنا عن الظلم فيما أصابنا، بل نحن مَن ظلمنا أنفسنا

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾

فأقبل يلوم كل منهم الآخر، وقالوا: يا ويلنا قد جاوزنا الحد في منعنا الفقراء، عسى ربنا أن يقبل توبتنا، واعترافنا بخطيئتنا، إنا إلى ربنا وحده راغبون، راجون العفو، طالبون الخير.

عواقب سحر المصلحة

أولا أن يصبح خبيث النفس

لا يعنيه مَن حوله، بل كل همه منصرف إلى مكاسبه الشخصية، لا يقبل أن يتنازل عنها مهما كانت الأسباب، وفي ذلك يحكي لنا الشيخ علي الطنطاوي في سلسلة له بعنوان «قصص من واقع الحياة»، أنه في أيام

الاحتلال لبلاد الشام كان بعض المشايخ يقومون بجمع التبرعات لمقاومة الاحتلال، وكان الجميع يساهمون كلٌّ بحسب وسعه وطاقته، غير أن أحد الأغنياء -وكان شديد الثراء- رفض التبرع بدعوى أنه لا يجد ما يكفي من المال، كما أنه يخشى ظروف السوق المتغيرة من آن لآخر، ومرت الأيام وإذ بالشيخ الذي يقوم بتوزيع المساعدات على الفقراء يرى شخصًا يقف في الصف مع الفقراء، وكأنه يتخفى حتى لا يراه الشيخ، فلما أمعن الشيخ النظر إليه شعر وكأنه يعرفه من قبل، حتى تذكره، إنه هو ذات الشخص الثري الذي رفض التبرع من قبل، فتعجب وسأله: ما الذي أوصلك إلى تلك الحال؟ فأجابه بأن الاحتلال طمع في ممتلكاته فصادرها كلها وتركه فقيرًا لا يملك شيئًا... انظر كيف كان الجزاء من جنس العمل!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ فَقَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»[1].

1 رواه مسلم.

أي إن أفضل الصدقة إذا كان الإنسان صحيح البدن؛ لأنه يأمل البقاء، ويخشى الفقر إن طالت به الحياة، فكأنه برهان على مراعاته للصالح العام وعدم أنانيته، وذلك بخلاف المريض الذي تهون الدنيا في عينه، أما أن يشارف على الموت فيأخذ يعطي ماله لهذا ولذاك فهذا لا يجدي؛ لأن المال أصبح ليس ملكًا له باعتبار أنه سينتقل في القريب إلى ورثته، والحديث يدل على أن الصدقة عند اقتراب الأجل أقل ثوابًا، فليبادر الإنسان إليها وهو لا يزال في صحته.

يقول تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥]

ففي الآية أن الأقوال ليست دليلًا على حسن أو سوء خلق صاحبها، فتجد أحدهم يتحدث عن مراعاة الصالح العام، والتكاتف لخدمة المجتمع، فإذا انصرف عمن خدعهم بكلامه، مشى في الأرض يفسد فيها، ويكثر الخصومة في أمور الدنيا من فرط تعلقه بها؛ لذا يقول ﷺ:

«لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ خِبٌّ وَلا مَنَّانٌ وَلَا بَخِيلٌ»[1].

1 رواه الترمذي.

أي لا يدخل الجنة من كان مخادعًا يمكر ويفسد بين الناس، وكذلك البخيل الذي يمنع العطاء عن الفقراء، والمنان الذي يمن عليهم بعد العطاء، وكلها صفات نجدها في المسحور بالمصلحة.

ثانيًا ❁ أن يصبح سيئ الذكر

في زيارة لمتحف قصر توبكابي Topkapı Sarayı في مدينة إسطنبول، دخلت إحدى الغرف، وكانت بها آثار يُقال إنها للنبي ﷺ، هذا المتحف يقصده الملايين من كل أنحاء العالم، مسلمون وغير مسلمين، فجاءتني خاطرة وهي كيف أن رسول الله ﷺ رفع الله ذكره في العالمين، منذ بعثته وحتى يومنا هذا وإلى قيام الساعة، لماذا؟ لأنه ﷺ ما عاش لنفسه قط، وإنما كان مهمومًا بالناس يرجو لهم الخير، ولم تحدثه نفسه يومًا أن ينتقم ممن أساء إليه، بل كان ينصح أمته قائلًا:

«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

حتى تسود الألفة والمحبة في المجتمع، ولا يتحقق ذلك إلا إذا حرص كل فرد على مصلحة غيره حرصَه على مصلحته الشخصية.

وعلى النقيض من ذلك من عاش لنفسه فقط، فإنه أيضًا يموت وتطوى سيرته، بل ربما ذكره الناس بالسوء، وحمدوا الله أنهم استراحوا منه، وفي

1 متفق عليه.

يوم القيامة تجده وأمثاله يقولون:

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠ - ١٠٢]

لأنهم يعلمون أنه لا أحد يشفع لهم، وليس لهم صديق حميم يَصدُق في مودته، فيشفق عليهم؛ لذا عندما أعلم أن شخصًا أدى العمرة لمتوفًّى أعلم حتمًا أن ذلك المتوفى كان يسعى في حوائج الآخرين، فلما مات سخَّر الله له من يفعل له الأعمال الصالحة.

علاج سحر المصلحة

أن تمرن نفسك على العطاء اليومي، فلا تدع يومًا يمضي دون أن تساعد أحدًا أو تقدم له العون، وقد أوصانا أحد مشايخنا أن نحرص أن يكون معنا مبلغ من المال لنتصدق به عند خروجنا؛ حتى يعيننا ذلك على أن نتفقد أحوال الناس، وننظر أيهم يحتاج المساعدة، ولست أعني المساعدة المادية فقط؛ بل الأمر يشمل كل صور تقديم المنفعة أو دفع الضرر، كما جاء في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال:

«إِنَّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ كُلَّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ صَدَقَةً مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ.

قُلْتُ: يا رَسُــولَ اللهِ، مِنْ أَيْنَ أَتَصَدَّقُ وَلَيْسَ لَنَا أَمْوَالٌ؟ قَالَ: أَوَلَيْسَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ التَّكْبِيرُ، والحَمْدُ للهِ، وسُــبْحَانَ اللهِ، وَتَسْــتَغْفِرُ اللهَ، وتَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ المُسْــلِمِينَ وَالعَظْمَ والحَجَرَ، وتَهْدِي الأَعْمَى، وَتدلُّ المُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَرْفَعُ بِشِــدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ؟ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ...»[1].

فساعدْ غيرَك على قدر ما تســتطيع، ولا تنتظر مقابلًا منه، فقط الأجر مــن الله، وقد تعلمتُ من أحد أصدقائــي أني إذا أخرجت صدقة لفقير لا أطلــب منه أن يدعوَ لي ولا حتى أنتظــر منه ذلك حتى يكون ما أفعله خالصًا لوجهه تبارك وتعالى، وأكون ممن قال الله فيهم:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان ٥: ٩].

1 أخرجه النسائي في سننه، كتاب: عشرة النساء.

مقام اليقظة

مقام الأنصار[1] -رضوان الله عليهم- والذين قال عنهم الله في كتابه العزيز:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

فأخبر عنهم أنهم يبذلون ما عندهم من الخير مع حاجتهم إليه، ويقدمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، حتى مدحهم رسول الله ﷺ فقال:

«الأَنْصَارُ شِعَارٌ[2]، وَالنَّاسُ دِثَارٌ... »[3].

أي هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصق بي من سائر الناس.

فلنسْعَ معًا أن نكون كالأنصار، الذين اختار الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه أن يعيش معهم، ويُدفن في أرضهم؛ ليعطر ترابها بجسده الشريف، صلوات ربي وسلامه عليه، ولنتخلق بأخلاقهم كي نحشر وإياهم يوم القيامة في زمرة الحبيب ﷺ.

1 الأنصار في التاريخ الإسلامي هم أهل يثرب الذين ناصروا رسول الله ﷺ، وهم ينتمون إلى قبائل الأوس والخزرج.

2 الشعار: هو الثوب الذي يلي الجسد، والدثار: ثوب يكون فوق ذلك.

3 رواه البخاري.

الخلاصة

من هو المسحور بسحر المصلحة؟

هو من صار أنانيًا وانتهازيًا، فلا يسعى إلا في كل ما يجلب له نفعًا، أما ما ينفع الآخرين فلا يلتفت إليه، بل ربما سعى في حجبه عنهم، أو الاستحواذ عليه لنفسه.

علامات مسحور المصلحة:

- **أولًا:** الطغيان على المصالح العامة لصالح المصلحة الشخصية.
- **ثانيًا:** المنُّ على من حولك.

عواقب سحر المصلحة:

- **أولًا:** أن يصبح خبيث النفس.
- **ثانيًا:** أن يصبح سيئ الذكر.

علاج سحر المصلحة:

المساعدة، ولست أعني المساعدة المادية فقط، بل الأمر يشمل كل صور تقديم المنفعة أو دفع الضرر.

سحر
الحرية

احترام الضوابط والقوانين... إنه الفارق الحضاري بين الإنسان والحيوان، وهو الذي يجعل الفرد منا يرتقي بإنسانيته إذا ما التزم بها، وهذه القيود على نوعين: أحدهما وضعه الخالق -تبارك وتعالى- لتكون دستورًا لحياة العباد وهي المسماة بـ «الشريعة»، والنوع الآخر من وضع البشر بعد أن اختبر بعضهم بعضًا، وأدركوا شره الكثير منهم للتصرف كما يحلو له مهما كانت تبعات ذلك، فكانت «القوانين» التي تحول دون أن تصبح الأرض غابة؛ البقاء فيها للأقوى.

وقد كفل الله -سبحانه وتعالى- لبني آدم حرية الاختيار، ولكن في إطار ضوابط محددة، تلك الحرية التي منحها لأبيهم آدم من قبل، عندما أباح الله له أن يأكل من الجنة إلا شجرة بعينها، فما كان من سيدنا آدم إلا أن كسر ذلك القيد، فماذا حدث ، قال تعالى:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨]

وكذلك يفعل البشر مع من ينتهك القوانين، فإنه يهبط إلى مرتبة ساكني الأقفاص، بعد أن تصادر حريته ليكون خلف القضبان.

من هو المسحور بسحر الحرية؟

المسحور بسحر الحرية هو ذلك الشخص الذي يستلذ بفك القيود وخرق القوانين أيًّا كان نوعها: ربانية أو مجتمعية، وفي الوقت نفسه لا يقبل توجيهًا من أحد أو أن يقال له: افعل ولا تفعل... إنه بالفعل سحر مدمر للبشرية... إنه سحر الحرية.

علامات المسحور بسحر الحرية

أولا التهور

فتراه يندفع في تصرفاتــه دون أن يفكر في العواقب، فلكل فعل عواقبه في الدنيا، ســواء أكانت محمودة -من تيســير الأمور، والأرزاق، وهناء العيش- أم عواقب سيئة -من ضنك الحياة، ومنع إجابة الدعاء، وضيق الرزق- هذا خلافًــا لعواقبه في الآخرة من رضا الرحمن ودخول الجنان، أو غضبه جل في علاه، وخلود في النار، وعن النبي ﷺ أنه قال:

«إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَالحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْــتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِن النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ...»[1].

فينبغي أن تنظر في كل أمر تُقــدِم عليه أهو حلال أم حرام، فإن التبس عليك، فلا بد أن تتريث ولا تندفع حتى يتبين لك الأمر.

ثانيا الرغبة في التحرر من أي قيود

سواء أكانت ربانية بيَّنها الشرع أم مجتمعية تعارف عليها الناس؛ رغبة في أن يعيش روح المغامرة وتجربة الأمر ولكن بطريقة مختلفة، كحال الشاب الذي يقدم عــلى الزواج العرفي بفتــاة، فكلاهما يريــدان أن يتحررا من القيود، هو يريد أن يتحرر من تقديم المهر وتوفير المسكن والإنفاق، وهي

1 متفق عليه.

تريد التحرر من سيطرة الأهل لتكون لها حياتها الخاصة مع من تحب، فكلاهما على خطأ؛ لأن الزواج هو مسئولية في المقام الأول وليس مجرد عواطف ومشاعر لا تستطيع وحدها أن تواجه عواصف وتحديات الحياة.

ثالثًا رفض السماع عن الآخرة

تجده ينفر بشدة من أي حديث عن الجنة أو النار، لماذا؟... لأن الآخرة تعني الحساب على كل أفعاله في الدنيا، وهو يعلم يقينًا -تحت طبقات من التبرير المستمر- أنه سوف يُسأل عن أفعاله يوم القيامة؛ لذا يريد ألا يذكِّره أحد بذلك اليوم، يريد أن يتناسى أنه عبد لله؛ لذا عندما صور الله عَزَّوَجَلَّ قبض الروح في القرآن قال:

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]

أي جاءت شدة الموت بالحق الذي لا مفر منه، ذلك ما كنت تهرب وتروغ منه في الدنيا.

قصة مسحور

هي قصة لفتاة كانت تحلم هي وصديقتها أن تسافرا لاستكمال دراستهما في إحدى الدول الأوروبية، فرفض الأهل بشدة خوفًا عليهما، ولكن ومع الإلحاح وافق الأهل بشرط أن يكون السفر لدولة عربية، في الوقت الذي

ظل أخو صاحبة القصة مُصِرًّا على رفض سفر أخته حرصًا عليها، وكان للفتاتين ما أرادتا، وسافرتا بالفعل وصحبهما والد إحداهما لاستكمال أوراق التقديم والاطمئنان على محل إقامتهما، ثم تركهما وعاد إلى بلده.

تقول صاحبة القصة: بعد أن سافر والدي وتركَنا شعرت وصديقتي أننا في قمة السعادة، بعد أن تحررنا من قيود الأهل وصارت لنا الحرية الكاملة في التصرف كما يحلو لنا، وقررنا أن نجرب أشياء غير معهودة لم نفعلها من قبل، فكان أولها شرب «الشيشة»، وإن كنا قد شعرنا بالاشمئزاز منها، إلا أننا أحسسنا بالسعادة لتجربة شيء جديد، ثم اتفقنا أن نذهب لإحدى دور السينما لمشاهدة تلك الأفلام التي لا تمر على الرقابة، واخترنا فيلمًا رومانسيًّا، وكان به العديد من المشاهد الإباحية التي ما كنا لنراها في بلدنا المحافظ، وهنا بدأ الخلاف بيني وبين صديقتي، التي شعرت بتأنيب الضمير وقالت لي: إننا ما جئنا لنفعل هذه الأشياء وإنما لنتعلم وفقط... لقد شعرت تلك الفتاة بعدم الرضا عن أفعالها، وأنها تخون والديها، وأن الله رقيب عليها، بعكس صاحبة القصة التي ظلت على إصرارها على تجربة كل جديد.

تستكمل صاحبة القصة فتقول: كنت أذهب وصديقتي معًا إلى الجامعة ونعود إلى السكن، وهي تبدو متحفظة، أما أنا فأكون دائمًا منطلقة، وكان لنا زميل في الجامعة على قدر من الوسامة، وبدأ يطاردني بنظراته حتى شُغلت به، وبدأت أبحث عنه في كل مكان، وقد لاحظت صديقتي ذلك،

وقالت لي: تريدين أن يكون رفيقًا لك كما حدث في الفيلم الذي شاهدناه؟! فأنكرت ذلك، وقلت لها إنني أستطيع أن أتحكم في نفسي ومشاعري، حتى جاء يوم ناداني فيه باسمي، فدهشت أنه يعرفه، وسألني عن بلدي، فأخبرته، فقال لي: نحن في بلدنا نحب بلدكم كثيرًا.. وما زالت صديقتي تحذرني منه ومن نفسي الضعيفة، وأنا لا ألتفت لحديثها، ثم طلب ذلك الشاب مني رقم هاتفي، وبدأ يحدثني، ومع الأيام طلب مني أن نخرج معًا فوافقت، غير أني لم أخبر صديقتي، وكنت أدّعي أني سأذهب لشراء بعض الاحتياجات وهي تنظر لي وتبتسم كأنها تعلم أني سأخرج لمقابلته.

وكانت المشاجرة بيني وبين صديقتي عندما طلب مني ذلك الشاب أن نسافر معًا ووافقت؛ الأمر الذي أثار صديقتي، وقالت لي في انفعال شديد: لقد تغيرتِ كثيرًا، فأنكرتُ ذلك، ورفعتُ صوتي بشدة؛ لأني أعلم أني على خطأ وأني قد تغيرت بالفعل، وسافرت معه وشربت سجائر معه لأول مرة في حياتي، وانتهى الفصل الدراسي الأول ونجحت صديقتي بتفوق، أما أنا فنجحت بصعوبة ورسبت في إحدى المواد، وكنت حزينة لذلك، وقد حاول الشاب أن يخفف عني فأخذ يقترب مني غير أني تحفظت على ذلك وقلت له: ليس بيننا علاقة رسمية، فقال: أريد أن أتزوجك، وشعرت كم هو مهتم بي وحريص عليَّ كأهلي تمامًا، وطرحت الأمر على صديقتي، فقالت لي: لو فعلتِ ذلك دون علم أهلك فلن أقيم معك في الحجرة، لكني تمسكت بالشاب وتزوجنا بورقة شهد عليها اثنان من أصدقائه.

ومر على زواجنا أربعة شهور، كانت أحلى أيام حياتي، واقتربت امتحانات الفصل الدراسي الثاني، وأنا في السنة الأولى وهو في الفرقة الرابعة، فطلب مني أن يبتعد كلانا عن الآخر فترة الامتحانات لكي نذاكر بشكل أفضل، فوافقت، وبعد أن انتهت الامتحانات ذهبت أبحث عنه، فعلمت أنه سحب أوراقه من الجامعة وعاد إلى بلده، فشعرت بخيبة أمل، ومرارة شديدة، خاصة أني حملت منه وعدت لصديقتي، وبكينا وهي تذكرني بأبي وأخي وماذا سأقول لهما، وقمت بإجراء عملية إجهاض لأتخلص من ابني.

أنا الآن في الفرقة الرابعة، وتقدم شاب لخطبتي، فماذا أفعل؟ هل أحكي له ما حدث بالماضي، وأنه ليس أول رجل في حياتي، أم أتزوجه دون أن أخبره؟ انظر كيف انهارت حياتها بسبب الحرية المزعومة التي كانت تلهث وراءها!!... ويا ترى كم من فتاة جرحت مشاعرها، وضاعت كرامتها، بسبب رفضها لضوابط أهلها؟!

ولكن ومع كل ذلك فالأمل دائمًا لا يزال موجودًا، وكل الأبواب إلى الله تعالى ستظل مفتوحة حتى تبلغ الروح الحلقوم، كما قال حبيبنا المصطفى ﷺ:

«إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[1].

1 رواه الترمذي.

فلنستغفر الله على ما كان منا، ونرجع إليه، فهو أرحم بنا من أنفسنا، يقول تعالى:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]

هيا بادر إلى التوبة، وتخلص من ذلك السحر؛ لتنعم بالحرية الحقيقية، إنها الحرية في إطار الضوابط الشرعية.

عواقب سحر الحرية

أولا الانحطاط عن رقي البشرية

خلق الله -تعالى- بني آدم وكرمهم بأن وهبهم نعمة العقل، الذي به يُعرف الله، ويُفهم كلامه، فالعقل هو مناط التكليف، وهو الأمانة التي قال عنها -تعالى- في كتابه:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]

ويظل هذا التكريم ما دام الإنسان يستعمل عقله في أداء ما عليه من التكاليف، ويلتزم بالعقد الذي بينه وبين الله، وبينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه، أما إذا انساق وراء هواه، فإنه يهبط عن رقي البشرية، ويصير

عبدًا لشهوته، وصدق من قال: من أطاع هواه استعبدته دنياه.

ثانيا ❁ يصبح من المفسدين في الأرض

فكم ممن زعموا أنهم مصلحون أفسدوا في الأرض من حيث أرادوا الإصلاح! ومنهم مصطفى كمال أتاتورك، الذي جاء متمردًا على كل الأعراف والقيم الدينية في تركيا، حيث كانت الخلافة الإسلامية، فكانت النتيجة الانفتاح الزائد، والتشبه بالغرب، وتراجع الهوية الإسلامية للدولة، وكل ذلك في ميزانه يوم القيامة، يقول تعالى:

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٣]

فليست الحرية أن ترتدي ملابس غريبة تشعر من حولك بالاشمئزاز منك، وليست في أن تتلفظ بألفاظ لا يرضاها المجتمع من حولك، وإنما الحرية هي التي تكون منضبطة بقوانين إلهية تجعلك لا تضر نفسك ولا من حولك لا في الدنيا ولا في الآخرة، يقول تعالى:

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٩٣-٩٥]

فما من أحد إلا سيأتي ربه يوم القيامة وحده، ذليلًا خاضعًا مقرًّا له بالعبودية، لا مال له ولا ولد.

علاج سحر الحرية

الاستسلام والخضوع لله

أريدك أن تصارح نفسك وتسألها: هل تشعر بالضيق من فكرة العبودية؟ هل أنت مستسلم وخاضع لله؟... الكثير منا ينظر للعبودية على أنها قهر للعباد، وتقييد للحريات، مع أن مقام أن تكون عبدًا لله هو أعلى المقامات؛ لذا استحق سيدنا محمد ﷺ أن ينال هذا الشرف عندما قال الله عنه:

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]

يقصد به النبي الكريم لما قام يقرأ القرآن فتجمع الجن حوله يستمعون إلى تلاوته.. إذن فالعبودية هي مقام تشريف، وحين يتحرر المرء من هواه وسلطان نفسه والشيطان فإنه يرقى إلى منزلة الأنبياء، يقول تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]

أي إن إلهكم الذي يستحق العبادة وحده هو الله، فأسلموا له، وانقادوا لعبادته.

تذكر دائمًا قوله تعالى في الحديث القدسي:

«... مَنْ أَقْبَلَ عَلَيَّ تَلَقَّيْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي نَادَيْتُهُ مِنْ

قَرِيبٍ، وَمَنْ تَرَكَ لِأَجْلِي أَعْطَيْتُهُ فَـوْقَ المَزِيدِ، وَمَنْ تَصَرَّفَ بِحَوْلِي وَقُوَّتِي أَلَنْتُ لَهُ الحَدِيدَ، وَمَنْ أَرَادَ مُرَادِي أَرَدْتُ مَا يُرِيدُ...»[1].

فتأمل كيـف هو حال العبد المطيع لله، وكيف أن من عاش في كنف الله أعطاه الله فوق ما يريد، فسلم نفسك لله... تكن عبدًا له... حرًّا مما سواه.

الخلاصة

من هو المسحور بسحر الحرية؟

هو ذلك الشخص الذي يستلذ بفك القيود و خرق القوانين أيًا كان نوعها: ربانيـة أو مجتمعية، وفي الوقت نفسـه لا يقبل توجيهًا من أحد، أو أن يقال له: افعل ولا تفعل.

علامات المسحور بسحر الحرية:

- **أولًا:** التهور.
- **ثانيًا:** الرغبة في التحرر من أي قيود.
- **ثالثًا:** رفض السماع عن الآخرة.

عواقب سحر الحرية:

- **أولًا:** الانحطاط عن رقي البشرية.
- **ثانيًا:** يصبح من المفسدين في الأرض.

علاج سحر الحرية:

- الاستسلام والخضوع لله.

1 أخرجه الطبراني والبيهقي في شُعب الإيمان.

سحر
الوسطية

لعل من أعظم المحن التي مرت بها الأمة الإسلامية تلك التي كانت بسبب التطرف في الدين، والتعصب لفرقة أو لرأي، وهذا التعصب أو التشدد ليس أمرًا مستحدثًا؛ وإنما كان موجودًا في عهد النبي ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اِعْدِلْ. فَقَالَ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ: «دَعْهُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.....»[1].

أي: إن هناك صنفًا من الناس يمارسون الشعائر الدينية كما لم يمارسها غيرهم، ولكنهم مع ذلك خارج الدين؛ لاعتقادهم أنهم وحدهم هم المتدينون بحق، أما غيرهم فهم جهلة، وقد يخرجونه من الإيمان لرؤيتهم أنه لا يعلم عن دينه شيئًا.

ومن هنا كانت الدعوة للالتزام بما جاء في القرآن والسنة النبوية، ولكن

1 متفق عليه.

في إطار من الوسطية، وهي القدرة على تطبيق الشريعة بضوابطها على مر العصور، دون أن يشعر الإنسان بالتضييق وأنه انفصل عن الواقع الذي يعيش فيه، ذلك أن الوسطية قادرة على استيعاب جميع أنماط البشر، في مختلف البيئات، وعلى مر العصور.

من هو مسحور الوسطية؟

هو الذي يخلط بين الهوى والمزاج الشخصي وبين الوسطية؛ ليخرج بصورة جديدة للدين يغلب عليها التسيب، ويصف كل ما فوقها بالتشدد.

علامات سحر الوسطية

أولًا التناقض و غلبة الهوى

المسحور بالوسطية هو محب لله ﷻ، ولكن غلبه هواه، فتجده مثلًا يجتهد في عمله، ولكنه لا يلتفت لأوقات الصلاة، فيؤخرها عن وقتها أو ربما يجمعها، وإذا سألته عن ذلك يقول: إنَّ العمل عبادة. نعم، إن العمل بالفعل عبادة، ولكن ليس على حساب الصلاة التي فرضها الله على المؤمنين كتابًا موقوتًا، فيجيبك أن هذا تشدد، فهو يوهم نفسه بأنه يتقرب إلى الله بالعمل لأنه عبادة، مع أن الدافع الحقيقي لتهاونه في الصلاة هو شغفه بعمله، فيحب ألا يتركه ولو ليؤدي الصلاة، مع أن النبي ﷺ يقول:

«إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا...»[1].

فإن كنت كذلك، فاعلم أنك أخذت من الدين ما يتفق وهواك، فينبغي عليك -إذن- ألا تخلط بين ما تفعله بدافع المزاج الشخصي، وبين ما تفعله حرصًا منك على ما يدعو إليه الدين، ولا أعني بذلك أن تكلف نفسك فوق طاقتها، فالله تعالى يقول:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾ [التغابن: ١٦]

فابذل كل ما في وسعك لاتباع ما أمر به الشرع، وما شقَّ عليك فادعُ الله أن يعينك عليه، وأن ييسره لك، ولكن لا تنظر إليه بتهاون، وتتهم من يحرص عليه ويدعو إليه بأنه متشدد في الدين.

ثانيًا التعويل على النية لا على العمل

أهم ما يميز الشخصية الوسطية هي حرصها على الأخلاق، وتفاعلها مع الأنشطة الخيرية وخدمة المجتمع، غير أن ذلك أحيانًا قد يصاحبه بعض التجاوزات التي إذا ما حاولت أن تلفت النظر إليها تكون الإجابة بأن المهم هو النية، فعلى سبيل المثال تجد في نطاق العمل الخاص -وكذلك العمل الخيري- اختلاطًا غير منضبط بين الذكور والإناث،

1 رواه الدارقطني «4350»، وغيره... وحسنه النووي في أربعينه.

والإشكالية ليست في الاختلاط، لكن الحفاظ على ضوابط الاحترام والتركيز في العمل، وعدم تجاوز حدود الزمالة بغير مبرر هو الأهم، وهذه التجاوزات تولد مع الوقت نوعًا من الألفة ينتج عنه التساهل في المعاملات بشكل غير لائق، وعندما تواجه أحدهم بذلك وتنبهه إلى ضرورة مراعاة الضوابط الشرعية والمجتمعية في التعامل مع الجنس الآخر تجده يبرر الأمر بأنه لا ينوي سوءًا.

ولهؤلاء أقول: نعم.. النية مهمة في أي عمل، لكن النية الطيبة لا تُصْلح العمل الفاسد، فلا بد أن يكون العمل صالحًا يجيزه الشرع قبل أن تنوي منه خيرًا. ولا شك أن الانفتاح في التعامل بين الرجل والمرأة دون مراعاة الضوابط أمر ينهى عنه الدين، فلابد من الالتزام بغض البصر، وتجنب المصافحة، وتبادل الفكاهة والضحك، ثم بعد ذلك تكون النية، أما أن تكون النية طيبة دون أن يظهر ذلك في التعامل الخارجي بأن يكون في الإطار الذي حدده الشرع فهذا أمر غير مقبول، وإذا كانت النية الطيبة وحدها تكفي، فالذي يصلي إذن لماذا يصلي؟ والذي يحج لماذا يحج؟ وكذلك من ارتدت الحجاب لماذا ارتدته؟ فهل يمكن القول بأن المهم هو محبة الله في القلب ولا داعي للالتزام بتلك الأوامر؟!

ثالثًا قلة التوبة ومحاسبة النفس

أحد أهم مداخل الشيطان هو تهوين المعصية وتعظيم رحمة الله، وهذا حق؛ فبالفعل أي معصية ليست شيئًا بجانب رحمة الله وكرمه، ولكن لا ينبغي أن

يكون هذا هو حالك في تعاملك مع الله، فلا تحاسب نفسك على أفعالك، ولا تنظر في جوانب حياتك لترى هل ما تفعله يتوافق مع مراد الله ﷻ أم لا.

وقد تأملت كثيرًا في الواقع الذي نعيشه، فوجدت أننا أحيانًا نظن في تناولنا لكثير من الأمور أننا ملتزمون بالوسطية، والحقيقة أننا نتعامل وفقًا لما تعارف عليه المجتمع حتى ولو كان ذلك مخالفًا لما أمر به الشرع، أي: إن هناك خلطًا بين الوسطية ونمط الحياة life style، فإذا أراد الواحد منا أن ينضبط بما أمر به الشرع فإنه -للأسف- يُتهم ممن حوله بالتشدد، والمسحور بالوسطية تجد لديه هذا الخلط، فتصير ضوابط الشرع عنده مطاطية، بحيث يدخل فيها الكثير من الأمور المخالفة للدين، فيظن -دون أن يشعر- أنه على الطريق المستقيم، وتقل توبته ومحاسبته لنفسه على أفعاله، ومثال ذلك ما يطلق عليه البعض «كِدبة بيضا»، فالبعض قد يكذب ويقول: مادمتُ لم أضر أحدًا فلا شيء في ذلك، مع أن الكذب في الشرع كله سواء، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

«لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ فَيُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى يَسْوَدَّ قَلْبُهُ فَيُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ»[1].

فأي كذب إذن هو ذنب ينبغي للإنسان أن يتوب عنه.

إن النبي ﷺ كان كثير الاستغفار، دائم التوبة إلى الله، فهل حاجتك إلى

1 موطأ مالك ح1818.

التوبة أقل منه؟!... اسأل نفسك متى آخر مرة تبت فيها إلى الله، فإن رأيت أنك لا تجد ما تتوب عنه فاعلم أنك سُحرت بالوسطية، وأن مفاهيم الشرع اتسعت وتخللها الكثير مما تظن أنه من الشرع. وهو ليس كذلك.

قصة مسحور

هي قصة فتاة لعائلة ثرية، على قدر من التدين، لا يشربون الخمر -خلافًا لمن هم في مثل مستواهم الاجتماعي والمادي- يحرصون على أداء العمرة كل عام، لكنهم مع ذلك يعيشون نمط حياة يغلب عليه الطابع الغربي، فتجدهم يخرجون مع أصدقائهم لساعات متأخرة من الليل، ويسافرون معًا لقضاء العطلات الصيفية، وتجد الشباب والفتيات يتعاملون بانفتاح شديد، حتى إنهم يتواجدون معًا في حمامات السباحة منذ صغرهم حتى وصلوا إلى المرحلة الجامعية، هذه هي حياتهم، وبطلة القصة لا ترى شيئًا في ذلك، وتقول: «أنا محترمة، وأصلي، ولا أحد ينظر إليَّ نظرة غير لائقة؛ فما المشكلة إذن في أن نذاكر معًا شبابًا وبناتٍ، ونسهر معًا، ويوصلني أحدهم إلى بيتي؟!!».

بدأت الفتاة في حضور دروس الدين، وكانت تبحث عن الدعوة الوسطية؛ كي لا تبتعد كثيرًا عن نمط الحياة الذي تعيشه مع أهلها، وارتدت الفتاة الحجاب، غير أنها ظلت لا تزال تعتقد في ذلك النمط

من الحياة، فمثلًا لا ترى مانعًا من أن يكون لها زميل تحكي له مشاكلها، وتربطها به علاقة صداقة، خصوصًا أن أهلها يشجعون ذلك؛ لأنهم يكرهون التشدد في الدين، والحياة المنغلقة، وبعد أن تخرجت التحقت بالعمل حيث قابلت زميلًا لها، رأته خلوقًا ومحترمًا، وأعجب كل منهما بالآخر، فتقدم لخطبتها، وعلى الرغم من أن الأم رأته متزمتًا بعض الشيء فإنهم وافقوا حيث رأوه جديرًا بابنتهم، وتم الزواج بسهولة.

اتفق الشاب مع زوجته قبل السفر لقضاء شهر العسل أنه سيخرج معها لأي مكان تريده بشرط ألا يكون فيه معصية لله، وسافرا معًا، وكان إذا خرج معها إلى أحد الشواطئ يحاول أن يبتعد عن أماكن وجود الفتيات ذوات الملابس غير اللائقة، وكان مواظبًا على ركعتي توبة بعد أن يعود لعل الله يغفر له ما كان منه، وكانت تتعجب من ذلك؛ لأنها لا ترى في ذلك خطأً، ثم ظهر أمر آخر بدأ يشعر معه الشاب بالضيق وهو زيارته لأهل زوجته؛ لما يراه من تجاوزات تحدث بينها وبين أقاربها من غير المحارم، من المصافحة بطريقة ودود أكثر من اللازم، والمزاح والضحك المتبادل، وعندما يواجهها بذلك تجيبه بأنها لا ترى شيئًا في ذلك.

حملت الزوجة وأنجبت طفلة جميلة، لكنها شعرت أنها تقدمت في السن بعد أن زاد وزنها، وأخذت تشعر بالضيق من مظهرها، خاصة أن صديقات أمها لاحظن ذلك، وقلن لها إنها أصبحت تبدو أكبر سنًّا مما

كانت عليه، وأخذت أمها تشجعها على خلع الحجاب؛ لتبدوَ أصغر سنًّا، ولتستمتع بشبابها في أواخر العشرينيات، والأم لا ترى مانعًا في ذلك؛ لأنها نفسها تحجبت وهي في سن الخامسة والأربعين، فاقتنعت الزوجة بالأمر، وأفصحت لزوجها عن رغبتها في خلع الحجاب وأنها صارت لا تطيق ارتداءه، فرفض بشدة، وهددها بأنه سوف ينفصل عنها إن فعلت ذلك، لكنها أصرت على موقفها، فاستشار اثنين من المشايخ في ذلك الأمر، أحدهما قال له: طلقها وإلا فسوف تحمل وزرها، والآخر قال له: اتركها تفعل ما تشاء، واصبر عليها، وحاول أن تحتويها، فوافق الشاب زوجته على خلع الحجاب، وبدأ الجحيم الحقيقي.

يقول الشاب: «خلعت زوجتي الحجاب، وذهبت معه كل الضوابط لما ينبغي أن يكون عليه زي المرأة المسلمة، حتى أصبحت أخجل من الخروج معها، نعم هي ما زالت تحافظ على صلاتها، غير أني لا أستطيع أن أتحمل تلك الحياة، فلطالما حلمت بزوجة تذكِّرني عند غفلتي، وتعينني على طاعة ربي، فنعيش معًا دون أن نعصي الله، ولكني الآن لا أستطيع أن أخرج مع زوجتي، وأجد نفسي أنظر إلى الفتيات المحجبات وأتمنى أن تكون إحداهن زوجة لي»... بدأ البيت في التفكك، والفجوة تتسع بين ذلك الشاب وبين زوجته، وهما الآن على وشك الطلاق.

عواقب سحر الوسطية

اولا التوقف عن الترقي في مقامات القرب من الله عزوجل

فالطريق إلى الله عزوجل كدرجات السلم، يصعدها الإنسان واحدة تلو الأخرى، تبدأ بالتوبة النصوح إلى الله، ثم التقرب إلى الله بترك الذنوب، والزيادة في الطاعات، ثم رؤيته سبحانه في كل شيء، وشكره في السراء والضراء، والشعور بالتقصير الدائم، والرغبة في إصلاح النفس وتخليصها من التعلق بالدنيا، إذن فهي مقامات يرتقي فيها الإنسان، وقد كتب فيها العلماء العديد من المؤلفات، كلٌّ يصف تجربته وحاله في سيره إلى الله.

لكن المسحور بالوسطية يرى أنه يطبق الدين كما ينبغي، فإذن ليس هناك ما يتوب عنه، أو يتركه من أجل أن يرضي الله، فهو يرى أن صلاح النية يكفي، ومن هنا تقل محاسبته لنفسه، فتكثر ذنوبه دون أن يدري، وتتراكم هذه الذنوب على القلب، فيتوقف عن الترقي في مقامات القرب إلى الله، فيشكو ضيق صدره وقلة خشوعه، وعدم استطاعته البكاء عند الدعاء أو سماع القرآن؛ ولهذا أقول له: اعلم أن «أي قلب، الطاعة تقويه، وترك المعصية ينقيه»، فإياك أن تظن أنْ لا حاجة لك إلى الالتزام بكل ما أمر به الشرع بدعوى الوسطية، وليكن دعاؤك: «اللهم خذ بقلبي في السير إليك... اللهم صلني بمن يصلني إليك... ودلني على من يدلني عليك».

ثانيًا يصير مروجًا لهذا النمط غير السوي من التدين

فالمسحور بالوسطية تجده متناقضًا في سلوكه، فمثلًا قد تجده خلوقًا في تعاملاته لكنه لا يحافظ على صلاته، أو يحافظ على الصلاة ولكنه في الاحتفالات والأفراح تراه يرقص على أنغام الموسيقى وسط الفتيات، أو قد تجده مشاركًا في الأنشطة الخيرية ولكنه غير أمين في تعاملاته المادية، فإذا حاولت أن تلفت نظره إلى ذلك تجده شديد التهكم، هذا النمط غير السوي من تطبيق الدين في بعض جوانب الحياة وإغفاله تمامًا في جوانب أخرى قد يجذب البعض ممن ثقلت عليهم التكاليف الشرعية، فعندما يرون نموذجًا كهذا يسعون إلى تقليده؛ بدعوى أنه لا مشكلة في أن نرتكب بعض المعاصي؛ فالله غفور رحيم، وسيغفر لنا بفعلنا للطاعات.

إن اتباعك لهذا النمط من التدين يجعلك -دون أن تدري- مروجًا له، فاحذر أن تفتن غيرك في دينه، نعم.. الله غفور رحيم، ولكن لا يصح أن يكون هذا منهج حياتك، تسرف في المعاصي بدعوى أن الطاعات ستكفرها، بل قد تتهم غيرك ممن يسعى أن يكون ملتزمًا في كل جوانب حياته بالتشدد، واعلم أنك سوف تسأل عن كل أفعالك بين يدي الله يوم القيامة.

> «إن قومًا غرَّهم حسن الظن بالله حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، يقولون: نحسن الظن بالله، كذبوا والله، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».
>
> الحسن البصري

علاج سحر الوسطية

أولًا إدراك المفهوم الحقيقي للوسطية وهو تطبيق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، بما يواكب العصر، دون إفراط «تشدد» أو تفريط «تسيب».

ثانيًا الجدية في تعاملك مع الأوامر والنواهي التي جاء بها الشرع، يقول تعالى:

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]

فينبغي عليك -إذن- ألا تتهاون فيها أو ترفضها؛ لأن المشرِّعَ هو الله عَزَّوَجَلَّ وهو من خلقك وأعلم بك من نفسك.

ثالثًا إن رأيت من نفسك ضعفًا أو تقصيرًا في أمر ما، فادع ربك أن يعينك عليه وييسره لك، ولا تنظر إلى من يحرص عليه بالتشدد؛ لأن المتشدد هو من يرى نفسه المؤمن الحق، ويفسِّق أو يكفِّر من يخالفه، أما من يلتزم بتعاليم دينه ويحرص أن يدعو غيره إليها فهذا ليس متشددًا.

تذكر قول ابن القيم «يا ضعيف العزم، أين أنت والطريق؟ طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، واضّجع للذبح إسماعيل، وبيعَ يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعانى الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ، بينما تزهو أنت باللهو واللعب!...»[1].

مقام اليقظة

إنه لسيد أهل المقامات، نبينا وحبيبنا محمد ﷺ، فكان عليه أفضل الصلاة والسلام عندما يرسل الصحابة إلى الأمصار لدعوة الناس إلى دين الله يقول:

«يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»[2].

وإذا علم أن أحدهم يطيل الصلاة بالناس يقول:

«...يَا أَيُّهَا النَاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وذا الحَاجَةِ»[3].

1 الفوائد لابن القيم.
2 متفق عليه.
3 متفق عليه.

فاستعن بالله وقل: يا رب

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]

أي: الطريــق الحق؛ طريق الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس طريق من عرفوا الحق فأنكروه، ولم يعملوا به، ولا من لم يهتدوا إليه، وضلوا عنه.

الخلاصة

من هو مسحور الوسطية؟

هو الذي يخلط بين الهوى والمزاج الشخصي وبين الوسطية؛ ليخرج بصورة جديدة للدين يغلب عليها التسيب، ويصف كل ما فوقها بالتشدد.

علامات مسحور الوسطية:

- **أولًا:** التناقض وغلبة الهوى.
- **ثانيًا:** التعويل على النية لا على العمل.
- **ثالثًا:** قلة التوبة ومحاسبة النفس.

عواقب سحر الوسطية:

- **أولًا:** التوقف عن الترقي في مقامات القرب مع الله ﷻ.
- **ثانيًا:** يصير مروجًا لهذا النمط غير السوي من التدين.

علاج سحر الوسطية:

- **أولًا:** إدراك المفهوم الحقيقي للوسطية.
- **ثانيًا:** الجدية في تعاملك مع ما جاء به الشرع من الأوامر والنواهي.
- **ثالثًا:** إن رأيت من نفسك ضعفًا أو تقصيرًا في أمر ما، فادع ربك أن يعينك عليه وييسره لك.

سحر
النوم
والراحة

ألذ شـــعور هو الذي تعيشـــه بعد انتهاء يوم حافل بالعمل، تدخل إلى غرفتك، فتشـــعر كأنـــك في مملكتك، وتســـتلقي على فراشـــك محتضنًا وســـادتك، فتدخل في سبات عميق، وأنت تشـــعر بالاطمئنان، والرضا عـــن الذات، بعد أن أديت ما عليك من واجبات، وأنجزت فيه المهمات، أما أصعب شعور فهو أن تلجأ إلى النوم هروبًا من مسئوليات تنتظر منك الإنجاز، وأنـــت تؤخرها يومًا بعد يـــوم، والأصعب من ذلك أن يصير النوم محور حياتك وهدفك الذي تسعى إليه، فيكون الكسل واللامبالاة هما الأصل وما سواهما أمور شكلية لا وزن لها ولا قيمة... فعندها تكون قد سُحرت أيها المسكين... ولا تسألنَّ وقتها عن الرفعة والتمكين.

إنَّ الشـــعور بالســـكينة والطمأنينة في بلد تنعم فيه بالأمان والاستقرار نعمة لا يدرك قيمتها إلا من يعيش في بلد تمزقه الصراعات، غير أن كثيرًا من الناس قد يُســـحر بذلك الشـــعور، وبدلًا من أن يستثمره في الإعمار والبناء للنهوض ببلاده ورفعة أمته، تجده يُســـلم نفســـه إلى الاسترخاء، فيصير كســـولًا لا هدف له في الحياة إلا مزيد من النوم والراحة، وكم من بلد احتُل، وتشرد أهله، وافتقر، بســـبب الكسل، وفقدان هدف يحيا من أجله الإنسان.

من هو مسحور الراحة؟

هو المتباطئ عن أداء واجباته دون سبب، المتراخي عن القيام بمسئولياته بحثًا عن الراحة، وهناك مثل فرنسي يقول: «أقوى منوم في العالم هو الضمير المُستريح»، فعندما يخفت صوت الضمير الذي يحفز صاحبه على القيام بمهامه ويدفع به نحو السعي والإنجاز، فإن الإنسان يسيطر عليه الشعور بالكسل، ويستسلم إلى سلطان النوم، ويفقد الإرادة والرغبة في أن تكون له بصمته في الحياة.

علامات سحر الراحة:

اولا ادعاء المعاناة

فالمسحور بالراحة دائمًا لديه المبررات التي يختلقها للهروب من مسئولياته، كالازدحام الشديد، وحرارة الجو، والاحتياج إلى الوساطة للحصول على عمل، إلى غير ذلك من الأعذار التي يتهرب بها من أداء ما عليه من واجبات، مع أن العمل عبادة، وهو جهاد في سبيل الله، فعن كعب بن عُجرة، قال: مرَّ على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحابُ رسول الله ﷺ من جَلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله! فقال رسول الله ﷺ:

«إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَوْلَادِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعُفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»[1].

أي: «إن الكد لجلب الرزق كالحرب في سبيل الله».

وذكر الله الكسالى، المتباطئين عن أداء واجبهم في القرآن، فقال تعالى:

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:٨١]

فالكسول حاله كهؤلاء في اختلاق الأعذار، تنصحه بالرياضة للمحافظة على لياقته البدنية، فيقول: لا أريد أن أذهب دون رفيق. اخرج وابحث عن عمل... الجو شديد الحرارة هذه الأيام. التحق بإحدى الدورات التدريبية... ستأخذ وقتًا طويلًا، وقد لا أتمكن من المواظبة عليها... أعذار أعذار أعذار!

وصنف آخر ممن يطلبون الإذن للقعود عن الجهاد، يقول تعالى عنهم:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ..﴾ [التوبة: ٤٩]

1 رواه الطبراني

فهم ادَّعَوا الخوف على أنفسهم من أن يُفتنوا بالنساء، فوقعوا في فتنة النفاق، فكذلك حال من يرفض العمل بدعوى الاختلاط، فهذا ليس عذرًا للقعود عن العمل، بل عليك إما أن تبحث عن عمل ليس فيه اختلاط، أو اعمل في مكان مختلط واحرص على أن تكون أنت منضبطًا، فالكسل -إذن- أمر مذموم، وقد قال سيدنا عيسى عليه السلام: «**إني أكره النوم من غير تعب، والضحك من غير عجب**».

ثانيًا تكبير التفاهات

أي: إنه يُمضي وقتًا طويلًا في أشياء إما أنها لا تحتاج لكل هذا الوقت، وإما أنها قليلة النفع أو لا قيمة لها، فتسأله مثلًا: لِمَ تقضِي 3 ساعات في الألعاب الإلكترونية؟ فيجيب: لأنها تنمي العقل. لِمَ تستهلك 5 ساعات يوميًّا مع وسائل التواصل الاجتماعي؟... حتى أعلم كل جديد يحدث. لِمَ تنام 9 ساعات يوميًّا أو أكثر؟... النوم ليس حرامًا، قال سيدنا محمد ﷺ:

«**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِي**»[1].

فالشخص الفَطِن هو من يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن يُحاسبه الله يوم القيامة..

1 رواه أحمد والترمذي.

«ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة».

الحسن البصري

ومن قواعد الحساب الستة ليوم القيامة هو وجود الشهود، ومن الشهود اليوم، يقول تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]

فإن كنت من أصحاب العقول فلا بد أن تعمل في كل يوم وليلة ما يشهدان لك به، فهل يسرك أن يكون عملك في النهار أنك أمضيته نائمًا، وعملك في الليل أنك أمضيته وأنت تقلب بين القنوات الفضائية أو تلهو بالألعاب الإلكترونية؟!

وفي الحث على إدراك قيمة الوقت وضرورة استثماره في كل ما ينفع يقول رسول الله ﷺ:

«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[1].

1 أخرجه الحاكم في مستدركه.

قصة مسحور

هي لشـــاب تخرج في كلية التجارة، اعتاد وقت أن كان طالبًا ألا يحضر المحاضرات، فـكان يذهب إلى الجامعة متأخرًا بعـد الظهر، ليجلس في الكافيتريا مع أصدقائه وينظر هنا وهناك، وبعد عودته في حوالي السـاعة السادسة مسـاء يمضي ما تبقى من اليوم وحتى قبيل الفجر في الألعاب الإلكترونيـة حتى صار بيتـه قبلة لكل من أراد الجديـد في هذا المجال، وكانـت غرفته دائمًا تفوح منها رائحة السـجائر التـي اعتاد أن يدخنها بشراهة، وبعد أن تخرج بدرجات تكاد تجاوز نسبة النجاح بصعوبة، تمكن عن طريق والده من الالتحاق بالعمل بأحد البنوك، لكنه لم يكن منتظمًا في العمل؛ بسبب عدم قدرته على الاستيقاظ مبكرًا، فأثار ذلك والده الذي هدده بأن يقاطعه إن لم يهتم بعمله.

بعد سـنة من العمل قام أهله بتزويجه بفتاة من أقاربهم، فشعر أنه تحرر مـن رقابة الأهل الصارمة، وأنه صار حرًّا فعاد مجددًا يتكاسـل في عمله حتى طُرد منه، تقول زوجته التي كانت تعمل مُدرِّسـة: «أعود من عملي في حوالي السـاعة الثالثة أو الرابعة عصرًا فأجده وقد استيقظ قبلها بفترة قصيرة، وكعادته يكون غاضبًا يشكو الملل والضيق، حتى أصبحت أكره رؤيته على تلك الحال، ودائمًا أتشاجر معه بسبب كمِّ الأفلام والمسلسلات

التي يشـاهدها، فيقول: وماذا أفعل غير ذلك؟ فتجيبه: اخرج وابحث عن عمل، فيقول: بحثت أكثر من مرة ولم أجد عملًا مناسبًا».

وفي أحد الأيام دخلت زوجته الغرفة فوجدته يشاهد لقطة إباحية على اليوتيوب، فاستشاطت غيظًا وصرخت في وجهه؛ كيف يفعل ذلك وهو متزوج! فتشاجر معها لأنها أشعرته بالخجل من نفسه، ويومًا آخر كانت تريد أن تغسـل قميصًا له، فوجدت به ما يشـبه البذور، فسألت أخاها عنها، فقال لها: هذه لنبات البانجو، ومع الوقت أصبح الشـاب سـمينًا جدًّا، وكان البيت دائمًا تفوح منه رائحة دخان السـجائر، تقول الزوجة: «حاول أبي أن يسـاعده بأن يجد له وظيفة، وسـألني: متـى تريدين أن يكون موعد الذهاب للعمل؟ هل التاسـعة صباحًا مناسب؟ فقلت: لا، بل الثانية عشرة ظهرًا حتى يكون قد اسـتيقظ من نومه»، وبالفعل وجد والدها عملًا لـه، وأيقظته زوجته صباحًا قبـل أن تذهب للعمل حتى يكون مستعدًّا، ولكنها دهشت عندما اتصل بها صاحب العمل في حوالي الثانية عشرة والنصف ظهرًا -وكان صديقًا لوالدها- يسألها عن زوجها الـذي لم يحضر إلى الآن، فعادت إلى البيت لتجـد زوجها نائمًا وقد أغلق هاتفه، فصرخت فيه: «أنت إنسان عديم القيمة، أنت صغير في عيني».

تقول الزوجة: «لا أحب أن أقول لزوجي كلامًا يجرح كرامته، لكن هو من اضطرني لذلـك، والآن يريد أن يكون لنا أطفال، وأخاف إن حدث

ذلك أن أرتبط به أكثر وهو ليس رجلًا في نظري»... انتهت قصة شاب سُحر بالخمول والكسل ففقد عمله، وفقد كرامته كرجل أمام زوجته.

عواقب سحر الكسل والراحة

أولا الاكتئاب

سر سعادة الإنسان هو أن يحقق الاتزان في حياته، فيكون على صلة بالله، محافظًا على فروضه، ناجحًا في عمله ويحقق فيه الإنجازات، وكذلك أن يحافظ على الروابط الأسرية مع أهله وأقاربه، وقد كان النبي ﷺ يحث الصحابة رضوان الله عليهم على العمل؛ لأنه يعلم أن الفراغ يؤدي إلى الشعور بالاكتئاب، فيُسلم الإنسان نفسه لوساوس الشيطان، وقد يحتاج أن يمد يده للآخرين؛ مما يشعره بالذل والمهانة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟». قَالَ: بَلَى؛ حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ المَاءِ. قَالَ: «ائْتِنِي بِهِمَا». قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟». قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ. قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا

الأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إلى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فأْتِنِي بِهِ». فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا». فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ المَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ...»[1].

الثعلب والأسد.. أيها تحب أن تكون؟

هي قصة رمزية لأب خرج مع ابنه يبحثان عن عمل، وفي الطريق وجدا ثعلبًا سمينًا جلس مسترخيًا، ثم جاء أسد، ووضع الطعام أمامه ثم انصرف، فأكل الثعلب ثم نام، فقال الولد لأبيه: أرأيت يا أبي؟ ها هو الثعلب يأتيه الطعام دون تعب، فالطعام رزق، فلا تقل لي أن نبحث عن عمل لنشتري طعامًا، فقال له أبوه: «يا بنيَّ؛ أردتك أسدًا ولم أُرِدْك ثعلبًا» لَم ترضَى لنفسك أن تكون يدك هي السفلى؟! ألم تعلم أن اليد العليا خير من اليد السفلى؟!

ثانيًا الاستسلام للشهوات

فكما يقولون: «رأس الكسلان.. بيت الشيطان». وهذا ما حذرنا منه

1 أخرجه أبو داود في سننه.

النبي ﷺ حين قال:

«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»[1].

فلا تستسلم للكسل؛ بل قم فصلِّ، واذكر الله، وابدأ يومك بنشاط، حتى لو كنت في إجازة، اعمل وطوِّر من نفسك، فمَن استطاع أن يستثمر إجازته في كل ما هو مفيد، فسيُتاح أمامه من فرص العمل المزيد والمزيد، ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه: «يا بنيَّ؛ لا تكثر من النوم والأكل، فإنه مَن أكثرَ منهما بُعث يوم القيامة مفلسًا من الأعمال الصالحة».

تذكر قوله تعالى:

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨]

1 متفق عليه.

فـلا تُسرف على نفسـك، وتُهمـلْ في عبادتك وعملك، وتسـتمرَّ في غفلتـك، فيأتي يوم لا تنفع فيه الندامة، وتتحسر على ما كان منك يوم أن كنت تسـخر ممن يحرصون على أوقاتهم، وعلى تطبيق سـنة نبيهم، وقتها سـتتمنى لو أنك كنت من المتقين، واتبعت هدى رب العالمين، حتى إذا رأيت العذاب، وأدركت أنه لا مفر من العقاب، ندمت على كل ما فات، فاعمل -إذن- لذلك اليوم، وقاوِمْ سـحرَ الكسـل والراحة ولا تدَعْه يتمكنْ من قلبك.

علاج سحر الراحة

عِشْ من أجل قضية أو رسالة، وليكن لك هدف تسعى لتحقيقه، طوِّر من نفسـك، ومن إمكانياتك؛ ليرتفع قدرك عند نفسك، وعند الناس، ومن قبلهم عند رب العالمين، يقول ﷺ:

«خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُه»[1].

فـإن كان طول العمر ليـس بيدك، فإن بيدك أن تُحسـن عملك ابتغاء مرضاة الله، واحرص على اتباع أوامره، واجتناب نواهيه، عشْ للدعوة؛ لدين رب العالمين، نـاشرًا للقيم التي جاء بها النبـي الأمين، واعلم أن

1 رواه الترمذي.

«مجهودًا يتعبك خير من فراغ يفسدك».

وإليك هذين النموذجين، ذكرهما الله تعالى في كتابه الكريم، أحدهما عاش من أجل هدف وقضية، يقول تعالى عنه:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-٩]

فلأنه كان في الدنيا يحاسب نفسه بكرة وعشيًّا، فإن الله يحاسبه في الآخرة حسابًا سهلًا، ويرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا؛ لأنه نجا من العذاب، وفاز بالثواب، أما الآخر فعاش في الدنيا مسرورًا لا يحمل همًّا لقضية أو لهدف يسعى لتحقيقه، فقال تعالى عنه:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠-١٥]

فلأنه نبذ كتابَ الله وراء ظهره في الدنيا، وظن أنه لن يرجع إلى خالقه فيحاسبه على ما قدَّم، فسيأخذ كتاب أعماله أيضًا من وراء ظهره يوم القيامة.

مقام اليقظة

إنه للصحابي الجليل سعد بن معاذ[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيد الأنصار، الذي أسلم وهو في الحادية والثلاثين من عمره قبيل الهجرة على يد الصحابي مصعب ابن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن وقتها حمل همَّ الدعوة لدين الله، فذهب إلى قبيلته، فقال لهم:

«يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدُنا وأفضلُنا رأيًا، وأيمَنُنا نقيبةً. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قال: فوَاللهِ ما أمسى في دار بني الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة».

وفي غزوة بدر، عندما استشار رسول الله ﷺ الصحابة في الخروج، فأجابه المهاجرون أنهم على أتم استعداد لذلك الأمر، غير أنه ﷺ أراد رأي الأنصار، ففطن لذلك سعد بن معاذ، فقام قائلًا:

«واللهِ لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «نعم». قال: لقد آمنَّا بك، فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على

1 صحابي جليل من أهل المدينة، أسلم على يد مصعب بن عمير الذي أوفده الرسول ﷺ للدعوة في المدينة قبل الهجرة.

ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخُضتَه لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجلٌ واحدٌ، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غدًا، إنا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، ولعلَّ الله يريك منَّا ما تقرُّ به عينُك، فسِرْ بنا على بركة الله».

وعن وفاته يقول جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت النبي ﷺ يقول:

«اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»[1].

حيث تعرض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإصابة شديدة في غزوة الخندق، وأُتِيَ به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محمولًا ليحكم في يهود بني قريظة حكمًا وافق حكم الله تعالى، حينما أشار على النبي ﷺ أن يُقتل رجالُهم وتُسبى ذراريهم وتُقسم أموالهم، وبعد ذلك تفجر الدم من جرح سعد بن معاذ ليلقى الله شهيدًا، وكان قد بلغ سن السابعة والثلاثين.

هذا سعد بن معاذ الذي أمضى في الإسلام ست سنوات فقط، انظر ماذا فعل من أجل رفعة الإسلام ونصرة النبي العدنان، وأنت ماذا

1 متفق عليه.

فعلـــت فيما مضى من عمرك؟ وما الذي تنوي فعله فيما هو آتٍ؟ تأمل سِيَرَ مَن عاشوا من أجل هدف وقضية، والتمسْ منها نورًا على درب حياتك..

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

الخلاصة

من هو مسحور الراحة؟

هو المتباطئ عن أداء واجباته دون سبب، المتراخي عن القيام بمسئولياته بحثًا عن الراحة.

علامات مسحور الراحة:

- **أولًا:** ادعاء المعاناة.
- **ثانيًا:** تكبير التفاهات.

عواقب سحر الكسل والراحة:

- **أولًا:** الاكتئاب.
- **ثانيًا:** الاستسلام للشهوات.

علاج سحر الراحة:

عِشْ من أجل قضية، أو رسالة، وليكنْ لك هدف تسعى لتحقيقه.

سحر
المظاهر
والشهرة

قصر «دولما باخشه» بُني في نهاية الدولة العثمانية، في عصر السلطان عبدالحميد الأول، في وقت ضعُفت فيه الخلافة العثمانية أمام الكيان الأوروبي العظيم، واهتزت اقتصاديًا، فأشار بعض الحاشية والملأ المحيطين بالسلطان عبدالحميد أن يبني قصرا منيفًا، يبهر به العالم كله، وبالفعل بنى قصرًا ضخمًا حافلًا بالغرف الكريستال، والغرف الألوان، وبلغت تكلفته ما يعادل 35 طنًا من الذهب، وهو من أضخم قصور العالم، كل هذا من أجل أن يُبهر أوروبا بقوة الدولة العثمانية، ليس في صناعتها، ولا قوة رجالها، ولا مبادئها؛ بل في مظهرها الخارجي فقط، فكانت معه نهاية الدولة العثمانية.

من هو مسحور المظهر؟

هو شخص لا يلتفت إلى الجوهر مطلقًا، وإنما يقيِّم أي شيء بمظهره فقط، وعلى أساس تقييمه لهذا المظهر، يحترم مَن أمامه أو يحقِّره، يتعامل معه أو يتجنبه.

وإن كان من الطبيعي أن يتأثر الإنسان بمظهر مَن أمامه، وأن يترك ذلك انطباعًا في نفسه، لكن ينبغي ألا يصل هذا التأثر إلى حد أن يكون هو المعيار الأوحد للحكم على الناس، بل إن ذلك هو عكس التعامل الرباني

كما قال النبي ﷺ:

«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[1].

وهذا لا يعني ألا يهتم الإنسان بمظهره، وألا يسعى أن يكون حسَنَ الهندام، فهذا ليس كبرًا قَط؛ بل هو شيء يحبه الله ورسوله، كما قال ﷺ:

«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ؛ الكِبر: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[2].

فالمشكلة -إذن- ليست في الاهتمام بالمظهر، ولكن في أن يعطي الإنسان هذا الأمر أكبر من قدره، وأن يكون هذا معياره الأوحد في الحكم على من حوله.

علامات سحر المظاهر

أولا احتقار أصحاب المظهر المتواضع

إنك قد ترى شخصًا متواضعًا في مظهره، يرتدي ثيابًا بسيطة، ولم ينل حظًّا من التعليم، فلا شك أنك ستشعر بداخلك بالبساطة في التعامل

1 رواه مسلم.

2 رواه مسلم.

معه، وأنه لا حاجة إلى إظهار المزيد من التوقير والاحترام، لكن أن يصل بك الأمر أن تكره أن تصلي بجانبه، أو أن تسلم عليه، بل ربما كرهت أن يراك أحدهم وأنت تتحدث إليه، فهذا هو سحر المظهر، ولعل ذلك هو ما منع أبا لهب من الدخول في الإسلام؛ لأنه كره أن يتساوى وهو سيد في قومه مع رجل كبلال، الذي كان عبدًا حبشيًّا؛ فأخذته العزة بالإثم، ومات كافرًا.

«لولا سحر المظهر لكانت استانفورد من نصيب هارفارد»...

من إحدى قرى الريف الأمريكي، قدِمَ الأبوان إلى جامعة هارفارد العريقة، يريدان مقابلة رئيس الجامعة، فخرجت لهما السكرتيرة، وقالت لهما بعد أن نظرت إليهما بشيء من الاستحقار: إن رئيس الجامعة مشغول الآن، فقالا: لا بأس، سننتظر، مرت الساعات حتى يئست تلك السكرتيرة من عودة هذين الأبوين من حيث جاءا، ودخلت إلى رئيس الجامعة تطلب منه أن يخرج لمقابلتهما؛ لأنهما -وكما يبدو- لن يغادرا الجامعة حتى يقابلاه.

وبالفعل خرج رئيس الجامعة، وسألهما: ماذا تريدان؟ فقالا: نريد أن نُسهم في بناء مبنى في الجامعة يحمل اسم ابننا الذي كان طالبًا هنا وتوفي في حادث، فسخِر منهما وقال: إذا بنيتُ مبنًى باسم كل طالب كان في الجامعة ورحل عنها لتحولت الجامعة إلى غابة مليئة بالمباني، ثم هل

تعلمان كم يكلفنا المبنى الواحد؟ إنه يكلف ما لا يقل عن سبعة ملايين دولار، فنظرت المرأة إلى زوجها، وقالت: إن كانت تلك فقط هي تكلفة المبنى الواحد فلماذا لا نبني جامعة ونسميها باسم ابننا؟ فوافقها الزوج...

اتضح فيما بعد أن هذين الزوجين هما من أغنى أغنياء الفلاحين، ويمتلكان آلاف الأفدنة الزراعية، وبالفعل شرعا في تأسيس جامعة من أضخم وأعرق الجامعات، عرفت باسم استانفورد، وهو اسم تلك العائلة... احتقرهما رئيس الجامعة لأنه رآهما دون المستوى، فأسسا جامعة على أعلى مستوى.

ثانيا ادعاء المعرفة

«العلم شرف يدعيه من ليس فيه، والجهل عار ينفيه من هو فيه»، العلم نور، وهو وسام فخر وشرف لمن يحمله، أما من لا علم له فلا يعد من الأحياء، ومن سُحر بالمظهر يريد دائمًا أن يدعي أنه يعلم كل شيء، ويكره أن يسأل عما يجهل، ظنًّا منه أن ذلك ينقص من قدره.

وعن فكرة الكبر بالعلم قال سيدنا عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

> «لَا تَعَلَّمُوا العِلْمَ لِثَلَاثٍ: لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَتُجَادِلُوا بِهِ العُلَمَاءَ، وَلِتَصْرِفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، وَابْتَغُوا بِقَوْلِكُمْ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَدُومُ وَيَبْقَى، وَيَنْفَدُ مَا سِوَاهُ»[1].
>
> عبدالله بن مسعود [2]

1 سنن الدارمي، باب: العمل بالعلم وحسن النية فيه.

2 أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهُذلي، حليف بني زهرة (المتوفى سنة 32 هـ)، صحابي وفقيه ومقرئ ومحدِّث.

فالعلم إذن ليس للفخر والتباهي، وفي ذلك يقول الحسن البصري:

«لَقَدْ صَحِبْتُ أَقْوَامًا إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَتَعْرِضُ الحِكْمَةُ عَلَى لِسَانِهِ فَلا يَنْطِقُ بِهَا، وَسَيَنْتَفِعُ بِهَا وَيَنْفَعُ بِهَا غَيْرَهُ، فَمَا يَنْطِقُ بِهَا مَخَافَةَ الشُّهْرَةِ»[1].

الحسن البصري

أي إن البعض قد يصل به الورع إلى أن يفضل الصمت؛ لأنه يخشى إن نطق بما يعلم أن يُحدث ذلك كبرًا في نفسه.

ثالثًا فعل الشاذ للَفْتِ الأنظار

قد يفكر البعض منا في أن يفعل أشياء بطريقة مختلفة غير معهودة لدى الآخرين؛ فتظهر كفاءته وتميزه عنهم، فهذا لا بأس به، ولكن أن يكون دافعه هو لفت الأنظار إليه فحسب، دون أن يلتفت إلى جدوى ما يفعله، فهذا هو المسحور بالمظهر.

فمثلًا ما الدافع لأن يرفع الشاب صوت التسجيل في سيارته؟! إذا كان يفعل ذلك فقط لأنه اعتاد الصوت المرتفع، فليس هذا من نقصد بحديثنا، وإنما نقصد من يرفع الصوت لا لشيء إلا لأنه يريد أن يلفت أنظار الفتيات إليه وهو يقود سيارته باحتراف!

كذلك من يحرص على الذهاب إلى صالات الألعاب الرياضية، إذا كان يفعل ذلك للمحافظة على لياقته البدنية، وليكون جسمه قويًّا، فلا شيء في ذلك،

1 الزهد لابن المبارك.

فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، أما أن يكون هدفه هو بناء عضلاته كي يحوز إعجاب الفتيات، بل وربما اشترى من الملابس ما يكون ضيقًا ليساعده ذلك أن يستعرض قوته البدنية، فهذا هو سحر المظهر.

تحكيها فتاة عن إحدى صديقاتها فتقول: «كانت لي صديقة تحفظ القرآن، وكنت أتقابل معها مع مجموعة من الصديقات في بيت إحدانا، فكانت دائمًا تحدثنا عن الله وتنصحنا بأن نصلح من أنفسنا، وكنت أنجذب لحديثها، غير أنه كان هناك أمر يزعجني، وهو أنها كانت تتحدث كثيرًا عن نفسها، وكم ضحَّت وهي صغيرة، وجلستْ لتحفظ القرآن، وتدرس العلم، حتى وصلتْ إلى ما هي عليه الآن، وقد أثار ذلك الأمر امتعاضي، غير أني ما زلت أنجذب إلى حديثها عن الله تبارك وتعالى.

وفي أحد الأيام طلبت منها أن أحضر معها درس القرآن، فكانت الصاعقة حين ردت عليَّ بسخرية وتهكم: أنت ومَن هم مثلك لا يهديهم الله. فشعرت أني جُرحت كثيرًا من كلماتها تلك، حتى إنني فكرت ألا أحضر الدرس، لكني تراجعت وقلت في نفسي إنني أفعل ذلك تقربًا إلى الله وليس تقربًا لها، وبالفعل ذهبت إلى الدرس في بيت صديقة لنا وبدأت أتعلم أحكام التجويد، وشعرت بسعادة غامرة؛ لأني بدأت أتقرب إلى الله وأعرفه أكثر، حتى انضمت إلينا فتاة ثرية جدًّا، فوجدت

أن صديقتي معلمة القرآن تهتم بها أكثر من غيرها، ودائمًا تسألها، وتتوجه إليها بالحديث، رغم أن تلك الفتاة الثرية كانت متعالية، وقد لاحظنا ذلك جميعًا، فعندما ذهبنا لمنزلها كانت تعامل الخادمة بتكبر، وتنهرها، على الرغم من كبر سن الخادمة، بل وكانت تنادي عليها باسمها دون ألقاب.

مع الأيام بدأت الصلة تتوطد بين المعلمة وبين تلك الفتاة الثرية، وراحت تذهب إلى منزل تلك الفتاة في أحد المجمعات السكنية الفارهة؛ لتعطيها وصديقاتها دروسًا، ثم بعد ذلك انقطعت عن الحضور إلينا، وانشغلت معهن كثيرًا، وكانت تسعى لإرضائهن فأصبحت لا ترتدي العباءات كما كانت تفعل من قبل، وبدأت في وضع مستحضرات التجميل، ثم بعد ذلك رأيت صورة لها في موقع للتواصل الاجتماعي، وقد تغير مظهرها، وشكل حجابها، بل وحتى ملامحها، ومنذ أسبوع فقط، رأيت صورة لها مع تلك الفتاة الثرية في شرم الشيخ، وهي بدون حجاب، فشعرت بانقباض في صدري، وعلمت أنه ليس منا من يأمن على نفسه الفتن، ودعوت الله لها أن يهديها؛ فهي مَن على يديها تعلمت تلاوة القرآن الكريم، وها أنا ذا أعلمه لأهلي وأقاربي»... انظر إلى من يهتم بالمظهر، ولا يرى الجوهر، تجده يفقد أشياء كثيرة دون أن يشعر.

عواقب سحر المظاهر

أولًا الخسارة

المسحور بالمظهر لأنه لا يعنيه جوهر الإنسان، وإنما يحكم عليه من

خلال المظهر فقط؛ فإنه يخسر الكثير من المخلصين الذين قد يكونون خير عون وسند له؛ لأنه لم يرُقْه مظهرهم، تراه قد يتطلع إلى مَن هم بعيدون عنه ممن سحرته هيئتهم، ويغفل -بل ويعمى بصره- عن أناس حوله يحيطون به يَصدُقونه في إخلاصهم ومودتهم.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:

مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذا؟». فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ؛ هَذا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ؛ هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَلَّا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَلَّا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَلا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا!»[1].

وكأنه ﷺ يقول: إياك أن تنخدع في المظاهر، وإياك أن تتخذها معيارًا تحكم به على الناس.

والأعظم مما ذكرت أن يخسر المسحور بالمظهر نفسه؛ وذلك عندما ينشغل بمظهره على حساب عقله، بثيابه وحذائه على حساب تهذيب

1 رواه البخاري.

نفسه والارتقاء بها، وتأمل قول النبي ﷺ:

«تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[1].

فالمال والحسب والجمال هي مظاهر، أما الدين فهو الجوهر، فمدح ﷺ من ظفر بهذا الجوهر وقال: تربت يداك، أي تعلقت بالتراب الذي هو مصدر النماء والبركة، وقيل في الأثر المشهور: «لَا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ.....». أي «يوقعهن في الهلاك بالإعجاب والتكبر».

ثانيا الإهانة في الآخرة

لأنك عشت في الدنيا منشغلًا بمظهرك ومظهر من حولك، رغم أن الله تعالى عندما تحدث عن يوم القيامة قال:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]

فلم يقل سبحانه وتعالى بشكل كذا أو ثياب كذا، بل قال: بقلب سليم، أي سَلِم من الشر، والإصرار على الذنب، واتصف بالإخلاص، ومحبة الخير، واحترام الفقراء، والشفقة بهم، والعطف عليهم.

1 متفق عليه.

وقال ﷺ:

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا»[1].

فاحترام الكبير، والرحمة بالصغير، دون اعتبار للهيئة أو المظهر، هما من أخلاق المسلم، وقال أيضًا ﷺ:

«لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكتَبَ في الجَبَّارِينَ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ»[2].

يذهب بنفسه: أي يرتفع ويتكبر.

لذلك فلتراجعْ نفسك، وإياكَ أن تُضيع عمرك في المبالغة في الحرص على مظهرك دون أن يكون لك هدف في الحياة تسعى لتحقيقه، تذكَّر دائمًا رب العالمين، وغيِّب نظر الخلق بنظر الخالق؛ حتى لا تكون مسحورًا بسحر المظاهر.

علاج سحر المظاهر

أولًا أمسك عليك لسانك

هذه وصية النبي ﷺ أيام الفتن لتنجوَ بنفسك منها،

1 رواه الترمذي.

2 رواه الترمذي.

وكما قال الحسن البصري:

«وهـذا حال المؤمن دائمًا: يحاسـب نفسـه، مـاذا أراد بكلمتـه؟ ماذا أراد بفعلته؟».

الحسن البصري

أي ينبغـي لك أن تفتش في نيتك، في أي قول أو فعل؛ لتطهر قلبك من النفاق والرياء والشرك، وإياك أن تتفاخر بما تعلم أمام الناس، وتذكر في ذلك قول الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«أول شبر في العلم كبرا».

الإمام الشافعي

ثانيًا خالط البسطاء

كي يعديك حالهم، وهذا هـو دأب الصالحين، من أيام النبي ﷺ وإلى يومنا هـذا، وهو الحرص على مصاحبة البسـطاء، أصحـاب القلوب البيضاء النقية؛ كي يتمثلوا بهم، ويتخلقوا بأخلاقهم.

وعن النبي ﷺ أنه قال:

«إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُـلٌ يُقالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ»[1].

1 رواه مسلم.

أتعلَـمُ مَن كان أحرصَ الصحابة على لقاء أويـس هذا؟... إنه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعن أسـير بن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سـألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد، ثم من قرن؟ قـال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأتَ منه إلا موضعَ درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيسُ بْنُ عَامِرٍ، مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ، مِنْ مرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ».

فاستغفرْ لي. فاستغفرَ له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إليَّ....[1]. فالمراد بقوله: غبراء الناس؛ أي ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم.

مقام اليقظة

إنه مقام الإمام مالك بن أنس، آخـر الأئمة الفقهاء الأعلام، إمام دار الهجرة، الذي قيـل عنه: «لولا مالك لذهب علـم الحجاز». وقال عنه الإمام الشـافعي: «مالك معلمي، وعنه أخـذت العلم». ودُرِجت عنه

1 رواه مسلم.

المقولة الشهيرة: «لا يُفتى ومالكٌ في المدينة».

حين سُئل مالك عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: «لا أدري». فقال له رجل: «إني أتيت إليك من بلد بعيد، أأعود إليهم وأقول مالك لا يعلم؟». فقال له: «نعم، أخبرهم بأن مالكًا لا يعلم»... الإمام مالك العالم الفذ، قال: لا أدري، فلا تخجل -إذن- من قول: لا أدري.

وعن وفاته قيل إنه اشتكى أيامًا يسيرة، وعندما حضره الموت تشَهَّد، ثم قال:

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]

وترك الناس ليكملوا الآية:

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤-٥]

يا رب، يا جميل، يا من تحب الجمال، اقذف في قلوبنا حبك، يا رب اشغلنا بنظرك وليس بنظر الخلق إلينا؛ حتى لا نكون من المفتونين، فإذا وقفنا بين يديك أتيناك بقلبٍ سليم، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

الخلاصة

من هو مسحور المظهر؟

هو شخص لا يلتفت إلى الجوهر مطلقًا، وإنما يقيّم أي شيء بمظهره فقط، وعلى أساس تقييمه لهذا المظهر يحترم من أمامه أو يحقّره، يتعامل معه أو يتجنبه.

علامات مسحور المظاهر:

- **أولًا:** احتقار أصحاب المظهر المتواضع.
- **ثانيًا:** ادعاء المعرفة.
- **ثالثًا:** فعل الشاذ للفت الأنظار.

عواقب سحر المظاهر:

- **أولًا:** الخسارة.
- **ثانيًا:** الإهانة في الآخرة.

علاج سحر المظاهر:

- **أولًا:** أمسك عليك لسانك.
- **ثانيًا:** خالط البسطاء.

سحر
العقل

من أكبر نعم الله التي عظمتها الشريعة: العقل، وهو سر تكريم الإنسان بعد روحه الشريفة، وحفظ العقل هو أحد مقاصد الشريعة الخمسة «حفظ النفس، والدين، والمال، والنسل، والعقل»، ولا يُكلف العبد بالتكاليف الشرعية إلا إذا كان مسلمًا بالغًا عاقلًا.

وقد صار طلب العلم من أشرف العبادات؛ لأن العلم غذاء العقل، فأخذ العلم شرفه من شرف العقل، كلما كمُل العقل كمُل الدين، وارتقى الإنسان في معرفته لرب العالمين، وارتقى في بناء الحضارة وعمارة الأرض، وأكمل وظيفته كخليفة لله في أرضه.

ولكن مهما زادت ثقافة الإنسان ونضج عقله فهو عبد استشاره لعقله في التأمل في حكمة مولاه من أوامره، والخطر -كل الخطر- أن يُسحر الإنسان بهذا العقل حتى يتعاظم به على ربه.

والآيات التي تدعو لإعمال العقل بالتفكر في بديع صنع الله والتأمل فيما وراء الأحداث والأقدار من الحكمة، آيات كثيرة في القرآن الكريم.

من هو مسحور العقل؟

هو الشخص الذي أخضع كلام الله، وكلام رسوله ﷺ لعقله، فإنْ قبِله العقل آمن به وصدَّقه، وإن لم يقبله رفض الخضوع له، مع علمه أنه من كلام الله وكلام نبيه ﷺ، إنه الشخص الذي علم الحق ثم رفضه؛ لأنه لا يتوافق مع هواه ومزاجه.

هؤلاء تكلم عنهم الله في أولى سور المصحف، وهي سورة الفاتحة حين قال تعالى:

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

فقال أهل العلم إن المغضوب عليهم هم من علِموا الحق ثم رفضوه وأعرضوا عنه.

كم رأينا أممًا متقدمة سُحرت بعقلها! صنعت أدق وأضخم الاختراعات، ثم عبدت وثنًا وبقرًا، ودافعت عن الشذوذ الجنسي، ومنهم من عاش لعشرات السنين بعقلية عنصرية تكره السود بسبب لون بشرتهم، فليس الأمر -إذن- أن تملك عقلًا تحكم به على كل شيء، ولكن أن يهدي الله ذلك العقل، أولًا لمعرفته، والتعلق به سبحانه، والنظر في بديع صنعه في الكون، وثانيًا ليسخر هذا الكون لإسعاده، وإعانته على أداء وظيفته فيه،

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

علامات سحر العقل

اولا عدم وجود النية لقبول الحق

هناك فرق بين أن تعلم الحق لكنك أضعف من أن تقوم به، كمن يعلم بأن

الصلاة فرض لكنه لا يستطيع أن يحافظ عليها، فيسأل غيره أن يدعو له، أو من تعلم بأن الحجاب فرض وترى غيرها مـن المحجبات وتتمنى من داخلها أن تأخذ هذه الخطوة، وبين أن تعلم الحق ولا تنوي أن تقوم به، بل وتتعالى عليه.

كان لرسـول الله ﷺ غلام يهودي، مرض هذا الغلام، فذهب رسول الله ليعوده، فرأى أنه سـيموت فأخذ يحثه على النطق بالشهادتين، فنظر الغلام لوالده وكأنه يسأله أيُردِّد ما يقول رسول الله؟ فقال له أبوه: أطِعْ أبا القاسم، فنطق الغلام بالشهادتين، ثم فارق الحياة، ففرح رسول الله ﷺ، وقال:

«الحمد لله الذي أنقذه من النار»[1]

أما الأب فلم يدخل في الإسـلام، وظلَّ على كِبره وعناده؛ لأن اليهود كرهوا خروج النبوة من بني إسرائيل، فهم يعلمون الحق لكنهم رفضوه.

فلتنظـر -إذن- في حياتك هل فيها ما لا تنـوي أن تقبل فيه بحكم الله وحكم رسوله ﷺ؟

يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦ - ١٤٧]

1 المستدرك على الصحيحين.

إذا كانت الإجابة بنعم؛ فهذا دليل على أنك قد سُحِرت بعقلك، وتعتقد أن لديك القدرة على الحكم على كلام الله ورسوله.

ثانيًا ضيق الصدر

الشخص الذي يرفض السماع للحق أحيانًا تأتيه لحظات من تأنيب الضمير، فيشعر كما لو أنه لا يريد أن يذكِّره أحد بالحق، أعرف شخصًا كان لا يطيق أن يذكِّره أحد بالتسمية قبل الأكل، أو الحمد بعده، فكأنه لا يريد أن يتذكر نعمة الله عليه؛ حتى لا يتذكر ما أمره الله به، وفرضه عليه، وينفر بشدة لو قلت له إن السجائر حرام، ويعاند في كبر ويطلب الدليل على ذلك، فكان يرى أنَّ عقله أكبر من أن يتقبل نصحًا من أحد، هذا الشخص قرأ بحثًا أن جزيئات الماء إذا قُرئ عليها كلام إيجابي فإنها تأخذ شكلًا جميلًا ومُتَّسقًا، فعلم بأهمية التسمية.

نعم.. العلم يزيدنا إيمانًا وتصديقًا، ولكن لا ينبغي أن نحتاجه ليثبت لنا أنَّ ما جاء من عند ربنا هو الحق، يقول تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١١-١٦]

فبعد كل هذه النعم التي أنعم الله بها عليه، لا يزال معاندًا لا يقبل أن

يخضع لأوامر الله ونواهيه.

وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾[الأنفال: ٢٠-٢١]

فالله يأمرنا بطاعته -سبحانه- وطاعة نبيه ﷺ، وألا نستمع إلى ما جاء به القرآن ثم لا نلتفت إليه ولا نعمل به كأننا لم نسمعه، فهناك من يُنصح بضرورة المحافظة على الصلاة أو الصدق في الأقوال أو غض البصر فلا تجد منه إلا اللامبالاة، وتستشعر منه عدم النية الصادقة في أن يغير من نفسه، مثل هؤلاء قال الله عنهم في كتابه:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]

فالله ميَّزنا بالعقل، فاسمع وتدبر؛ لأن الأذن والعين كلتيهما تشكلان العقل، واعلم أن من أهم ما يميز المسلم الخضوع والاستسلام لما أمر الله به.

ثالثًا لا مرجعية له

قد أكون طالبًا للعلم الشرعي، فآتي وأجلس بين يدي العلماء لأتعلم منهم، وقد أريد أن أكون طبيبًا، فأذهب لأدرس على يدي المتخصصين من كبار الأساتذة في علم الطب، وهكذا في كل فروع العلم، لا بد من الرجوع إلى المتخصصين للأخذ منهم، كما قال تعالى:

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]

ومع ما قال الله وقاله رسوله ﷺ لا ينبغي منك إلا الخضوع والاستسلام وترك الجدال، أما المسحور بالعقل فيرى أنه يفهم في كل شيء، حتى في الدين، فيحكم على ما جاء به الشرع وفق عقله، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من ذلك حين قال:

«لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، ما وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ»[1].

أي إنه يرفض ما جاءت به السنة ولم يجد له نصًّا في القرآن، مع أن الله تعالى قال:

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]

فالسنة شارحة ومكملة للقرآن، والقرآن جاء بمعان إجمالية، ثم جاءت السنة لتفصل تلك المعاني، يقول تعالى:

﴿... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

1 رواه الترمذي.

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

فالعلماء فسروا الذكر الذي ورد في الآية بأنه القرآن والسنة.

ويقول -سبحانه- عمن يجادل في الحق ويتعالى عن قبوله:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٨-٩]

أي لاوي جنبه وعنقه، فقد فرح بما معه من العلم غير النافع، واحتقر أهل الحق وما معهم من الحق.

قصة مسحور

هي قصة قوم ثمود مع نبيهم سيدنا صالح عليه السلام وقد عُرفوا بقوتهم فقال تعالى عنهم:

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر: ٩]

أي نحتوا بقوتهم الصخور واتخذوها بيوتًا، وقد أنعم الله عليهم بنعمة الأمن، فاستشعروا عدم احتياجهم لله، فأرسل الله لهم نبيه صالحًا، قال تعالى:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٧]

فدعاهم إلى ترك الشرك والمعاصي، والإيمان بالله وحده لا شريك له، الذي أنعم عليهم بالأمان، والخير الوفير، أتحسبون بعد كل ذلك أنكم تتركون سُدًى، تتمتعون كما تتمتع الأنعام؟!

وفي موضع آخر يذكر الله قوم ثمود بما أنعم به عليهم فيقول تعالى:

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]

فبعد أن ذكَّرهم بما أعطاهم من الرزق والفضل والقوة، حذَّرهم من الإفساد في الأرض، فما كان منهم إلا أن قالوا:

﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]

فبالرغم من شهادتهم لنبيهم بأنه ما زال معروفًا بمكارم الأخلاق،

فإنهم أنكروا عليه دعوته لهم بترك عبادة ما لا ينفع ولا يضر.

ثم قالوا:

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٣ - ١٥٤]

ثم طلبوا منه شيئًا خارقًا للعادة حتى يؤمنوا به، طلبوا أن ينشق الجبل عن ناقة حمراء كبيرة مُشعِرة، فدعا صالح ربه، فكان لهم ما أردوا وخرجت الناقة، فنظر لها صالح وقال:

﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الشعراء: ١٥٥ - ١٥٦].

رأى قوم سيدنا صالح الناقة مبهرة، لكنهم ظلوا على كبرهم وعنادهم، يقول تعالى:

﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ [الإسراء: ٥٩]

أي معجزة واضحة، فكفروا بها، ليس هذا فحسب؛ بل قرروا ذبحها، يقول تعالى:

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٢٩-٣٠]

أي أرسلوا أحدهم لذبحها فشرب الخمر ونحرها، فأمهلهم الله -تعالى- ثلاث ليالٍ، ثم أرسل سيدنا جبريل فأمسك بأبواب حصونهم، وصاح فيهم صيحة عظيمة قطعت قلوبهم، قال تعالى:

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٧ - ٦٨]

فكأنهم لما جاءهم العذاب ما تمتعوا في ديارهم، ولا تنعموا بها، فما أشقاهم وأذلهم!

وأحب أن أختم لك القصة بهذه الآية التي يراها كل منا في نفسه، يقول تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٧-١٨]

اسأل نفسك: هل أرسل الله لك آية فصددت عنها؟ تذكر معصية أنت مُصرٌّ عليها تسببت في حاجز بينك وبين الله، أو تذكر فرضًا أمرك الله به وعزمت ألا تقوم بفعله، حاسب نفسك ولا تكن كقوم ثمود الذين بيَّن الله لهم الحق، فاستحبوا الكفر والضلال على العلم والإيمان.

عواقب سحر العقل

أولًا الحرمان من الوصول إلى الحق

من سُلب الأدب مع الله، حُرم من حكمته وهُداه، والأدب مع الله يعني الخضوع والسمع والطاعة لما يقوله الله ورسوله، في أي جانب من جوانب الحياة التي يضبطها الدين، فهذا هو المعنى الحقيقي لأن تكون عبدًا لله، أما من يُناطح كلام الله ورسوله فهذا هو الشخص العنيد، الذي افتقر إلى المعنى الحقيقي للعبودية.

أن تعاند مع عبد مثلك؛ علمك كعلمه، وعقلك كعقله، فهذا أمر جائز، أما أن تعاند مع رب العباد فهذا لن يجدي شيئًا، وستُحرم من الهداية للحق.

وإليك هذه الأبيات التي قرأتها فأثرت فيَّ بالغ التأثير، قال الإمام ابن القيم «رحمه الله»:

نورُ النبوة مثل نور الشمس للـ ... ـعين البصيرة فاتخذه دليلا
فإذا النبوة لم ينلْك ضياؤها ... فالعقل لا يهديك قَطُّ سبيلا
طُرُقُ الهدى مسدودة إلا على ... مَن أمَّ هذا الوحيَ والتنزيلا
فإذا عَدَلْتَ عن الطريق تَعَمُّدًا ... فاعلم بأنك ما أرَدْتَ وصولا
يا طالبًا دَرْكَ الهدى بالعقلِ دو ... نَ النقلِ لن تلقى لذاك دليلا

ثانيا أن تعامل معاملة المُبعدين

المعنى الحقيقي للعبودية هو الخضوع لله رب العالمين، وهناك فرق بين أن تقصِّر في بعض العبادات فهذا أمر يقع فيه الكثيرون، أما أن تجادل وتعاند دون علم، أو حتى بعد أن تعلم الحق بدعوى أنك لم تقتنع؛ فهذا -لا شك- سيحجبك عن الله، وسيبعدك عن أنوار هُداه.

تأمل معي قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦]

أي من تولى عن كتاب الله وما جاء فيه من الهدى، فسيُعجَّل له العذاب في الدنيا بما سيصيبه من الهموم والغموم فيها، وفي الآخرة سيُحشر أعمى، وسيَسأل ربَّه: لمَ حشرتني أعمى وقد كنتُ بصيرًا في الدنيا؟ فتكون الإجابة بأن الجزاء من جنس العمل، فكما عميتَ عن ذكر ربك، واتباع أوامره في الدنيا، فكذلك أعمى الله بصرك في الآخرة، وتركك في العذاب.

علاج سحر العقل

لن أدَّعي أبدًا أني لستُ في حاجة لهذا العلاج، غير أني كلما مارسته ازداد يقيني في الله، وخضوعي واستسلامي له، ولأوامره ونواهيه -جل في علاه-

وأعملت عقلي ليس في مناطحة شرع الله، وإنما في طلب العلم، والتفكر في آلاء الله في الكون، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى، وكما يقولون: «من لم يحترز من عقله، هلك بعقله».

والعلاج -باختصار- هو أن يكون لك مرجعية، في كل مجال، وليس في المجال الشرعي فقط، لا بد أن تخضع عقلك للمتخصصين، في كل جانب من جوانب الحياة، نعم قد تكون متخصصًا خبيرًا في مجالك، لكن ليس من المعقول أنك تعلم كل شيء عن أي شيء، فهذا ليس صوابًا، حتى إن الخبرة الواحدة في أي مجال لا تكفي، بل لا بد أن يعززها العلم الذي لا يؤخذ إلا من أهله الموثوق بهم في كل مجال.

مقام اليقظة

إنه ليس لشخص، بل لجيل بأكمله، إنه للصحابة -رضوان الله عليهم- لما أنزل [الله] على رسوله ﷺ الآية:

﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال رسول الله ﷺ:

«أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم -أراه قال- سمعنا وعصينا؟ قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». فلما اقترأها للقوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله تعالى في إثرها:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥][1].

فلما خضع الصحابة لما أنزل الله من أنه سيحاسبهم حتى على ما يجول في خواطرهم، بالرغم من صعوبة ذلك عليهم، نسخ الله تلك الآية نسخَ حكمٍ لا نسخَ تلاوةٍ، بمعنى أن الله أزال حكمها، وأبقاها فقط كآية تُتلى في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ثم أنزل قوله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

أي إن الله سيحاسبهم فقط على أفعالهم لا على خواطرهم، فكان هذا اختبارًا للصحابة؛ ليُضرب بهم المثل على مدار الأجيال في الخضوع

1 رواه مسلم.

والامتثال لأوامر الحق تبارك وتعالى.

هيا تُبْ إلى الله من ضيق صدرك عن الامتثال لأوامره، واستعذ بالله من أن تكون في نفسك عظيمًا؛ حتى لا تعامَل معاملة المُبعَدين، وتُبعث يوم القيامة بين يدي الله مع الكافرين المعاندين، وتذكر قوله -تعالى- في وصف خروج الروح والبعث والحساب:

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٩-٢٣].

الخلاصة

من هو مسحور العقل؟

هو الشخص الذي أخضع كلام الله، وكلام رسوله ﷺ لعقله، فإن قبله العقل آمن به وصدّقه، وإن لم يقبله رفض أن يخضع له..

علامات مسحور العقل:

- **أولًا:** عدم وجود النية لقبول الحق.
- **ثانيًا:** ضيق الصدر.
- **ثالثًا:** لا مرجعية له.

عواقب سحر العقل:

- **أولًا:** الحرمان من الوصول إلى الحق.
- **ثانيًا:** أن تعامل معاملة المُبعدين.

علاج سحر العقل:

- أن يكون لك مرجعية، في كل مجال.
- أن تُخضع عقلك للمتخصصين، في كل جانب من جوانب الحياة.

سحر
السلطة
والجاه

بعد عودته من مكان ما ليلًا، وقف فاتح القسطنطينية القائد محمد الفاتح عند أسوار المدينة، وكان يقف خلف الأسوار قائد الحرس سِنان باشا، فقال أحد الحراس لسِنان: «افتح الباب»، فأبى سِنان، وقال: «السلطان أمرنا بألا نفتح إلا لِمَن نعرف»، فقال الحارس: «افتح بأمر السلطان»، فأبى قائد الحرس أن يفتح، فإذا بمحمد الفاتح يُفصح عن هويته من خلف الأسوار، ويقول: «افتح يا سنان باشا أنا مُحمد الفاتح»، ففتح سنان، وأُعجب به محمد الفاتح؛ فقد رآه يقِظًا، منضبطًا في عمله، وقال له: «يا سنان بمَ تأمرُني؟»، قال: «أطلب منك أن تبني لي مسجدًا باسمي حتى يُصلِّي الناس فيه لرب العالمين»، وتم بناء المسجد باسم سِنان باشا، وصار الآلاف يتوافدون للصلاة فيه.

لم يطلب سنان أن يكون من الوزراء أو من المقربين من السلطان مع أنه في موقع يرى فيه كيف يُعامل أصحاب الجاه والسلطة، لكنه لم يلتفت إلى ذلك، ولم يبغ منصبًا يتحكم به في رقاب العباد، وإنما طلب الجاه عند المولى -تبارك وتعالى- فطلب مسجدًا ليصير كل من يصلي فيه في ميزان حسناته إلى يوم القيامة.

إنه بالفعل امتحان صعب لكل من أعطاه الله منصبًا أو جاهًا، فالله -سبحانه وتعالى- زيَّن الجاه في قلوبنا؛ حتى نطلبه في الدنيا، ليس لذاته وإنما للإعمار، ولنفع العباد ونشر الفضيلة، ولنسعى لأن نكون يوم القيامة على منابر من نور حول عرش الرحمن، أو أن ننال جوار النبي

-عليه أفضل الصلاة والسلام- كما قال ﷺ:

«إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيامَةِ أَحْسَنَكُمْ أخلاقًا..»[1].

من هو مسحور السلطة والجاه

هو الشخص الذي أعطاه الله نعمة الجاه في الدنيا وسُحر بها ليستمتع برؤية الخضوع في أعين من حوله، وفي ذلك يقول ابن القيم: «كل نفس داعية الألوهية؛ فرعون قدر فأظهر، وقال: أنا ربكم الأعلى. وغيره عجز فأضمر». هذا السحر يدمر قلب ابن آدم؛ لأنه يجعله في نفسه ندًّا لله تعالى.

علامات سحر الجاه

أولًا طلب علو الشأن عن طريق التحقير من الآخرين

ليست المشكلة في طلب علو الشأن إذا كان السبيل إلى ذلك هو العمل الدءوب، والسعي إلى تطوير الذات وتنمية المهارات، ولكن أن يكون التقليل من شأن الآخرين، وغيبتهم، واتهامهم بالباطل هو السبيل -كما يحدث بين الزملاء في العمل، أو من بعض الآباء الذين قد يشوه أحدهم صورة زوجته

1 رواه الترمذي.

أمام أبنائها كي يأخذهم إلى صفِّه- فهذا هو فعل المسحور بالجاه.

وعندما أراد فرعون أن يظلَّ في الصدارة، وأن يحتفظ بالعظمة والسيادة، أخذ يقلل من شأن سيدنا موسى عليه السلام ويستعرض عظمته وقوته في مقابل فقر موسى وضعفه، يقول تعالى:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٣]

تأمل كيف افتخر فرعون بأمور خارجة عن ذاته، ولم يفتخر بأوصاف حميدة، ولا أفعال له سديدة، وفي المقابل تراه يذم موسى عليه السلام بأنه لا يكاد يبين الكلام، أي إنه ليس فصيح اللسان، بل زعم أنه لو كان صادقًا في أنه رسول رب العالمين فالأولى أن يكون مزينًا بالحلي والأساور، أو أن يأتي بالملائكة ليعاونوه على دعوته.

وفي موضع آخر يقول تعالى على لسان فرعون:

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٥]

وهنا يخوِّف فرعون قومه من موسى، ويتهمه -كذبًا وبهتانًا- بأنه ساحر

يريد إجلاءهم عن أولادهم وديارهم.

ولما خشيت قريش أن تكون لسيدنا محمد ﷺ السيادة والزعامة، أخذوا يقللون من شأنه أمام الناس، قال تعالى عنهم:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]

أي إنهم ادَّعوا -كذبًا- أن القرآن لو كان نُزِّل على من هو مُبَجَّل عندهم لآمنوا به؛ ليصرفوا الناس عن اتباع النبي ﷺ.

ثانيًا تعمُّد تجميع الضعفاء حولك

إذا رأيت أنك تبغض مجالسة من لهم مكانة علمية أو ثقافية؛ حتى لا تُسلب منك الأضواء، وتسعى أن يلتف حولك أصحاب العقول البسيطة أو محدودو الثقافة، فاعلم أنك سُحرت بالجاه، وهذا ما كان يفعله فرعون؛ فهو المثل الذي ضربه الله -تعالى- لنا في القرآن لمن سحرهم الجاه والسلطان، يقول -جل في علاه-:

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]

أي استغل ضعف عقولهم وأخذ يصرفهم عن اتباع موسى بما ألبسه عليهم من الشُّبَه التي ليست دليلًا على حق ولا باطل، ولا تُروَّج إلا على ضعفاء العقول.

وعلى النقيض من ذلك، ما كان يفعله نبينا محمد ﷺ، الذي كان يحرص دائمًا على أن يستشير أصحابه من ذوي العقول الراجحة، والفكر المستنير، وتراهم وقد التفوا حوله في مجلسه، فيدخل الغريب ليسأل: أيكم محمد؟ وذلك من فرط تواضعه ﷺ، وحرصه على أن يكون كأصحابه، لا يفوق أحدًا منهم في شيء، بل أحيانا كان يرجع عن رأيه إلى رأيهم، وكما يقولون: «ليس الكبير من تشعر في جواره أنك صغير، ولكن الكبير من يُشعرك وأنت معه أنك كبير».

ثالثًا التلذذ بذل أتباعه

هذه العلامة تدل على تمكُّن السحر من القلب، وهي أن تكره أن يكون مَن حولك أقرانًا أو أندادًا لك، فلا تقبل أن ينصحك أحدهم، أو أن يقاطعك، أو أن يقوم بأي عمل دون أن يرجع إليك، وإذا أخطأ أحدهم فلا بد أن يعتذر إليك، أما أنت فلا تعتذر إلى أحد، وإذا ما احتاج إليك أحدهم فإنك لا تبادر بأن تذهب إليه، بل ترى أنه لا بد أن يأتيك بنفسه ليسألك حاجته.

أما سيدنا ومعلمنا ﷺ فكان على العكس من ذلك، فيقول أنس بن مالك رضي الله عنه:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُقْبِلُ وَمَا عَلَى الأَرْضِ شَخْصٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ، فَمَا كُنَّا نَقُومُ لَهُ؛ لِمَا نَعْلَمُ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ»[1].

1 مسند أحمد بن حنبل.

لأنه ﷺ ما أراد لأصحابه أن يستشعروا ذل التبعية، بل أرادهم أحرارًا، فالإنسان إذا انتقص من قدر نفسه أمام غيره، فإنه يدفعه أن يصير طاغوتًا يتحكم فيه ويفرض إرادته عليه، وعن معاوية بن أبي سفيان أنه خرج على ابن الزبير وابن عامر، فقام ابن عامر، وجلس ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: اجلس فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمثلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مِقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

موقف هرقل من رسالة النبي ﷺ:

أرسل النبي ﷺ أحد الصحابة، وهو دحية الكلبي، إلى هرقل ملك الروم، يحثه على الدخول في الإسلام، فقال له هرقل: «والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وأنه الذي كنا ننتظره، ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته». لقد كان هرقل على استعداد لاتباع الرسول، لكنه أدرك أنه إن أعلن رغبته تلك فإنه سيغامر بملكه، ويخاطر بسيادته على شعبه، يقول الإمام النووي رحمه الله تعليقًا على موقف هرقل: «لا عذر له في هذا الأمر؛ لأنه قد عرف صدق النبي ﷺ، وإنما شحَّ في الملك، ورغب في الرياسة، فآثرها على الإسلام، ولو

1 أخرجه أبو داود.

أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي، وما زالت عنه الرياسة»[1].

قصة مسحور

إنه أبو جهل، الذي فسَّر الدافع من عداوته الشديدة للإسلام، حين سأله أحدهم: ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: «ماذا سمعت؟! تنازَعْنا نحن وبنو عبد مناف الشَّرف؛ أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا[2] على الرُّكَب وكنا كفَرَسَيْ رهان[3]، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟! والله لا نؤمن به أبدًا، ولا نصدقه»[4]. ومن هذه الكلمات يظهر أن الدافع الحقيقي من عدم إيمان أبي جهل هو أنه خشي أن يُنازع قومه السيادة والشرف.

وبعد خمسة عشر عامًا، في غزوة بدر، عندما علم سيدنا محمد ﷺ بأن عيرًا لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب راجعة من الشام خرج ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا أغلبهم من الأنصار؛ وذلك ليستردوا

1 شرح النووي على صحيح مسلم.
2 تجاثينا: أي جلسنا على الرُّكَب للخصومة.
3 كفَرَسي رهان: مثلٌ يضرب للمتساويين في الفضل.
4 ابن إسحاق في السير والمغازي، وابن هشام في السيرة النبوية، والبيهقي في دلائل النبوة.

أموالهم التي سُلبت منهم عندما غادروا مكة، ولما علم أبو سفيان بقدوم جيش النبي ﷺ أرسل إلى مكة يطلب الغوث، ولما استطاع بذكاء وحذر شديد أن يفِرَّ بالقافلة، أرسل إلى قريش يخبرهم بما كان؛ فهمَّ الجيش المكي بالرجوع، ولكن أبا جهل صدَّ قريشًا عن ذلك، وقال: «لا، لن نرجع إلى مكة حتى نمكث ثلاثة أيام، تعزف القيان وننحر الجزر، ونشرب الخمر حتى يعلم العرب بمكاننا فلا يزالون يهابوننا أبدًا».

التقى الجيشان، وكان النصر للمسلمين، وهلك أبو جهل على يد اثنين من صبيان المسلمين هما «معاذ بن عمرو بن الجموح» و«معوذ ابن عفراء»، وقال أبو جهل لابن مسعود وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: «لقد ارتقيت مرتقًى صعبًا يا رُوَيعي الغنم». وسأل قائلًا: «لمن الدائرة اليوم؟». قال ابن مسعود: «لله ورسوله»[1]. ولما رأى النبي ﷺ أبا جهل صريعًا، أشار إليه وقال:

«كَانَ هَذا فِرْعَونَ هَذِهِ الأُمَّة»[2].

1 سيرة ابن هشام.

2 رواه أحمد بن حنبل.

عواقب سحر السلطة والجاه

فوبيا الإهمال

يُعاقَب ذلك المسحور بأن يصير عبدًا لاهتمام الناس به، يريد أن يبجلوه، وأن يُظهروا له كل توقير ومهابة واحترام، وتراه يغضب إذا مر بأحدهم ولم يقف له، أو إذا كلمه أحدهم بعدم اكتراث، إنه يريد دائمًا أن يكون في دائرة الضوء، يتهافت حوله الجميع أينما ذهب.

قال رسول الله ﷺ:

«يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يومَ القيامةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ من كلِّ مَكَانٍ، فيُساقُونَ إلى سِجْنٍ فِي جهنمَ، يُسمَّى: بُولَسَ. تَعْلوهُمْ نارُ الأَنْيارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصارَةِ أهلِ النارِ طِينَةِ الخَبالِ»[1].

علاج سحر الجاه

اولا اقرأ وافهم سير المتسلطين والمتكبرين

لتأخذ منها العظة والعبرة، ولتعلم مسيرتهم في الحياة، كيف كانوا وإلى أي شيء صاروا، ولقد قرأت أن أحد الملوك أوصى أن يحمل الأطباء نعشه بعد وفاته، وأن تُمدَّ يده خارج النعش، ولما سُئل عن ذلك قال:

1 رواه الترمذي.

«ليعلم الجميع أن الأطباء عجزوا عن مداواتي، ولم يملك أحدهم أن يطيل عمري، وليرى الناس يدي فارغة لم تأخذ شيئًا من هذه الدنيا».

ثانيًا عاشرِ البسطاء

ينصح المتخصصون بعِشْرة البسطاء، والجلوس مع من فوق السبعين عامًا، وتحت السبع سنوات؛ حتى يصيبك ما يُسمَّى «عدوى الحال»، فحالهم البسيط سيُعديك، الأطفال ببراءتهم، وصفاء قلوبهم، ونقاوة نفوسهم، وكبار السن؛ لأنهم قاسوا في هذه الحياة حتى زهدوها، وأدركوا أنها لا تستحق تهافت الناس عليها.

مقام اليقظة

إنه لـ «مهاتير محمد»، رئيس وزراء ماليزيا السابق، الذي تولى رئاسة الوزراء في 16 يوليو 1981م، والذي يعد من أعظم القادة السياسيين والاقتصاديين في آسيا، حيث استطاع تغيير وجه ماليزيا، وتمكن من أن ينهض بها تنمويًّا ويجعلها في مصاف الدول الاقتصادية المتقدمة.

والمثير للإعجاب أن مهاتير محمد كان دائمًا وفي كل المحافل الدولية يعتز بإسلامه، ويرجع نجاحه إلى تطبيقه لتعاليم الإسلام، وأنه ينطلق نحو النجاح بفهم عميق لجوهر الدين الإسلامي، الذي يُعلي من قيمة العلم والتقدم، فنجده في أحد خطاباته يقول: «إن ماليزيا واثقة بأن الأمة الإسلامية يمكنها أن تكون أقوى قوة في العالم إذا توحدت، وأحسنت

استخدام ثرواتها ومصادرها المختلفة».

ولكنه في 31 أكتوبر 2003م، أقدم على عمل نعدُّه في عالمنا العربي والإسلامي غاية في الغرابة؛ فقد قرر الزعيم الماليزي الانسحاب من السلطة وهو في قمة مجده، وبكامل إرادته، فقرر اعتزال الحياة السياسية تمامًا، معطيًا الفرصة لغيره من أبناء وطنه أن يساهم في تطوير وبناء ماليزيا الحديثة، التي أصبحت مصدر فخر وعز للأمة الإسلامية كلها.

الخلاصة

من هو المسحور بالسلطة والجاه؟

الشخص الذي أعطاه الله نعمة الجاه في الدنيا وسُحر بها يستمتع برؤية الخضوع في أعين من حوله.

علامات مسحور السلطة والجاه:

- **أولًا:** طلب علو الشأن عن طريق التحقير من الآخرين.
- **ثانيًا:** تعمُّد تجميع الضعفاء حولك.
- **ثالثًا:** التلذذ بذل أتباعه.

عواقب سحر السلطة والجاه:

- فوبيا الإهمال.

علاج سحر السلطة والجاه:

- **أولًا:** اقرأ وافهم سير المتسلطين والمتكبرين.
- **ثانيًا:** عاشر البسطاء.

BOOKS

سحر
الضحك
والمزاح

هذا السحر أكثر ما نراه في أوقات الفراغ، فهو وسيلة للتغلب على مصاعب الحياة؛ لما يخلقه من مناخ يسوده البسمة والتفاؤل.. إنه الرغبة في الضحك والمزاح، غير أن هذه الوسيلة في حد ذاتها قد تصبح غاية عند البعض، لتتحول معها اللقاءات بين الأصدقاء من مجالس للترفيه تسعد بها القلوب وتتآلف، إلى مجالس ترتكب فيها المعاصي من غيبة وكذب، وسخرية من عباد الله، بل قد يصل الأمر إلى الاستهانة بالمقدسات، فتنتهك الحُرمات، ويغضب الله، ويصير الإنسان بعد أن كان مؤمنًا بربه، ظالمًا لنفسه، ولمن حوله، وقد حذرنا القرآن الكريم من ذلك، فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

من هو المسحور بالضحك والمزاح؟

هو من تحولت عنده الرغبة في الضحك من وسيلة للترويح عن النفس إلى غاية، فتحول المرح والفكاهة إلى كذب واستهزاء وغِيبة.

علامات سحر الضحك والمزاح

أولا دوام السخرية

إن كنت ممن يحبون الفكاهة والضحك، فقد يدفعك هذا أحيانًا إلى أن تسخر من أحدهم دون أن تقصد، فإن كنت من أصحاب الفطرة

السليمة فلا شك ستلوم نفسك، وترجع، وتستغفر لذنبك، أما إن كنت ممن سحرتهم الرغبة في المرح والضحك، فإنك لن تبالي بالسخرية من الآخرين، على اختلاف هيئاتهم، من أشكالهم، وأطوالهم، وأحجامهم، بل ستغضب إذا طُلب منك أن تكُفَّ عن هذا الاستهزاء، وهنا يتحول الضحك من أمر مباح، ليصير حرامًا، بل ربما من الكبائر.

أعرف شخصًا وصل به الأمر إلى حد السخرية من أصحاب الإعاقات بتقليدهم، وآخر كان يأتي بالمختلين عقليًّا، ويوهمهم بأنه طبيب، وأنه يعالجهم، بل حتى المقدسات نفسها لم تسلم، وصارت عند البعض مجالًا للضحك والسخرية، فأذكر أني كنت في المسجد ذات يوم، وحضرت الصلاة، فأخذ المصلون يصطفون، وقال الإمام: «استقيموا يرحمكم الله ولا تدعوا فُرجةً للشيطان» -وهذه سنة النبي ﷺ أن نحاذي بين الأقدام، لانتظام الصفوف، وحتى لا نترك مساحة يدخل منها الشيطان- وإذ بأحدهم يقول لمن بجواره مستهزئًا: «يا للعجب! يترك الشيطان كل تلك المسافة بين قدميَّ، ليدخل بين قدمي وقدمك!!... هههههه».

ثانيًا تعمد خلط الهزل بالجد

دائمًا وعلى مدار حياة الإنسان، يرسل الله له الرسائل الربانية؛ لتوجيهه وإرشاده، فتغير من نظرته إلى كثير من الأمور، فترقي معها نفسه، وتُهذَّب أخلاقه، غير أنه أحيانًا قد تأتي هذه الرسالة في صورة نصيحة من شخص ما مثلًا، فيتلقفها على الفور أحدهم، ويخلطها بالهزل، فما الذي يحدث حينها؟.. ما يحدث هو أن مراكز الاستقبال لدى المتلقي لن تستقبل تلك

الرسالة؛ لأنه لم يُتح لها الوقت الكافي، وبالتالي لا يُنتفع بها.

ولست أعني ما يحدث في مقام التعليم، حين يلجأ المعلم أو المربي لخلط الجد بشيء من الهزل لفتح أجهزة الاستقبال عند المتلقي؛ سعيًا لتوصيل المعلومة بصورة مبسطة وشائقة، فهذا الأمر لا شيء فيه؛ بل هو مطلوب في أحيان كثيرة، لكن أن يتحول التذكير بالله والبعث والحساب إلى نوع من السخرية والاستهزاء، فهذا ما ينبغي أن نتجنبه، وفي هذا السياق أذكر أحد الأصدقاء، وبينما كنا نستمع إلى موعظة عن القبر، ونعيمه وعذابه، أخذها كمادة للمرح والفكاهة، فمثل هذا ينفر من إحساس الخشوع، مع أن خشوع القلب هو أمر لا بد منه ليرتقي الإنسان في مراتب القرب من الله ﷻ لذا كان من دعائه ﷺ:

«اللهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ»[1].

ثالثًا الدفاع الدائم عن السخرية

ذلك أن من أحب شيئًا فإنه لا يقبل أن يُفرِّط فيه، ومن هنا تجد المسحور بالضحك والفكاهة يدافع عن نفسه، ويبرر هزله الدائم بأن الضحك والمزاح من الأمور المباحة، وأقول: نعم، هي بالفعل مباحة، غير أنها تُعدُّ مادة خصبة للسخرية والغيبة والكذب، ولعل ابن عباس أراد التحذير

1 رواه النسائي.

مـن هذه الحالة القلبية لمن يعصي الله وهـو يضحك ولا يبالي بنظر الله أو بأثر هذا الذنب على قلبه وميزانـه في الآخرة فقال: «إن ضحكك وأنت تفعل الذنب أشد عند الله من الذنب نفسه»، وهذا بسبب أن العلماء رأوا أن معاصي القلب أضر على الإنسان من معاصي الجوارح. ومن هنا لا بد لها من ضوابط تحكمها حتى لا تتحول إلى معصية تُغضب الله.

وقـد ورد أن النبي ﷺ كَانَ يَسِـيرُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَبَـيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ؛ اثْنَانِ يَسْـتَهْزِئَانِ بِالْقُرْآنِ وَالرَّسُـولِ، وَالثَّالِثُ يَضْحَكُ... قِيلَ: كَانُوا يَقُولُـونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَغْلِبُ الـرُّومَ وَيَفْتَحُ مَدَائِنَهُمْ، مَا أَبْعَـدَهُ مِنْ ذَلِكَ! وَقِيلَ: كَانُـوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُـمُ أَنَّهُ نَزَلَ فِي أَصْحَابِنَا الْمُقِيمِينَ بِالْمَدِينَةِ قُرْآنٌ، وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ. فَأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: «احْبِسُـوا عَلَيَّ الرَّكْبَ». فَدَعَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا». فَقَالُوا: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ[1]... فنزل قوله تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾

[التوبة: ٦٥-٦٦].

1 تفسير البغوي، «معالم التنزيل».

قصة مسحور

هي قصة فتاة تحكي فتقول: «أنا من عائلة ثرية، كنت أدرس في إحدى الجامعات الكبرى في مصر، ولي صديقاتي أيضًا كذلك، وكنت أتقابل معهن في أحد النوادي الراقية، وكانت أحاديثنا لا تخلو من المرح والفكاهة التي وصلت بنا لحد السخرية والاستهزاء من كل من هم دوننا، وذات يوم رأينا عامل نظافة يعمل في المحيط الذي نجلس فيه، كان هذا العامل قبيح الهيئة، ذا شارب كثيف، بدت على وجهه علامات البؤس والشقاء، فضلًا عن إعاقة تبدو واضحة في إحدى ذراعيه، فأخذت وصديقاتي نسخر منه، ومن هيئته تلك، حتى قالت إحدانا: «من منكن تستطيع أن توقع ذلك العامل في حبها؟»، فرفعت يدي على الفور، وقلت: «أنا، أراهن بأني أستطيع أن أجعله يقع في حبي في مدة لا تزيد على أسبوع، ليس هذا فحسب، بل سأجعله يفعل ما لا يخطر لكنَّ على بال»، فتحمس الجميع لهذا الرهان، إلا واحدة فقط، قالت: «لا، حرام، إلا مشاعر وقلوب الآخرين، لا ينبغي أن تكون مثارًا للسخرية»، فقلن لها أن تكفَّ عنا، وتدعنا نروِّح عن أنفسنا.

تكمل الفتاة حديثها فتقول: «بدأت أحاول أن ألفت نظره بكل وسيلة ممكنة، أمرُّ من أمامه وهو يعمل، وأنظر إليه، أبتسم له، لكنه كما لو أنه لا يراني، فبالطبع هو لا يتصور أن تعجب به فتاة في مثل مستواي، فذهبت

إليه لأتعرف إليه، وأخذت أضحك معه، وهنا بدأ يلتفت إليَّ، ولما رأيت أنه لم يبق سوى يومين وينتهي الرهان، بادرت إليه وصارحته بأني أحبه؛ لأني أراه يعمل باجتهاد، بخلاف غيره من الشباب ممن هم في مثل مستواي، فقال لي: «كيف لفقير مثلي أن يفكر في فتاة مثلك؟!!»، فقلت له: «لا عليك، فقط اذهب لوالدي واطلب يدي منه، وأنا سأقنعه هو وأمي، فقد أحببتك وتعلقت بك»، ورأيت أنه بالفعل بدأ يفكر في هذا الأمر، وبدأ ينشغل بي، وينظر إليَّ، ويبحث عني، فذهبت إليه مرة أخرى وألححت في طلبي أن يتقدم لخطبتي، وطلبت منه أن يحلق شاربه؛ لأن أبي لا يعجبه الشارب».

وكان لها ما أرادت؛ فحضر هذا العامل إلى الفيلا التي تسكن فيها، وقد بدت هيئته أنيقة، فيما يبدو أنه استعار ملابسه تلك، وحلق شاربه، ووقفت هي في الدور العلوي لتصور ذلك اللقاء بينه وبين والدها بكاميرا هاتفها المحمول، خرج والدها لمقابلته، وسأله مستنكرًا: ماذا تريد؟، فقال: أريد أن أطلب يد ابنتك، فما كان من والدها إلا أن صفعه على وجهه، وطرده، بعد أن ظن أنه مجنون، وفي اليوم التالي جاء العامل إلى النادي كعادته يجمع القمامة، وينظف، فأخذت الفتاة وصديقاتها يسخرن منه، ويضحكن بصوت عال، تقول إحداهن: مرحبًا أيها العريس، والأخرى تقول: مبارك الزفاف، وهو ينظر إليهن ويبكي، حتى قامت إحداهن ومعها الهاتف المحمول، وأرته ما وقع بالأمس بينه وبين والد

الفتاة مصورًا بالكاميرا.

مرت الأيام، واختفى العامل ولم يعد أحد يراه، وفي يوم لاحظت الفتيات أن العاملين بالنادي يقومون بجمع المال، فقامت الفتاة التي كانت قد اعترضت من قبل على الاستهزاء والسخرية من هذا العامل؛ لتسألهم عن هذه الأموال التي يجمعونها، عادت الفتاة وهي تبكي، وأخذن يسألنها: ماذا حدث؟ لماذا تبكين؟، وهي لا ترد، فقامت الفتاة صاحبة القصة تسألهم بنفسها لمن يجمعون المال، فأجابوها: «أتتذكرين ذلك العامل، الذي كانت بيده إعاقة؟»، فقالت: «نعم»، قالوا: «لقد امتنع عن الطعام والشراب منذ شهرين، ولم يعد يأتي للعمل، ومنذ ثلاثة أيام فقط، وجده أهله وقد شنق نفسه فوق سطح المنزل، وكان هو العائل الوحيد لأسرته لأن أباه مريض، ونحن الآن نجمع المال لعلنا نساعد به أسرته في مُصابها الأليم».

كان عمر الفتاة وقت هذه القصة واحدًا وعشرين عامًا، وهي الآن تخرجت في الجامعة، وتزوجت، إلا أنها فقدت السلام النفسي في حياتها، فصورة ذلك العامل الذي قتلته بسخريتها ما زالت أمام عينيها لا تفارقها، وما زال الذنب يؤرقها... انظر كيف أوصلت الرغبة في الضحك، والمزاح، والمرح إلى التسبب في قتل نفس مسكينة، لا حول ولا قوة لها.

عواقب سحر الضحك والمزاح

أولا قسوة القلب وجفاف العين

يقول الرسول ﷺ:

«لا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتَ القَلْبَ»[1].

لا أخفيك سرًّا أني اندهشت لما سمعت هذا الحديث، فما المشكلة في أن نضحك حتى ولو كان كثيرًا؟! حتى علمت السر في النهي عن كثرة الضحك؛ فقد علم ﷺ أنه لما تنتهي بك أسباب الضحك الحلال -وهي ليست كثيرة لهذا الحد- ستنجرف إلى الخوض في المحرمات، من الغيبة، والسخرية، والكذب؛ لإشباع تلك الرغبة المتزايدة في المرح والفكاهة.

يقول تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]

فالهماز هو الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز هو الذي يعيبهم بقوله، والويل هو وادٍ في جهنم، فاحذر أن يكون الاستهزاء بالناس والطعن فيهم مادة للضحك والفكاهة، فيقسو قلبك،

1 رواه البخاري.

وتفقد الخشوع في الذكر والصلاة، وتجف العين فلا تدمع من خشية الله، واعلم أن الله خلق فينا حب الفكاهة والمرح؛ للترويح عن نفوسنا، وليس لأن نُميت قلوبنا، فاحرص على حياة قلبك.

ثانيًا ضياع عمرك فينساك الله في آخرتك

كثيرًا ما يقرن الله -تعالى- في القرآن العبث وإهدار الوقت فيما لا يفيد بنسيان الآخرة، ومن ذلك قوله -تعالى- محذرًا عباده المؤمنين:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

أي أظننتم أنـا خلقناكم تمرحون وتتمتعون بلـذات الدنيا، وأننا لا نثيبكم أو نعاقبكم؟! وفي السياق نفسه يقول الحبيب ﷺ:

«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[1].

والغبن هو أن تبيع شـيئًا نفيسًـا بثمن بخس، والعافيـة والفراغ هما نعمتان عظيمتـان لا ينبغي لأي مؤمن أن يفرط فيهـما، فيهدر وقته وعافيته فيما لا قيمة له.

يقول تعالى:

1 رواه البخاري.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١]

أي لهتْ قلوبهم، وأعرضت عن ذكر الله، وغرَّتهم الحياة الدنيا بزينتها، فاطمأنوا إليها، وفرحوا بها، وأعرضوا عن الآخرة، ونسوها، فيوم القيامة يتركهم الله في العذاب.

أيهما تختار: تأكل الحمار أم تُحرم العطاء؟!!

في وصف ذلك النوع من المجالس التي تكون فيها سخرية من الآخرين وغيبتهم، وليس فيها تذكرة بالله واليوم الآخر، يقول أبو هريرة عن النبي ﷺ:

«مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ؛ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ! وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»[1].

أي كما لو اجتمعوا يأكلون حمارًا ميتًا، ولا تقل إن هذا الوصف فيه مبالغة؛ لأن المتكلم هو من أوتي جوامع الكلم -صلوات ربي وسلامه عليه- واعلم أنك قد تُحرم العطاء من الله بسبب السخرية من حال الآخرين، بل قد يصل بك الأمر أن يصيبك ما أصابهم، وفي ذلك قال ﷺ:

1 سنن أبي داود.

«لا تُظهِرِ الشَّماتةَ بأخِيكَ، فَيُعَافِيَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيَكَ»[1].

خطورة مجالس الغيبة:

إن كنت في مجلس فيه استهزاء أو سخرية من شخص ما، فضحكت من ذلك، حتى ولو لم تشارك في الحديث، فاعلم أنك تكون قد ارتكبت ثلاث معاصٍ، كما يقول العلماء:

أولاها أنك ضحكت من معصية توجب غضب الله، وكان الأولى بك أن تغضب لله.

ثانيتها أضعتَ حق أخيك، لما لم تدافع عنه، وتركت غيرك يسخر وينال منه.

ثالثتها أضعتَ حق الله، لما جلست في مقام يُعصى فيه الله.

لاحظ أن كل ذلك وأنت لم تسخر، بل فقط لأنك رضيت بهذا الأمر، فما بالك بمن يسخر؟!!

علاج سحر الضحك والمزاح

أولا التعرف على آداب المُزاح

وتتلخص في أمرين:

1 رواه الترمذي.

إياك والسخرية:

يقول تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]

وقال النبي ﷺ:

«وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»[1]

فمن الممكن أن تُحرم الرزق بسبب السخرية بدعوى الضحك والمزاح؛ فكن حذرًا.

إياك أن تكذب لتُضحك الناس:

يقول ﷺ:

«ويلٌ لمن يحدِّث فيكذب ليُضحك به القوم، ويلٌ له،ويلٌ له»[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا؟! قال:

«نَعَمْ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»[3].

1 رواه ابن حبان.
2 سنن الترمذي.
3 رواه الترمذي.

وعنه أيضًا أنه ﷺ قال:

«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ[1]».

ثانيًا اقتدِ بالصحابة

سُئل ابن عمر رضي الله عنهما: «هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ فأجابه: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال![2]». فكن يقظًا ولا تضحك إلا فيما يرضي الله -سبحانه وتعالى- حتى يضحك لك الله

«وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، فَلا حِسَابَ عَلَيْهِ»[3].

1 سنن أبي داود.
2 الجامع لمعمر بن راشد.
3 رواه أحمد بن حنبل.

الخلاصة

من هو المسحور بالضحك والمزاح؟

هو مَن تحولت عنده الرغبة في الضحك من وسيلة للترويح عن النفس إلى غاية، فتحول المرح والفكاهة إلى كذب واستهزاء وغيبة.

علامات مسحور الضحك والمزاح:

- **أولًا:** دوام السخرية.
- **ثانيًا:** تعمد خلط الهزل بالجد.
- **ثالثًا:** الدفاع الدائم عن السخرية.

عواقب سحر الضحك والمزاح:

- **أولًا:** قسوة القلب وجفاف العين.
- **ثانيًا:** ضياع عمرك فينساك الله في آخرتك.

علاج سحر الضحك والمزاح:

- **أولًا:** التعرف على آداب المزاح.
- **ثانيًا:** اقتدِ بالصحابة.

سحر
التوكل

نعم، عقيدتنا هي أن الأرزاق.. والأقدار.. والنتائج بيد الله، هذه عقيدتنا.

لكن هنـاك أيضًا عباداتنا التـي هي الاهتمام لأقـصى الحدود بالأخذ بالأسباب، والتفكير، والتخطيط، والاجتهاد، والإتقان، وكأن العبد هو الذي يفعل لنفسه كل شيء. وهنا يأتي الاتزان ما بين العقيدة والعبادة.

المعنى الحقيقي للتوكل

التوكل هو: «أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء»، بمعنى أن تأخذ بالأسباب قدر استطاعتك دون أن تُعلِّق قلبك بها، فجسدك يتعب، وعقلك يفكر، ويخطط، وقلبك يفوض الأمر كله لله.....

وهذا ما حدث تحديـدًا مع عمر بن الخطاب رفيـق النبي عندما رأى مجموعة من الناس في وقـت العمل والتجارة والزراعة يطوفون بالكعبة وليس هذا وقت طواف إنما وقت عمل.

من هو مسحور التوكل؟

هو من تحـول من متوكل على الله إلى «المتـواكل»، وهو من يتكل على الأقدار، ولا يأخذ بالأسباب، وإن بذل الجهد فإنه يمل سريعًا، ويصاب بالإحباط إذا لم يتحقق ما يصبو إليه.

علامات سحر التوكل

أولا النظر إلى حال الآخرين والحكم على عقيدتهم

يقول تعالى في كتابه الكريم:

﴿...إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]

فالله لا يُضيع أجر من أحسن عملًا، ولكن المسحور ينظر إلى من تعب ولم يحصل على شيء، كمن يجتهد في البحث عن عمل دون جدوى، وغيره يُوظَّف دون أي عناء، لمجرد أنَّ لديه واسطة، وأخرى ارتدت الحجاب ولم تتزوج، وغيرها يبدو مظهرها غاية في الابتذال، ورغم ذلك تزوجت أوسم الشباب.. فتجده حينئذٍ يتعجب، ويقول: أين توفيق الله لأهل الدين؟!! فيحكم على قضاء الله بأشياء هي في حقيقتها اختبار من الله ﷻ لكل من يتوكل عليه...فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وقد تأخذ منها ما تشاء، لكن تأتي يوم القيامة مفلسًا، لم تقدم شيئًا لآخرتك، فيكون ميزانك خفيفًا.

تأمل حال المنافقين في غزوة الأحزاب، حين وعدهم النبي ﷺ بأنهم سينتصرون، فما كان منهم إلا أن قالوا: ما وعدنا الله من النصر والتمكين إلا باطلًا من القول وغرورًا، قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]

ففي قلوبهم شك؛ مما دفع بطائفة منهم أن تنادي: يا أهل يثرب، لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم داخل المدينة، وقام فريق آخر من المنافقين يستأذنون الرسول ﷺ في العودة إلى منازلهم بحجة أنها

غير مُحصَّنة، وأنهم يخشون عليها، والحق أنها ليست كذلك

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣].

وعلى العكس كان حال المؤمنين، الذين بذلوا قصارى جهدهم، واستعانوا بالله، ولم ينظروا إلى أحداث بها فتنة في التوكل

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۖ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢-٢٣]

فالمؤمنون في هذا الموقف كانوا رجالًا اجتهدوا في حفر الخندق، وتحصين المدينة، ولم ينظروا إلى الفتن من حولهم، بل على العكس، ما زادتهم تلك الأحداث إلا إيمانًا بالله، وتسليمًا له..... فلتكن إذن مثلهم واتعب، واسعَ، وفوض الأمر لله، وسوف يرزقك عَزَّوَجَلَّ من حيث لا تحتسب، ولا تلتفت إلى غيرك، مهما كان حاله.

لكن ماذا حدث بعد ذلك...؟ قال رب العالمين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩]

فكان المشهد فيه فتنة واختبار لقوة إيمان الصحابة، ومدى يقينهم بوعد الله لهم بالنصر والتمكين، حتى جاء نصر الله، وأرسل على الأحزاب ريحًا شديدة اقتلعت خيامهم، ورمت قدورهم، وجعل شخصًا من سادة المشركين يُسلِم، ويوقع في التحالف الذي كان بين المشركين واليهود؛ لأن صعوبة غزوة الخندق كانت بسبب حدوث خيانة من يهود المدينة، واتفاقهم مع المشركين الذين كان عددهم عشرة آلاف، وكانت هزة قوية للمسلمين، ولكنهم توكلوا على ربهم، وصبروا، وأخذوا بالأسباب، أما الذين في قلوبهم مرض المتواكلون فقالوا إنَّ وعد الرسول لهم بالنصر كان خدعة... فالخلاصة: لا تنظر إلى غيرك، وتأمل كلام الله، وخذ بالأسباب، واتعب، وانظر في النهاية لمن الغلبة، واحذر من أن تصاب بسحر التوكل.

ثانيًا عدم بذل الجهد في الأخذ بالأسباب

المتواكل هو من يتكل على الأقدار، ولا يأخذ بالأسباب، وإن بذل الجهد فإنه يمل سريعًا، ويصاب بالإحباط إذا لم يتحقق ما يصبو إليه، كأن تبحث عن عمل وبعد شهر لا تجد فتجلس في البيت، أو أن تذاكر باجتهاد ثم تجد أصدقاءك يغشون في الامتحانات، فتترك الاجتهاد وتغش

مثلهم، أو تدعو الله، وبسبب تأخر الإجابة تترك الدعاء.....

تدبر!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»[1].

فعندما تتصفح كتاب الله، وتُعْمِل عقلك في تدبر آياته، تجد أنه غالبًا ما يذكر التوكل بعد الأخذ بالأسباب، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦٠-٦١]

فذكر التوكل بعدما قال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وخطط ومعدات؛ ولكن إن مالوا إلى ترك الحرب ورغبوا في مسالمتكم فمِلْ إلى ذلك -أيها النبي- وفوِّض أمرك إلى الله، وثق به؛ إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنيَّاتهم.

1 رواه البخاري.

فإن كنت مُصابًا بسحر التوكل فستجد نفسك لا تستفرغ الوسع في الأخذ بالأسباب، ولا تبذل الجهد، ولا تتعب، مع أن رزقك كفله الله لك، وكل ما عليك هو أن تبذل قصارى جهدك لتحصل عليه

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]

فالله ذكر النشور -أي البعث للحساب- بعد السير في الأرض؛ لأنك ستحاسب يوم البعث هل أخذت بالأسباب أم لا.

قصة مسحور «القوم العماليق»

هي قصة أناس أخطئوا في فهم التوكل، فتواكلوا ولم يأخذوا بالأسباب، وهي قصة بني إسرائيل، عندما أوحى الله -سبحانه وتعالى- إلى موسى عليه السلام أن يدخلوا الأرض المقدسة، ويقتحموا أسوار القدس ليستردوها من القوم العماليق، فأرسل موسى اثني عشر شخصًا ليتحسسوا أخبار المدينة، ودخلوها، فأمسك بهم شخص عملاق، ومن كبر حجمه وضعهم في جيبه، وذهب بهم إلى الملك، وأخبره بأن هؤلاء الأقزام يريدون أن يحاربونا، وطلب من الملك أن يأذن له ليطأهم بقدمه، ولكن الملك رفض، وتركهم يرجعون إلى قومهم؛ ليحكوا لهم عن مدى قوة العماليق، وكبر حجمهم، وأعطى لهم عنقودًا من العنب، وكان

ضخمًا بحجم الرجل، فعادوا إلى سيدنا موسى وهم يحملونه وقالوا له: «إنهم قوم أقوياء لن نقدر عليهم، وعندما يخرجون من القدس حينئذ ندخل نحن»، فقال اثنان من الاثني عشر: «إن الله قال إننا نستطيع أن نغلبهم، فلنأخذ بالأسباب، ثم نتوكل عليه سبحانه، وهو سيساعدنا»، لكن الباقين رفضوا، وهددوهما إن لم يصمتا سيرجمونهما بالحجارة.

توجه سيدنا موسى إلى الله -تعالى- بالدعاء: «**يا رب؛ لا أملك سوى نفسي وأخي**»، فأنزل الله فيهم قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠]

فسيدنا موسى هنا يذكرهم بنعمة الله، ويشجعهم على الاستعانة به:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ

بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢١-٢٦].

فرق كبير بين موقف بني إسرائيل، وموقف سعد بن معاذ رضي الله عنه قبيل غزوة بدر الكبرى، حيث كان عدد المسلمين ثلاثمائة وعدد المشركين ألفًا، فإذا بالنبي ﷺ يقول: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ». فقام سعد بن معاذ وقال مخاطبًا رسول الله ﷺ: ... آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ الله لِمَا أَرَدْتَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذا البَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غدًا، إِنَّنَا لَصُبُرٌ فِي الحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ[1].

هذا هو الفرق بين من يتوكل على ربه بقلبه، ويأخذ بالأسباب، ويتعب، ومن يكون مسحورًا لا يعرف ماذا يفعل، ويشعر بأنه ضحية للظروف، وضحية للناس، ولأوضاع البلاد، ولا يتعب في الأخذ بالأسباب، فسحر التوكل أن تفوض أمرك إلى الله وتتوكل عليه ولكن دون تعب..... فهل أنت كبني إسرائيل؟ إذا كنت كذلك فأصلح من نفسك، وابذل ما بوسعك، وفوض الأمر إلى الله.

1 السيرة النبوية لابن هشام «1/ 615».

عواقب التواكل

أولا عدم الأخذ بالأسباب خطيئة

وهذه أول عاقبة ستدفع ثمنها إذا فهمت التوكل خطأً، وإذا سُحرت بفكرة أن تترك كل شيء لله، فعندها لن تبذل جهدًا، وستترك السعي في الأرض، مع أن الله -تعالى- يقول:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]

ويقول ﷺ:

«إنَّ اللَّـهَ يلومُ علَى العَجزِ، ولَكِن عليكَ بالكَيسِ، فإذا غلبَكَ أمرٌ فقُل: حَسبيَ اللَّهُ ونعمَ الوَكيلُ»[1].

فالله لن يلومك إذا قمت بواجبك، وأُغلقت الأبواب في وجهك... فقط أحسِن عملك، وأتقنه، والله سيعطيك من حيث لا تحتسب.

ثانيًا الاستسلام سريعًا للإحباط

فالعمل والتعب والتفكير والتخطيط تشغل الذهن، وتجعلك دائمًا في انتظار الفرج من الله؛ فطوِّر من نفسك، وخذ دورات تدريبية، واملأ سيرتك الذاتية، ولا تتخذ من البطالة ذريعة للركون والاستسلام، وإنما عليك أن تجتهد

1 سنن أبي داود.

وسيفاجئك الله من حيث لا تحتسب، يقول -تبارك وتعالى- في الحديث القدسي:

«... يا بن آدم، لا تخف من فوات الرزق ما دامت خزائني مملوءة، وخزائني لا تنفد أبدًا..»[1].

فأنت في سعيك وكدّك ستلحظ أنَّ شخصيتك تنمو، وتنضج، وعقلك يكتمل، يقول تعالى:

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣]

فالله أقسم بأنه قد كفل لك رزقك، فاتعب، ولا تنشغل بغيرك، وإياك أن تستسلم للإحباط؛ حتى لا تصير حياتك راكدة، فيضيق صدرك، وتفقد الثقة برب العالمين، وإذا فقدت الثقة به فعلى من ستستند؟! فمن فقد الله ماذا وجد؟! ومن وجد الله ماذا فقد؟!

علاج سحر التوكل

أولًا قيِّم نفسك

هل أنت من هؤلاء الذين لا يبذلون قصارى جهدهم عندما تحدث لهم مشكلة؟ أو عندما يكون لديهم رغبة في أي خطوة في حياتهم؟.. هل مللت الدعاء وطرق الأبواب؟.. هل عندما أغلقت الأبواب ولم يبق

1 رواه مسلم.

سوى باب رب العالمين مللت ولم تقترب من الله؟ أم أنت من الأشخاص الذين يتعبون ويفكرون ويخططون وتستعين بالناس وخبراتهم وتحاول أن تحسن من نفسك وأدائك؟

ثانيًا ادع ولا تتوقف عن الدعاء

من أهم الأشياء التي تعلمتُها في حياتي عندما كنت أحضر دروس السيرة النبوية، وأسمع كيف كان النبي ﷺ يربي الصحابة، أنك إن أردت شيئًا فعليك أن تبذل الجهد مع الدعاء، ولا تتوقف عن هَذَين الفعلين بشكل متوازٍ.

مقام اليقظة

هو مقام من توكل على الله حق توكله، إنه لصحابي من المبشرين بالجنة؛ إنه عبدالله بن رواحة رضي الله عنه الذي قال ﷺ إنه رآه في الجنة، ففي غزوة مؤتة وقف الصحابة على باب مؤتة لأنهم اكتشفوا أن الجيش الروماني مائتا ألف، والمسلمين ثلاثة آلاف، فماذا يفعلون؟! هل يفرون أم يحاربون وهم قليلو العدد؟! فوقف عبدالله بن رواحة وقال لهم:

«إِنَّ الَّذِي تَكْرَهُونَ لَلَّذِي خَرَجْتُمْ لَهُ، تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ، وَمَا نُقَاتِلُ العَدُوَّ بِعُدَّةٍ، وَلَا قُوَّةٍ، وَلَا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ تَعَالَى بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ؛ إِمَّا ظُهُورٌ، وَإِمَّا شَهَادَةٌ»[1]....

فعشْ بروح سيدنا عبدالله بن رواحة، واجعل حبه في قلبك؛ لتقابل الله وقد تشبهت به، لعل الله يرزقك صحبته في الجنة، وإياك أن تكون متواكلًا...

1 الثبات عند الممات لابن الجوزي، باب: ما نقل في الثبات عند الممات، رقم الحديث «104».. موقوف

الخلاصة

من هو مسحور التوكل؟

هو من تحول من متوكل على الله إلى «المتواكل»، وهو من يتكل على الأقدار، ولا يأخذ بالأسباب، وإن بذل الجهد فإنه يمل سريعًا، ويصاب بالإحباط إذا لم يتحقق ما يصبو إليه.

علامات سحر التوكل:

- **أولًا:** النظر إلى حال الآخرين والحكم على عقيدتهم.
- **ثانيًا:** عدم بذل الجهد في الأخذ بالأسباب.

عواقب التواكل:

- **أولًا:** عدم الأخذ بالأسباب خطيئة.
- **ثانيًا:** الاستسلام سريعًا للإحباط.

علاج سحر التوكل:

أولًا: قيّم نفسك.

ثانيًا: ادع ولا تتوقف عن الدعاء.

BOOKS

سحر
الغضب

هذا السحر يُعد واحدًا من أقوى ثلاثة أسلحة للشيطان، يخترق به مئات -بل قــل آلاف- البيوت يوميًّا؛ ليعكر صفوها، ويفســد علاقات الود والصفاء بين أفرادها، فيزول الإحساس بالأمن والسكينة، وتسود حالة من التوتر والشــحناء، قد نخسر بسببها أشياء كثيرة لا يمكن تعويضها، فالشــيطان لا يرضى فقط أن يُدخلنا النار في الآخرة؛ بل يريدها لنا أيضًا في الدنيا، فيملأ حياتنا همًّا وغمًّا وأحزانًا، بما يشعله من غضب في نفوسنا، فيُذْكي بداخلنا تلك الرغبة في الانتقام والثأر والبطش، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ، ففي الحديث الشريف:

أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِــي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ». فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»[1].

من هو مسحور الغضب؟

هو شخص سيطر شعور الألم على عقله ودفعه للانتقام لحظ النفس، وليس لنصرة الحق. وهذا تمامًا عكس ما كان عليه النبي ﷺ؛ فهو ما غضب لنفســه قط، وإنما كان يغضب انتصــارًا للحق، إذا رأى حرمات الله تُنتهك، واضعًا أمام عينيه ضوابط الشرع الحنيف، أما مســحور الغضب فإنه يفقد السيطرة على نفسه في لحظات الانفعال، ليتجاوز كل حدود الدين، والأخلاق.

1 رواه البخاري.

أتذكَّر مقولة قرأتها لأحد علماء النفس، وهي: «**إنَّ الإنسان يستشيط غضبًا ليس بسبب المواقف، بل بسبب نظرته إلى المواقف**». وهذا ما يؤيده الواقع، فالكثير من مواقف الصِّدَام التي نراها بين الناس قائمة في الأساس على سوء تقدير للموقف، فمثلًا قد تنتقد شخصًا، فتجده يغضب ويثور، لماذا؟... لأنه رآها إهانة لشخصه، وليس أنها من باب النصيحة، أو قد تحمل رأيًا سلبيًّا عن شيء ما، فيرى الآخر أنك قد تجاوزت حدود اللياقة، إذن فالغضب في ذاته ليس عيبًا، ولكن المشكلة في أمرين؛ **أولهما** فيما قد تراه شيئًا مثيرًا للغضب، وهو في حقيقته ليس كذلك، **ثانيهما** في تعبيرك عن هذا الغضب، الذي قد يدفعك إلى تجاوزات -أو إن شئت قل: حماقات- قد تندم عليها بعد ذلك.

علامات سحر الغضب

أولًا تضخيم المواقف عن حجمها الحقيقي

إذا رأيت أنك تثور لأتفه الأسباب، وتتجاوز في ثورة غضبك نطاق الدين والعقل، فاعلم أنك تحمل خصلة من خصال النفاق، وهي التي عبر عنها النبي ﷺ بقوله:

«... **وإذا خاصم فجر**»[1].

1 متفق عليه.

أي تجاوز الحد المسموح به للتعبير عن الغضب، ويقول علماء النفس إن تلك الثورة والغضب الزائد عن الحد، الهدف منها أن توصل رسالة إلى الطرف الآخر أنه أخطأ في حقك، وأنه هو السبب في كل ما ارتكبته من حماقات، مع أن الواقع أنك من تحمل المسئولية في المقام الأول؛ لعدم استطاعتك أن تسيطر على نفسك.

ذهبت امرأة تُدعى فاطمة بنت قيس إلى النبي ﷺ، فقالت له: إن معاوية ابن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ:

«أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ.....»[1].

فقيل في معنى قوله ﷺ: «لا يضع عصاه عن عاتقه». إنه يحمل عصاه على كتفه دائمًا ليضرب نساءه، وفي رواية أخرى للحديث، تؤيد هذا المعنى: «وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ»... أي إنه سُحر بالغضب وكثيرًا ما يغضب فيضرب النساء...

فانظر إلى نفسك، إن رأيت أنك تعطي الأمور أكبر مما تستحق، وأن ألم الغضب بداخلك أكبر من أن تتحكم فيه أو أن تسيطر عليه؛ فهذا يعني أنك مسحور بسحر الغضب، وأنك ستخطئ باستمرار أخطاء لا يمكن إصلاحها، وينبغي عليك أن تحتكم إلى العقل والدين؛ لضبط مشاعرك وانفعالاتك.

1 رواه مسلم.

ثانيًا نسيان تاريخ الإحسان

الشـــخص الغضوب دائمًا ينسى المواقف الحســـنة، ولا يضع اعتبارًا لأي ودٍّ أو معروف كان، فهـــو يعمى عن كل شيء إلا عن الشيء الذي أغضبه فقط، فينفر منه مَن حوله؛ لأنهم يعلمون أنه لا يلتفت إلى ذلك الرصيد من التقدير أو الاحترام تجاه الطرف الآخر إذا ما غضب، ولا يعزُّ عليه أحد.

لا يمكن أن أنســـى ذلك اليوم عندما كنت أعطي درسًا في أحد المساجد، فإذا برجل ضخم الهيئة، يخترق الصفوف، حتى وصل إليَّ، وأمسك بيدي، وهمس في أذني وعيناه دامعتان أن ابنه يضربه، تخيـــل كيف نسي هذا الابن العاق وصية الله تعالى ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، وكيف تكون مشاعر الأب وهو يُضرب من ابنه!!

اتقوا ساعة الغضب فإنها ساعة عمياء، بلا عقارب ولا أقارب!

أي ليس لها وقت تنتهي عنده، ولا تعرف عدوًّا ولا حبيبًا، فالكل ســـواء، وقد حضرت موقفًا لاثنين يتشاجران، ودخل شخص ليفُضَّ الشجار بينهما، فقال له أحدهما: «**دعني وإلا ضربتك في وجهك**»!... بالله عليك ما ذنب هذا الشخص الذي ما أراد إلا أن يصلح بين متخاصمين؟!! يقول النبي ﷺ:

«أَلَا وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ بَطِيءُ الْفَيْءِ»[1].

أي ينفعل سريعًا، ويحتاج وقتًا طويلًا ليرجع عن انفعاله.

1 سنن الترمذي.

قصة مسحور

نشـأتْ في منزل يملؤه الغضـب والصراخ، فوالدهـا المدير، عصبيُّ المزاج، ومضغوط في عمله دائمًا، يثور لأتفه الأسباب، وليست المشكلة في العصبية وحدها؛ ولكن في كمِّ الإهانات والكلام الجارح الذي يصدر منه وقت غضبته، تقول الفتاة إنهم أصبحوا لا يزورون جيرانهم؛ لشعورهم بالحرج من كثرة ما يصدر عن أبيهم من انفعال وصراخ.

مع زوجته...

في يوم مـن الأيام عاد متأخرًا من العمل، وكان يشـعر بالجوع، والأم منهمكة في إعداد الطعام للضيـوف القادمين، فدخل غرفته، فلم يجدها مُرتبة كما ينبغي، فغضب وضرب باب الغرفة فانكسر، فوارى هذا الكسر بصورة، واعتذر لزوجته بعد رحيـل الضيوف عن هذا الغضب الهائل، تقول الفتاة: «كم يبدو قبيحًا وهو غاضب! لا أحب أن أنظر إليه».

وتحكي الفتاة موقفًا آخر: «في يوم من الأيام تأخرت أمي عشر دقائق أثناء انتظارنا لها في السـيارة، وعندما جاءت ظل يصرخ فيها حتى تجمع الجيران حولنا، وظل طوال الطريق، كلما تكلمتْ كلمة يسـخر، ويتهكم منها، فهو بداخله يشعر بالضيق منها، فيخرج ذلك في صورة الاستخفاف بحديثها».

مع إخوته...

لم تر الفتاة عمها طوال سـتة أشهر؛ بسـبب خلاف بينه وبين والدها،

وكان الخلاف على قطعة أرض مميزة، يريدها الأب لنفسه بعد وفاة والدهم، فقال العم لوالد الفتاة: لا تأخذها حتى لا تظلم باقي الإخوة، فتشاجر معه، ولم تر عمها منذ ذلك الحين.

في العمل...

تقول الفتاة: «كان أبي يحكي دائمًا عما يفعله بالموظفين، وكيف يهين كرامتهم إذا لم ينفذوا شيئًا بدقة، وكنت أشعر بالأسى عليهم».

موقف آخر لهذا الأب، أنه حضر إلى العمل، فوجد شابًّا يستند إلى الحائط وهو يدخن السيجارة، ويتحدث في الهاتف، فسأله: كم راتبك؟ فأجابه: ألف جنيه، فأعطاه ألف جنيه، وصرخ فيه: لا تأتِ إلى العمل بعد اليوم، وبعد ذلك عَلِمَ أن هذا الشاب لم يكن أصلًا موظفًا بالشركة، وإنما كان يعمل بتوصيل الطلبات إلى العاملين بالشركة.

وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة...

وفي أحد الأيام أُصيب الأب بذبحة صدرية؛ نتيجة الغضب الزائد على الحد، ودخل الإنعاش، وكلما أفاق كان ينظر إلى الموجودين حوله نظرات ألم وندم، وكأنه يقول: سامحوني.. ثم مات.

تقول الفتاة: «عندما كنت في العزاء سمعت أقسى كلمة في حياتي، سمعت اثنين من الموظفين، كانا يعملان معه يقولان: «راح مطرح ما راح، ربنا ريحنا منه»... انظر كيف مات الأب وقد خسر حب زوجته، وأبنائه، والناس من حوله، بل فقد حياته... كل هذا بسبب العصبية الزائدة.

عواقب سحر الغضب

أولا كسر ما لا يمكن إصلاحه

«أوثِق كلب الغضب بسلسلة الحِلم، فإنه كلب إذا أفلت أتلف»، فالغضب كلب إذا تركه الإنسان أتلف، والحِلم هو ضبط النفس...

ابن القيم

هناك إحصائية تقول إن خمسين بالمائة من حالات الطلاق بين الأزواج بسبب ما يتبادلانه من كلمات جارحة ومهينة في لحظات الغضب، وخمسة وعشرين في المائة خلافات بسب إهانة طرف للطرف الآخر.

أبي... أين أصابعي؟!

لن أنسى قصة الأب الذي اشترى صالونًا جديدًا أبيض اللون، وكان كلما غضب من أبنائه قذف أي شيء نحوهم، وفي يوم من الأيام رسم ابنه البالغ من العمر أربع سنوات شيئًا على الصالون، فغضب الأب، وكان يحمل آلة حادة، فطعن بها ابنه الصغير في يده، فذهب به إلى المستشفى مسرعًا، فتبين إصابة الابن الصغير بغرغرينة في يده اضطر معها الأطباء إلى قطع أصابع تلك اليد، ولما أفاق الطفل من تأثير المخدر، ورأى كفه بلا أصابع، قال لأبيه: «ممكن يا بابا ترجع لي صوابعي، ووالله مش هاعمل كده تاني»... فانهار الأب؛ لذلك انتبه «**فالغضب أوله حماقة وآخره ندامة**

كما ينسب لبوذا[1]». فالغضب كان -ولا يزال- أمرًا ممقوتًا، في كل الأديان، وعلى مر العصور؛ فينبغي -إذن- أن تحذر منه.

ثانيًا ❁ الفشل في حل المشكلات

في لحظات الغضب والانفعال يتوارى العقل تمامًا، وتغيب عنه قدرته التحليلية في التعامل مع المشكلات والأحداث؛ ولذا حذرنا النبي ﷺ من الفصل بين متخاصمين في لحظات الغضب، فقال:

« لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ »[2].

لأنك في تلك الحال تنظر إلى الأمر نظرة سطحية، وتغفُل عن جذوره، ولا تتناوله من كافة أبعاده.

قال سليمان الحكيم: «إياك وشدة الغضب؛ فإنها ممحقة لفؤاد الحكيم». نعم... فحتى إن كنت حكيمًا، فإنك في لحظات الغضب لن تكون كذلك، فكم من بيت اختفت منه ذكريات الحب ودفء المشاعر؛ بسبب تراكم المشكلات، وعدم القدرة على التعامل معها في الوقت وبالشكل المناسبين، فيزيد الجفاء، ويتعمق الخلاف!

1 هو مؤسس ديانة أو فلسفة البوذية «وهي أقرب إلى فلسفة..... فصيح اللسان، مؤثر بالعاطفة والمنطق، له منزلة كبيرة في أعين الملوك، ومجالسه ملتقى العلماء والعظماء، كما رفض التعصب الديني والغضب والبطش.

2 رواه البخاري.

ثالثًا غلق أبواب المغفرة

قال ﷺ:

«تُفتَحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ الإثنينِ والخميسِ، فيُغفَرُ لكلِّ عبدٍ مُسلِمٍ لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا إلَّا رجُلًا كانت بيْنَه وبيْنَ أخيه شحناءُ فيُقالُ: أنظِروا هذينِ حتَّى يصطلِحا»[1].

وقال ﷺ:

«يلتقِيانِ فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا وخيرُهما الذي يبدأُ بالسَّلامِ»[2].

فدوام الخصام والشحناء يحرمك مغفرة رب العباد، فكن أنت صاحب الفضل الذي يبدأ أخاه بالسلام، وروي في الأثر المشهور:

«لِلنَّارِ بَابٌ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ شَفَى غَيْظَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ».

فلا تشفِ غيظك بأقوال أو أفعال تغضب الله عَزَّوَجَلَّ وإياك أن تتسخط على أقداره جل في علاه.

يقول ابن القيم في كتابه «الفوائد»: «ثلاثة أبواب يدخل منها بنو آدم النار: باب شبهة أورثت شكًّا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم

1 رواه مسلم.
2 رواه البخاري.

الهـوى على طاعة الله، وباب غضب أورث العدوان على خلق الله». فخذ القرار بفك هذا السحر الذي يورث العدوان على خلق الله.

علاج سحر الغضب

لا بد أن تنظر في نفسك، كيف تعبر عن غضبك، وإليك الصور الأربع للتعبير عن الغضب، بحسب تقسيم علماء النفس لها:

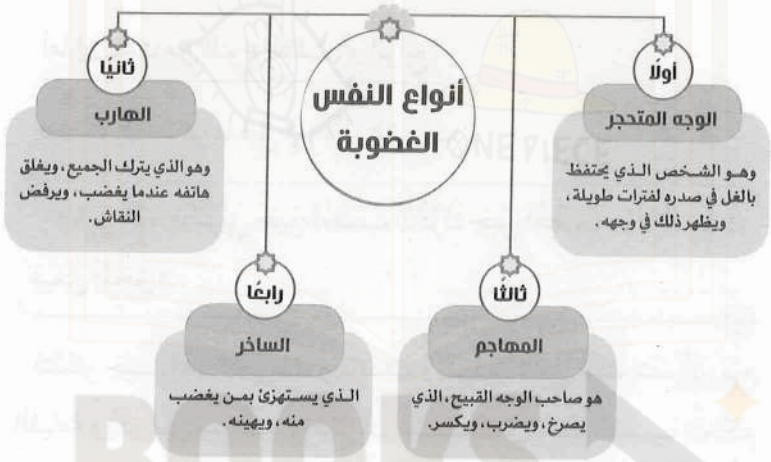

إن كنت من النوع الأول أو الثاني:

فالعلاج يكـون بالمصارحة، وأن تفصح عن الأمر الذي كان سـببًا في غضبك؛ حتى لا يكون مثارًا للخلاف مرة أخرى، وتقبل أن يغفل غيرك أحيانًا عن أمور تسبب لك الضيق، فلا تعطِ الأمر أكبر مما يستحق، وإياك

أن تظل محتفظًا بمشاعر الضيق والغضب في صدرك.

أعرف شـخصًا كان يحدد فترة زمنية للقطيعة، والخصام، ولا يقبل أبدًا أن يرجع عنها، حتى لو انتهت المشـكلة، واعتذر له الطرف الآخر، وله القدرة عـلى أن يظل محتفظًا بذلك الوجه المتحجـر طوال فترة الخصام، فهذا الشـخص يعيش دائمًا في ضيق وغم لا ينتهـي، ويدفع غيره إلى أن يحمل له مشاعر الجفاء والخصام، وتظل المشكلات تتراكم دون حلول.

أما إن كنت من النوع الثالث أو الرابع:

فيجب أن تتذكر ما قيل في الأثر الشريف:

«يا بن آدَمَ، اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ أَذْكُرْكَ حِينَ أَغْضَبُ، وَلَا أَمْحَقُكَ فِيمَنْ أَمْحَق».

فتذكر جيـدًا أن هجومك وغضبك وخوف الناس منك سـيأتي يوم القيامة ويكون في ميزانك، وتذكر أن الشـيطان في لحظة الغضب يتحكم في العبد، خصوصًا الغضوب المهاجم، فالمهاجم في لحظات الغضب هو غول، يجري الشيطان منه مجرى الدم في العروق، فإن كنت كذلك، فأكثر من الاستعاذة، بحسب وصية النبي ﷺ، أما إن كنت الغضوب الساخر، فأمسك عليك لسانك، واستعذ بالله من الشـيطان الرجيم، وضع أمام عينيك قوله ﷺ:

«إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من رضوانِ اللهِ، لا يُلقي لها بالًا، يرفعُه اللهُ بها درجاتٍ، وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من سخطِ اللهِ، لا يُلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنَّمَ»[1].

فإياك أن تسخر أو تستهزئ بعباد الله أيًّا كانت الأسباب.

مقام اليقظة

إنه لسيدنا عُمر بن الخطاب -رضوان الله عليه- الذي كان يمتاز بقوة الشخصية، وكان لا يغضب إلا للحق، فإذا شعر أنه سيتجاوز الحد رجع على الفور، ففي يوم دخل عليه رجل يُدعى عُيينة بن حصن، فقال له: «يا بن الخطاب، والله ما تقسم بالعدل ولا تعطي الجذل. فغضب عمر غضبًا شديدًا، حتى همَّ أن يُوقِعَ بِهِ، فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول في كتابه:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

وإنَّ هذا من الجاهلين. قال ابن قيس: فخلَّى عنه عمر وكان وقَّافًا عند كتاب الله»[2]. أي إن غضبه محاط بسياج العقل والدين، وتذكر أن من تشبه بقوم حُشر معهم، فتخلقْ بالحِلم كسيدنا عُمر لتُبعث معه، وادعُ الله

1 رواه البخاري.

2 رواه سفيان بن عيينة عن الزهري، كتاب: البلدان «1/ 359».

أن تكون سليم الصدر، وألا تكون ذلك الغضوب؛ كي لا تكسر أشياء لا يمكن إصلاحها، وتُحرم مغفرة الله ورحمته، واتصف بالحلم الذي يحبه الله رب العالمين.

كما قال النبي ﷺ لأحد الصحابة:

«إنَّ فيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُما اللهُ: الحِلْمَ والأناةَ»[1].

فيا رب نسألك أن تملأَ قلوبنا بالحِلم، وأن تنزعَ منَّا سحر الغضب يا ربَّ العالمين.

1 رواه مسلم.

الخلاصة

من هو مسحور الغضب؟

هو شخص سيطر شعور الألم على عقله ودفعه للانتقام لحظ النفس، وليس لنصرة الحق.

علامات سحر الغضب:

- **أولًا:** تضخيم المواقف عن حجمها الحقيقي.
- **ثانيًا:** نسيان تاريخ الإحسان.

عواقب سحر الغضب:

- **أولًا:** كسر ما لا يمكن إصلاحه.
- **ثانيًا:** الفشل في حل المشكلات.
- **ثالثًا:** غلق أبواب المغفرة.

علاج سحر الغضب:

حدد طريقة تعبيرك عن الغضب من خلال الصور الأربع الآتية:

- **أولًا:** الوجه المتحجر.
- **ثانيًا:** الهارب.
- **ثالثًا:** المهاجم.
- **رابعًا:** الساخر.

إن كنت من النوع الأول أوالثاني فالعلاج هو «المصارحة».

وإن كنت من النوع الثالث أوالرابع فالعلاج هو « تذكر الله عند الغضب».

سحر
الصحبة

أريد أن أبدأ هذا الموضوع بتعليق قاله صديقي إبراهيم، يوم أن كنا في الروضة الشريفة، حيث دفن النبي ﷺ وإلى جواره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قال لي إبراهيم: علاقة الصداقة من أغلى العلاقات التي يحبها الله، ولعل الله -سبحانه وتعالى- اختار أن يدفن أصحاب رسول الله إلى جواره تكريمًا لقيمة الصداقة والصحبة، ولو تأملت لوجدت في عقيدتنا أن الأموات يتزاورون في القبور كما قال العلماء؛ لذا كان سيدنا محمد ﷺ يحرص أن يُدفن الأصدقاء المتآخون في الله متجاورين في القبر؛ لعلهم يتزاورون فيأنس بعضهم ببعض.. وهذا ما حدث مع شهداء أُحُد حيث أُتي رسول الله بعبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح قتيلين فقال:

«ادفنوهما في قبر واحد؛ فإنهما كانا متصافيين في الدنيا»[1].

علاقة الصحبة تجعل الواحد منا يتعلق بصديقه تعلقًا شديدًا، وعندما أمُرُّ بالمقاهي فأرى الشباب يتبادلون الحديث والظاهر في تجمعهم الاستمتاع والسعادة، أسعد بذلك كثيرًا، وأسأل الله لهم أن يديم اجتماعهم فيما يرضيه، غير أني في الوقت نفسه قد أرى -مع كل أسف- الكثير من التجاوزات، خصوصًا في تجمع الشباب مع البنات في الجامعات والنوادي، وتلك الضحكات، والتقارب الزائد بينهم، وقتها أدرك أن للصحبة سحرًا يخطف القلوب، وقد يدفعها لأن تتخلى عن مبادئها؛ من أجل دوام تلك الصحبة، وطلبًا للمزيد من السعادة.

1 مصنف ابن أبي شيبة.

من هو مسحور الصحبة؟

هو الشخص الذي قدم محبة صديقه على محبة الله ورسوله، فإن دعاه صديقه إلى ما لا يرضي الله ورسوله، بادر إليه، وعصى ربه، فهانت محبته في قلبه.

علامات سحر الصحبة:

أولا شراء لذة الصحبة بالقِيَم

قيم غرسها أهلك، وتربيت عليها، حثَّ عليها وأمر بها الدين الحنيف، هذه القيم يمكن أن تتخلى عنها مقابل جلسة جميلة مع أصدقائك، ولكنها كأي جلسة؛ لأن فيها من المُتع الحرام ما قد يراه أصحابك أمرًا عاديًّا، فيدفعونك إليها، بل قد تُنتقد منهم إن لم تقبلها وتتفاعل معها.

إن ديننا يحُث على اتخاذ الصحبة الصالحة، ونرى ذلك في رسول الله، فقد كان محاطًا بأصحابه، الذين قالوا عنه -كما ورد في كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي-:

> «كان يجلس النبي معنا بعد الفجر، إذا تكلمنا في الدنيا تكلم معنا، وإذا تكلمنا في الآخرة تكلم معنا، وإذا تكلمنا في الطعام تكلم معنا». فقد كان ﷺ يُحبهم ويُحب مجالستهم.
>
> الإمام الترمذي (1)

1 أحد الأئمة الكبار في جمع وحفظ الأحاديث النبوية. ومن شيوخه البخاري ومسلم، وهو صاحب مصنَّف جامع الترمذي المعروف بسنن الترمذي، وقد قال الترمذي عن كتابه هذا: «من كان في بيته هذا الكتاب، فكأنما في بيته نبي يتكلم».

تأمل معي هذا الحديث:

«إنَّما مثلُ الجليسِ الصَّالحِ والجليسِ السُّـوءِ، كحاملِ المِسـكِ ونافخِ الكير، فحاملُ المسـكِ إمَّا أن يُحذِيَك، وإمَّا أن تَبتاعَ منه، وإمَّا أن تجِدَ منه ريحًا طيِّبةً، ونافخُ الكيرِ إمَّا أن يحرِقَ ثيابَك، وإمَّا أن تجِدَ منه ريحًا خبيثةً»[1].

«حامل المسك... إما أن يُحذِيَك - يعطيك - وإما أن تجد منه ريحًا طيبة»

العلاقـة هنا متبادلة؛ فهو يعطيك، وأنت تمُـد يديك لتتناول ما يعطيك، فالصحبـة الصالحة تَبُثُّ إليـك قيمًا جميلة؛ من الكلمة الطيبة، وحسـن الخلق، ومسـاعدة الغير، وأنت بدورك تقبل تلك القيم، وتتفاعل معها، «وإما أن تجد منه ريحًا طيبة» أي حتى وإن لم تتفاعل معها، فإنك سـتجد نفسـك -لا إراديًّا- تنطبـع فيك أخلاق تلك الصحبة، فتكتسـب قيمًا وفضائل بشكل تلقائي، فـ«من جالس جانس».

«نافـخ الكير... إما أن يحرق ثيابك وإمـا أن تجد منه ريحًا خبيثة» وعلى النقيض من ذلك جليس السوء، فهو يقترب منك ليُحرقك، وأنت أيضًا تقترب منه فتُكوى بناره، فالصحبة السـيئة سوف تجرفك معها إلى طريق

1 متفق عليه.

المعصية، حتى وإن قاومت، فإنك -شئت أم أبيت- سوف تتأثر بهم، وتجارِيهم في أفعالهم، فكما يقولون «الصاحب ساحب». والخيار لك أولًا وأخيرًا... فأي صحبةٍ تُريد؟!!

ثانيًا ضياع الأولويات بسبب التعلُّق بالأصحاب

تأمل معي قصة حياة مارادونا، لاعب الكرة الأرجنتيني الشهير، فقد كان شابًّا رياضيًّا، يواظب على التمرين، مهتمًّا بصحته، حتى ساق إليه القدر صحبة سيئة، فأهمل الرياضة، وأخذ في السهر، وازداد وزنه، حتى أدمن المخدرات، وتحول من أسطورة الكرة إلى مُدمن، تنهار حياته، وتلاحقه الشرطة، وشارف على الموت، لولا ابنتاه اللَّتان أنقذتاه من الإدمان... لذلك لو وجدت نفسك تُفرط في التزاماتك، وأولوياتك، ووقتك، وعملك، من أجل أصدقائك، ولا تحاول -بل لا تريد- أن تقاوم ذلك، فانتبه!!...أنت مسحور بسحر الصحبة.

جميعنا يحتاج لوجود الصحبة في حياته، ولكن ليس أي صحبة، بل لا بد أن تعين على أمر الدين، فتتقوى معها صلتك برب العالمين، وبأهلك، وبكل من لهم حق عليك، وكذلك أمر الدنيا، فتحافظ على وقتك، وتهتم بعملك، وتطور من نفسك، واحذر أن يكون أحد أغلى في قلبك من الله -سبحانه وتعالى- فتغضب الله لترضيه، وإياك أن تُضيِّع أولوياتك مقابل الصُّحبة، فتخسر الدين والدنيا.

التحق ذلك الشاب بإحدى الجامعات المرموقة، وقتها كان شابًّا عاديًّا، يمارس الرياضة، يحاول أن يواظب على الصلاة، فلم يكن متدينًا بشكل كبير، وفي تلك الجامعة انجذب لمجموعة من الشباب الملتزمين، عقولهم منفتحة، يحافظون على لياقتهم البدنية، فيمارسون الرياضة، ويجتمعون في مقرأة مرة في الأسبوع، فكانوا يستمتعون بحياتهم مع المحافظة على القيم وثوابت الدين، فتعلق بهم، وتعلم منهم القرآن، وارتبط بمسجد الجامعة جدًّا، وكان يحضر معهم المقرأة.

في السنة الثالثة كان معه في محاضرات التدريب العملي مجموعة من البنات والشباب، كانت مجموعة شهيرة في الجامعة، عددهم تقريبًا عشرة، فكان يتبادل معهم السلام، يقول الشاب: «دائمًا ما كنت أشعر عندما أمر بهم أنهم يتهامسون عني، وأني شاب منغلق، خصوصًا الفتيات -رغم أنه علم بعد ذلك أنهم كانوا يصفونه بالاحترام- وفي أحد الأيام دعاه أحدهم للجلوس معهم، فاستأذن منه بعض الوقت؛ ليحضر المقرأة، ثم عاد وجلس معهم، يصف هذه الجلسة بأنه سُرَّ بها كثيرًا، فهو منذ التحق بالجامعة لم يشعر بمتعة كتلك التي شعر بها وهو معهم.

في اليوم التالي جاء إلى الجامعة، وبحث عنهم، وانضم إليهم، فدعوه ليذهب برفقتهم لتناول طعام الغداء خارج الجامعة، فوافق، وذهب معهم

لـيرى وجهًا آخر أكثر انفتاحًـا، فكانوا يمزحون معًا بأسـلوب وألفاظ لم يعهدهـا من قبل، ورأى الاقتراب الزائد بين الشـباب والفتيات، وبعد الغداء بدءوا يشربون الشيشـة، فقال أحدهم: عذرًا.. سـنشرب الشيشة أمامك يا «شـيخ»، فيقول: «كم آلمتني تلك الكلمة، وأثرت فيَّ! شـعرت أنها سُـبَّة، جعلتني أبدو رجلًا عجوزًا مُنغلقًـا أمامهم»، فقلت لهم: «وما المشكلة؟!.. هذا أمر عادي، لا شيء فيه»، يقول: «فشرب الأولاد والبنات الشيشـة، لكني لم أشاركهم، وشـعرت أني ثقيل الدم، وعدت وأنا سعيد لأني خرجت معهم»... حتى الآن هو مازال محافظًا على حضور المقرأة.

بعد أسبوع دعته تلك المجموعة للخروج معهم، وعرض عليه أحدهم الشيشـة، فقبلها ليُثبت لهم أنه وإن كان ملتزمًا لكنـه ليس منغلقًا، كان هذا الوقت قريبًا جدًّا من رأس السـنة، وكان لا يزال يحضر المقرأة، وفي يوم رأس السـنة دعاه أصدقاؤه القُدامى لتناول العشاء معهم في الخارج ولكنهم قبل ذلك سيصلون تطوعًا، من باب إقامة عبادة في الهرج كما قال الرسول ﷺ:

«العِبَادَةَ فِي الهَرْجِ[1] كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[2].

فذهب وصلى معهم، ثم اعتذر عن عدم الخروج معهم لأنه سـيخرج

1 الهرج: الفتنة، واختلاط أمور الناس.

2 رواه مسلم.

مع المجموعة الأخرى، وكانت هذه بداية الانحدار، فقد كان المكان يقدم الخمر، وعاوده ذلك الإحساس بأنه لا يُريد أن يبدو منغلقًا، فسكت وهو يراهم يشربون الخمر؛ البنات والشباب، وفي هذا اليوم دعوه للسفر معهم إلى شرم الشيخ مع بداية إجازة نصف العام، فيقول إنه لم يستطع أن يُقاوم بعدما تخيَّل هذه الجلسة على الشاطئ، وبالفعل سافر معهم، وهناك ظهر أنهم يتعاطون البانجو والحشيش، الذي لا يعتبره أكثر الشباب من المخدرات، رغم أنها من أصعبها في التأثير سلبًا على الجسم، فيقول: «وهناك كانت المرة الأولى التي أضع فيها سيجارة حشيش في فمي»... انظر كيف يتنازل عن قيمه مقابل لذة الجلسة والصحبة.

حتى لطف الله بهذا الشاب، فصوره أحد الزملاء مع تلك الرفقة، وعرض الصور على الفيسبوك، فشاهدها أصدقاؤه «رفقة المسجد»، وبعد عودته اتصلوا به، وأتاه ثلاثة منهم، فترفَّقوا به، ولم يعاتبه أحد منهم على تلك الصور، لكنهم ذكَّروه بالأيام الماضية، عندما كان يذهب إلى المقرأة؛ لتعلم أحكام التلاوة، وذكروه بقوله تعالى في سورة ق:

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]

فيقول: «أخذوا يذكرونني بتلك السورة، وكيف كنت أُحبها، وأطلب منهم أن يقرءوا بها في الصلاة، وذكروني بركعتي رأس السنة، وكيف دعونا فيهما: اللهم إنا نسألك خير ما في هذا العام: فتحه ونوره ونصره

وبركته وهداه، فدمعت عيناي، وشعرت أني فرَّطت في جنب الله، وطلبت منهم أن يظلوا بجانبي، فقد ضعُفت، فأقسموا أني أغلى عليهم من أنفسهم وأنهم لن يتركوني!»، فأدركت وقتها الفرق بين الصاحب الذي يُشركني في علاقته بالله، وبين الذي يشركني في بُعده عن الله... يقول: «فتُبت إلى الله وعُدت لبيت الله والصحبة الصالحة».

عواقب سحر الصحبة

أولًا الإعجاب بالخطأ والجُرأة عليه

إن الخروج عن ضوابط المجتمع، وما تعارف عليه الناس من قيم وثوابت، يكون أحيانًا مثيرًا للبعض، وهنا تكون خطورة الصحبة التي قد تدفعك إلى الكثير من التجاوزات، ففي البداية قد ترى الشيء فينكره قلبك، وتستوحشه نفسك، وبعد ذلك تألفه، فتتغاضى عنه، ومع الوقت تجد نفسك قد أقبلت عليه، وتتوق لتجربته، لينتهي بك الأمر وقد انغمست فيه، واجترأت على حُرمات الله، وهانت في قلبك كل الثوابت والقيم التي تربيت عليها.

هذه هي المراحل نفسها التي مرَّ بها كل شاب أدمن الخمور، أو السجائر، بل حتى الشتائم والسباب، فبحكم أني عملت بالتدريس لفترة، رأيت الشاب في المرحلة الثانوية عندما يسمع شتائم إباحية، ويرى أصحابه يسبون وهم يلعبون الكرة، يستنكرها، ويرفض أن يُسبَّ بأبيه أو بأمه، ثم بعد ذلك

يألف هذا السباب، ومع الوقت تجده بدوره يستعمل تلك الألفاظ.

يقـول أحد الصالحين: «مـا انتهك المرء من حرمـة أخيه أعظم من أن يجترئ عـلى الخطأ ثم يخففه عليه»... أي تفعل المعصية، ثم تُهونها في عين صاحبك؛ لذلك يقول تعالى:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]

لذا لو لاحظت أنك اجترأت على المعصية، وأنها هانت في قلبك، فاعلم أنك قد سُـحرت بالصحبة... فيا تُرى أي إنسـان هذا الذي يستحق أن تعصي الله لترضيه؟!!

ثانيًا فقدان لذة صحبة الله

لعل من أعظم ثمار تقديم محبة الله على كل ما سـواه، أن يصير العبد في معية الله عَزَّوَجَلَّ؛ تلك المعية التي تجعلك محاطًا برعاية الله، فيهديك، ويرشدك إلى طريقه المستقيم، أما أن تتخذ صحبة تستحوذ على قلبك، وتقدمها على ما أمر الله به ونهى عنه؛ فإنك -لا شك- ستُحرم تلك المعية، يقول تعالى عن نفسه في الحديث القدسي:

«أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ...»[1].

1 رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق.

فالله عَزَّوَجَلَّ غنيٌّ عن الشرك، ولا يقبل أن يكون له ند في قلبك، تعصي الله لترضيه.

فالله يصحبنا في الدنيا؛ ليحفظنا ويرعانا، لكن هناك مَن يُحرم هذه الصُّحبة:

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣]

فنفى الله -تعالى- عن هؤلاء المشركين أن يجيرهم أو يصحبهم بخير، تصور أن تفقد لذة صحبة الله ومعيته مقابل صحبة عصيت بها الله!! أمَّا إن أحببت صديقك، واجتمعتما على طاعة الله، فهذه من أعلى الطاعات، اثنان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، فحتى وإن لم تُصليا معًا، فعلى الأقل لا تعصيان الله معًا.

إنَّ من شؤم ترك صحبة الله أن يصير أقرب الناس إليك في الدنيا، أعداءً لك في الآخرة، تصور أن تأتي أمك فتختصمك أمام الله يوم القيامة؛ لأنك رضيت أن تُسبَّ في عِرضها من صديقك، الذي لم تنهره حرصًا على صداقته، قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ مِن أكبَرِ الكبائِرِ أن يَلْعَنَ الرَّجُلُ والدَيهِ». قيلَ: يا رسولَ اللَّهِ، وَكيفَ يَلعن الرَّجُلُ والديهِ؟ قال: «يَسبُّ الرَّجلُ أبا الرَّجلِ، فيسُبُّ

أباهُ، ويسبُّ أُمَّهُ فيَسبُّ أُمَّهُ»[1].

علاج سحر الصحبة

أولًا تذكر عقد الأخوة بينك وبين سيدنا محمد ﷺ

إنه العقد الذي عرضه عليك يوم ذهب لزيارة المقابر، ففي الحديث الشريف:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى المَقْبَرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا». قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ... فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ»[2].

أي أتقدمهم على الحوض، فكم من المؤلم أن ينتظرك الرسول ﷺ ولا تأتي! بل والأكثر ألمًا أن ترى عباد الله الصالحين، الذين اختاروا الصحبة الصالحة يلتفون حول الحبيب ﷺ عند الحوض، بينما يُقال لك: سُحقًا سُحقًا... أي بُعدًا.

ثانيًا تعلم أن تقول لا

فهي من أهم المهارات التي يجب أن تكتسبها، فكم أضاع أُناس في الدنيا

1 متفق عليه.

2 رواه مسلم، كتاب الطهارة.

من أوقاتهم وأعمالهم لأنهم لم يستطيعوا أن يقولوا لا! أنا شخصيًّا أضعت فترة من حياتي لأني كنت أخجل أن أقول لا؛ كي لا أُغضب أحدًا، فابتعدت عن طموحي وأهدافي، حتى تعلمت الدرس، فتعلم أنت أيضًا أن تعتذر دون أن تُغضب أحدًا، فإن غضب منك رغم اعتذارك فهو لا يستحقك، فالله -سبحانه وتعالى- يقول:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ينبغي أن تتعلم أن تقول لا لتلك الصحبة إذا ما فرطت في حق رب العالمين، وفي حق نبيه ﷺ، واتركهم حتى يخوضوا في حديث غيره، ويكونوا عبادًا صالحين، وكُن ذا شخصية مستقلة، ترفض أن تشارك في الخطأ، ولا تفعل إلا ما يرضي الله رب العالمين.

مقام اليقظة

للصحابي الجليل سعد بن الربيع رضي الله عنه أحد نقباء الأنصار، آخى النبي بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فقال سعد بن الربيع لعبد الرحمن: «قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فأطلقها حتى إذا حلَّت تزوجتَها». فدعا له عبد الرحمن بالبركة في ماله وولده.

ومن الطبيعي أن مثل هذا الصاحب الذي آثر صاحبه على نفسه أن يُصطفى من الشهداء، فمات شهيدًا في غزوة أُحد، ففي الخبر أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد:

«مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَإِنِّي رَأَيْتُ الأَسِنَّةَ قَدْ أَشْرِعَتْ عَلَيْهِ؟».

فقال أُبيُّ بن كعب: أنا. وذكر الخبر: اقرأ على قومي السلام، وقل لهم: يقول لكم سعد بن الربيع: «اللهَ اللهَ وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة، فوالله ما لكم عند الله عذر إن خُلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف». يقول كعب: فرجعت إلى النبي، فأخبرته، فقال:

«رَحِمَهُ اللهُ، نَصَحَ للهِ حَيًّا وَمَيِّتًا»[1].

فتشبَّه بهذا الصحابي سعد بن الربيع؛ لعل أن الله يصطفيك شهيدًا معه، أحبَّ صديقك، وأحبِّي صديقتكِ، ولكن في الخير، وإياك أن تُسحر بسحر الصحبة، فيكون حُب أصحابك في قلبك أغلى من حب الله، إياكِ أن تُغيركِ صديقتكِ، فتُبعدكِ عن النبي، وأنتِ بنتُ النبي عليه الصلاة والسلام.

يوجد من ينتظرنا غدًا عند الحوض وقال: أنا فرَطُكُم. لا تبعْ هذا اللقاء، فالنبي ينتظرك، وادع الله إن كان لك صاحب يدفعك إلى المعصية أن يقلل

1 الاستيعاب، لابن عبد البر.

تعلقــك به، وأن يرزقك صحبة صالحة تحبهم ويحبونك، وادع لصاحبك بالهداية؛ لعل الله أن يرده إليه ردًّا جميلًا.

يا رب خُذ بأيدينا، واملأ قلوبنا بحبك، ولا تجعل في قلوبنا شريكًا لك، ولو كان أعز أصحابنا.

الخلاصة

ما هو مسحور الصحبة؟

سـحر الصحبـة أن تكـون محبتـك لصديقك مقدّمـةً على محبة الله ورسـوله، فإن دعاك صديقك إلى أمر لا يرضي الله ورسوله، بادرت إليه، وعصيت ربك، فهانت محبته في قلبك.

علامات مسحور الصحبة:

- **أولًا:** شراء لذة الصحبة بالقيم.
- **ثانيًا:** ضياع الأولويات بسبب التعلّق بالأصحاب.

عواقب سحر الصحبة:

- **أولًا:** الإعجاب بالخطأ والجُرأة عليه.
- **ثانيًا:** فقدان لذة صحبة الله.

علاج سحر الصحبة:

أولًا: تذكر عقد الأخوة بينك وبين سيدنا محمد ﷺ.

ثانيًا: تعلم أن تقول: لا.

سحر
إرضاء
الناس

حينما أسير وسط الناس، في الشوارع والميادين، وأختلط بهم في الأسواق ووسائل المواصلات، أدرك أن الإنسان مخلوق اجتماعي، لا يستطيع العيش بمفرده، وقد فسر علماء اللغة أحد أسباب تسمية الإنسان بهذا الاسم، أنه يأنس بمن حوله، وكما يقولون: «جنة من غير ناس، ما تنداس»، فلو أن الجنة بأنهارها، وثمارها، وكل ما فيها من نعيم، لا تكتمل متعتها إلا بوجود الناس الذين تحبهم، فما بالك بالدنيا، المليئة بالمشكلات، والهموم، والأحداث؟! فهي -لا شك- إلى وجود الناس أشد احتياجًا، وأنت عندما ترى أمارات الرضا في عيون الناس، فإنك تطمئن، وتشعر أن لك قيمة في هذه الحياة، غير أن ذلك الشعور قد يتملكك، ويسيطر على قلبك؛ فتسعى لإرضاء الناس بأي وسيلة، ولو على حساب الحق والفضيلة.

من هو المسحور بإرضاء الناس؟

هو الشخص الذي يمكن أن يخالف ضميره ويخالف الحق من أجل إرضاء الناس.

إنه من الضروري أن يحب بعضنا بعضًا، وقد تعلمنا من مشايخنا أن الناس من أعظم الأبواب إلى الله، فإن أنت رجعت إلى الله دون أن تظلم أحدًا، والناس عنك راضية، فهذا شيء عظيم، فحب الناس من حب الله، لكن لا يجوز أن ترضي الناس على حساب الحق، قال الله تعالى:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

فلتختبر نفسك !...

هل أنت مستمتع برضا الناس عنك، وإقبالهم عليك، حتى وإن كان ربك غير راضٍ عنك؟..هل تسعى لإرضائهم على حساب دينك ومبادئك وقيمك؟

علامات سحر إرضاء الناس

أولا التلون

كلٌّ منا في شخصيته جانبٌ يُعرف بالمرونة، وهي مساحة من الشخصية تتغير حسب نوعية الناس، فمثلًا سلوكياتي وأسلوبي تختلف مع والدي ووالدتي، عنها مع أصحابي، أو مع طفلي، فنحن أحيانًا نحتاج للجد أو الحزم، وأحيانًا للهزل، لكن أصل الشخصية يظل كما هو لا يتغير، ولكل منا قوام معين لشخصيته يسعى أن يحافظ عليه.

أما التلون فهو أن يتقلب المرء بين المعصية والطاعة؛ سعيًا لإرضاء من حوله، فقد قال ﷺ:

«تجِدُ مِنْ شَرِّ الناسِ يَومَ القِيامَةِ ذَا الوَجْهَينِ الذي يَأتِي هَؤُلاءِ بوجهٍ وهؤلاءِ بوجهٍ»[1].

1 - متفق عليه، واللفظ للبخاري «5711».

فمثـلًا مع أهله مطيـع ومهذب، ومع أصدقائه سـبَّاب، مع أي امرأة منتهى الرومانسية، ومع زوجته منتهى الغلظة والقسوة، وهكذا يتحول مـن طاعة لمعصية من أجل النـاس، تراه منتظـمًا في الصلاة، ولكن مع صحبة بعينها، تجده مفرطًا فيها، حتى لا يسـخروا منه، وقد ذكر القرآن صورًا متعددة لهذا التلون، قال تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠]

أي إن هذا الشخص جعل أذى الناس في الدنيا كعذاب الله في الآخرة، وهذا أمر مسـتقبح، ومن صـور التلون أيضًا مـا كان عليه المنافقون في المدينة وقت قوة الإسلام، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]

والمقصود بالشـياطين في الآيـة الكريمة يهود المدينـة، الذين يأمرون المنافقـين بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسـول، وهذا تلون من طاعة لمعصية، من مناصرة المسلمين إلى مناصرة اليهود.

وقد أخبرنا سيدنا محمد ﷺ أنَّ علماء بني إسرائيل من أجل أن يحافظوا على إرضاء الناس وجمعهم حولهم كانوا يخالفون تعاليم الدين، ويخففون عن الناس بعض التكاليف، فيدعونهم إلى اجتناب الخمر والفواحش، فإذا خافوا أن ينفضَّ الناس عنهم تركوهم على المعصية، فهذا تلون، وهؤلاء هم شر الناس عند رب العالمين، فإن وجدت نفسك لا تمتلك قوامًا محددًا لشخصيتك، يرتكز على حسن الخلق، ولم يكن ربك ودينك أغلى لديك من نفسك التي بين جنبيك، إذا وجدت نفسك تتلون في هذه الأشياء، فاعلم أنك مسحور بفكرة إرضاء الناس.

ثانيًا ۞ كثرة الكذب

وهذه العلامة تجعل الإنسان يبدو صغيرًا في نظر نفسه، لكنه لا يلتفت لذلك، فكل ما يريده هو أن يلتفَّ الناس حوله، فيكذب ليُضحك الآخرين، أو ليُرضي رئيسه في العمل، أو تكذب الفتاة على أخرى لتثبت لها أنها ليست بأقل منها، وهكذا يستمر الشخص في الكذب ليظل الناس حوله، وقد علمنا سيدنا عمر وقال: «**لئن يضعني الصدق، وقلَّ ما يضع، أحب إليَّ من أن يرفعني الكذب، وقلَّ ما يرفع**».

إن المؤمن القوي هو المستأنِس بالله، المستكفي به تعالى، قال الله -جل وعلا-:

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]

فهو لا يحتاج إلى الكذب ليرضي أحدًا، فكأنما يبعث برسالة لمن يتعامل معه، فيقول: «هذه شخصيتي أُحاول أن أُحسن منها، فإن تعاملت معي فلا بد أن تقبلني كما أنا، ولست مضطرًّا للكذب لأبدوَ كبيرًا في نظرك». ومهما خفْت فلا ينبغي أن تكذب أبدًا، ولا بد أن يظل الله أكبر في قلبك، فهو -سبحانه وتعالى- الذي يُجملك في عيون البشر، فقد قال رسول الله ﷺ:

«آيةُ المُنَافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلَفَ، وإذا ائتُمِنَ خانَ»[1].

سيدنا محمد ﷺ بايع الصحابة على أن يكونوا رجالًا، وأن تكون لهم شخصية مستقلة، وبايعهم على عدم التلون، وعدم الكذب، فعن عُبادة ابن الصامت رضي الله عنه أنه قال:

«بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلى السَّمْعِ والطَّاعَةِ فِي العُسْرِ واليُسْرِ، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وعلى أنْ نَقولَ بِالحَقِّ أينمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»[2].

والمنشط أي فيما نحبه وننشط إليه، والمكره فيما نكرهه ويثقل علينا، ومهما لامك الناس فلا مجال للكذب من أجل إرضاء الناس؛ لأنهم إن اكتشفوا كذبك فسوف تسقط من أعينهم إلى الأبد، فالكذاب ليس أهلًا لأن يُوثق به.

1 رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

2 متفق عليه، واللفظ لمسلم.

قصة مسحور

هي لفتاة جامعية، تقول إنها نشأت في أسرة كان الأب فيها ذا شخصية طيبة، فعلى الرغم من أنه يعمل أستاذًا بالجامعة، فإنه كان أحيانًا ينظف المنزل، ويغسل الأطباق، وكانت الفتاة تندهش لماذا يفعل أبوها هذه الأشياء، أما الأم فكانت قوية الشخصية، متفرغة لدراستها، وتطوير ذاتها، ومع الوقت فهمت الفتاة السبب في ذلك، فوالدتها تمتلك مجموعة كبيرة من الصديقات، وكنَّ يقصصن على بعضهن البعض كل ما يحدث في حياتهن الزوجية، ويتدخلن بشدة في حياة بعضهن.

تقول الفتاة: «كُنَّ يتحدثن عن معاملتهن لأزواجهن، وتتباهى الواحدة منهن بأنها تعرف كيف تأخذ حقها منه، ودائمًا جلساتهن لا تخلو من الغِيبة، وتتطرق إلى الحديث عن كل شيء، حتى إن والدتي كانت أحيانًا تفتعل المواقف مع أبي، وتحكيها لهن على أنها بطولة، ومن ذلك أنه ذات يوم كان والدي عائدًا من سفر طويل، وكان في غاية الإرهاق، فجعلته أمي يذهب لشراء نوع من الطعام كانت تريد أن تأكله، ثم فوجئتُ بعد يومين بأنها تحكي هذا الموقف لصديقاتها، وكيف أنه لم يرفض طلبها، وأنها مُسيطرة تمامًا، حتى أصبحت محور اهتمامهن في المجلس».

تكمل الفتاة حديثها فتقول: «بعد تخرجي مباشرة تقدم شاب لخطبتي، كان زميلًا لي في الكلية، وانتقل الحوار بين صديقات والدتي إليَّ؛ ليعطينني نصائحهن في السيطرة عليه، وكيف أجهده بكثرة الطلبات حتى أعرف

قيمتي عنده، وغير هذا من الكلام المسموم، وأنا -للأسف- أطعتهن، فأصبح محور اهتمامي كيف أثقل عليه في الطلبات، من المهر، وفستان الزفاف، وغير ذلك، حتى أجد ما أحكيه لهن من أجل إرضائهن، أما هو فكان شخصًا طيبًا ويستجيب، وكن يصفقن لي عندما أعمل بمشورتهن».

ومرت الأيام وتزوجت الفتاة، فانتقلت صديقات والدتها إلى مستوى آخر من النصائح، وهو ألا تتركي معه مالًا حتى لا يتزوج بأخرى، ولا بد أن تكوني قوية في تعاملك معه، فكانت تفعل، كما كانت تحرص على أن تأخذ راتبه كاملًا أول كل شهر، كما كانت تفعل أمها مع والدها، ولأنه كان إنسانًا طيبًا كان يترك راتبه بالفعل، وكانت تدعي أنها تنفقه على المنزل، لكنها في الحقيقة كانت تنفق جزءًا وتدخر آخر، ولم تخبره بذلك، وكانت تذهب وتحكي لهن، فيشجعنها أكثر لكي تستمر، تقول: «كنت أراهُنَّ معي بالفعل في المنزل، فكنت عندما أتحدث معه أُفكر ما الذي سوف أحكيه لهن، وكنت أفتعل المواقف لكي أحكيها، لأثبت لهن كيف أصبحت لي شخصيتي، بفضل ما تلقيت منهن ومن والدتي».

وفي أحد الأيام تشاجرت مع زوجها، فبكت أمامه، وشعرت بتأنيب الضمير؛ لأنها من أخطأت في حقه، ولما التقت بصديقات أمها، قصَّت عليهن ما حدث، فلُمْنها على ما فعلتْ، وقلن لها: «لا تستسلمي، ولا تضعفي أمامه، حتى وإن كنتِ مخطئة؛ لأنك إن فعلتِ ذلك، فسيصبح قاسيًا معك فيما بعد حتى وإن كنتِ غير مخطئة، فإذا رفع صوته، فارفعي صوتك أيضًا، وكوني له ندًّا بندٍّ»، تقول الفتاة: «فلما تشاجرنا مرة أخرى، رأى مني

وجهًا وردَّ فعل لم يعهده من قبل، فأصابه الذعر وغادر المنزل، فأخبرتهن بما حدث، فقلن لي إن ما فعلته هو الصواب، وإنه سوف يعود، وبالفعل عاد إلى المنزل؛ لأنه لا يريد خراب البيت، فزادت ثقتي برأيهن، وازددت قوة وشدة وعنفًا، وأصبحت أشعر بالسعادة من هذه الأحداث»...

بعد أول عام من الزواج رُزق الزوجان بطفلة، ولما أتمت أربع سنوات فوجئت الفتاة بوالدتها تردد على مسامع طفلتها حديثًا سلبيًّا عن والدها، وعندما سألتها عن السبب قالت لها: حتى تتعلق البنت بكِ أكثر، فإذا فكر أن يتزوج من أخرى لم يستطع أن يأخذ البنت لأنها تحبنا أكثر منه، ولكن بسبب صغر سن الطفلة كانت تذهب لوالدها وتحكي له ما تقوله جدتها، فبدأ الزوج يمنع زوجته من هذه الجلسات، وغضب من والدتها، فادعت الأم أنه يعرف امرأة أخرى غير ابنتها، وقالت لها: لا بد أن نعرف سره، فبدأت الزوجة في الضغط عليه، والشك فيه، والغيرة عليه، وكانت تحكي لهن كيف أنها تراقبه، وتبحث في تليفوناته، فقلن لها: «اطلبي منه الطلاق، فإن وافق، فأنت إذن رخيصة عنده، وإن تمسك بكِ فلا يوجد أحد في حياته»، وبالفعل طلبت منه الطلاق، ولأن الحياة بينهما كانت في منتهى الكآبة؛ بسبب ما كانت تفعله، كان رد فعله أن وافق، وقال لها إنه لم يعد يحتمل تلك الحياة، وطلقها في الحال...

كم كانت تكذب في الحكايات، وتبالغ وتقول ما لم يحدث من أجل إرضاء صديقات أمها في الجلسات! فحُرمت شخصًا كان طيبًا وشهمًا، ولا يرفض لها أي طلب، وخسرت رجلًا بألف رجل... للأسف الشديد ذهب الزوج، وأخذ معه أحلى الذكريات، ولم يبق لها إلا الدموع والحسرات...

عواقب سحر إرضاء الناس

أولًا التردد والتشتت

من يسعَ لإرضاء الناس تجده مذبذبًا، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ليس له موقف ثابت، فكنْ على يقين أن إرضاء الناس غاية لا تُدرك، ومهما اعتقدتَ أن ما تفعله صحيح، ويتوافق مع دينك وقيمك، فسوف تجد من ينتقده.

يقول الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-:

ضحكتُ فقالوا ألا تحتشمْ؟! بكيتُ فقالوا ألا تبتسمْ؟!
بسَمتُ فقالوا يُرائي بها عبستُ فقالوا بدا ما كتمْ
صمتُّ فقالوا كليلُ اللسان نطقتُ فقالوا كثيرُ الكلمْ
حلُمتُ فقالوا صنيعُ الجبان ولو كان مقتدرًا لانتقمْ
بسُلت فقالوا لطَيْشٍ به وما كان مجترئًا لو حكمْ
يقولون شذَّ إذا قلتُ لا وإمعةٌ حينَ وافقتُهمْ
فأيقنتُ أنيَ مهما أُرِد رضا الناس لا بد من أن أُذَمْ

فايئس من أن ترضي كل الناس، وكن صاحب مبدأ، حتى لا تكون مترددًا ومشتتًا.

ثانيًا فقدان قيمة النفس

فالشخص الذي يتلون ويكذب لجذب الناس من حوله، هو شخص جبان، فعندما يجلس مع نفسه في لحظات اليقظة، يشعر أنه شخص

مهين؛ لأنه يكسب ود الناس بالكذب، وليس بفضله وإحسانه، وليس له شخصية وهوية بينه وبين نفسه، قال رسول الله ﷺ:

«وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا، لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إلا قِلَّةً»[1].

لن أنسى أبدًا ذلك الموظف الذي كان يجلس مع زملائه، ويأخذ منهم الأفكار، ويعرضها على مديره على أنها أفكاره، ويدَّعي أنه يُرهق في العمل لأنه يحب الشركة، حتى وإن كان زملاؤه لا يهتمون بعملهم، فكرّمه المدير ذات مرة بسبب أفكاره، فانكشف أمره أمام زملائه، وابتعدوا عنه، ولم يجد لنفسه مكانًا بينهم، وترك الشركة.

ثالثًا: فقدان معية الله

وهذه أصعبها وأثقلها، فماذا وجد مَن فقدَ الله؟! وماذا فقدَ مَن وجد الله؟! فإذا كنت تكذب أو تتلون من أجل إرضاء الناس، فأنت بذلك بِعْتَ معية الله من أجل أن تكسب معية الخلق، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ الناسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»[2].

1 رواه مسلم.

2 رواه ابن حبان.

فقلــوب العباد بين إصبعي الرحمن، فهو يقــدر أن يعلق قلوب الناس بك، أو أن يصرفهم عنك، ومن يستكفِ بمعية الناس، يُسخط اللهُ الناسَ عليه بـ «كُن فيكون»، فيفقد معية ربه ومعية الناس.

فكنْ مع الله، يكن الكون كله معك، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ اللــهَ إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريلَ فقال: إنِّــي أحبُّ فلانًا فأحِبَّه. قال: فيُحبُّه جبريلُ، ثمَّ يُنادي في السَّــماءِ فيقولُ: إنَّ اللهَ يُحبُّ فلانًا فأحِبُّوه. فيُحبُّه أهلُ السَّــماءِ. قال: ثــمَّ يُوضعُ له القَبولُ في الأرضِ، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريلَ فيقــولُ: إنِّي أُبغِضُ فلانًا فأبغِضْه. قال: فيُبغضُه جبريــلُ، ثمَّ يُنادي في أهلِ السَّــماءِ: إنَّ اللــهَ يُبغِضُ فلانًا فأبغِضوه. قال: فيُبغِضونه، ثمَّ تُوضعُ له البغضاءُ في الأرضِ»[1].

واعلــم أنَّ من أكرمك فإنــما أكرمك لجميل ســتر الله عليك، فالحمد لمن سترك، وليس لمن أكرمك وشــكرك، فأنت تشكرني لأن الله يسترني، فإذا سحب بساط الســتر عني، فلن ترضى مني بقول أو بفعل، ويجانبني التوفيق، فمعية الله هي الأساس، وهي كل شيء.

1 رواه مسلم.

علاج سحر إرضاء الناس

اولا استكفِ بالله

لا بد أن تتعلم كيف تستكفي بالله، وإن رضا الله أغلى بكثير من رضا التراب -وهم البشر- الذي لا يدرَك، وإن أدركته فإنه لا يدوم؛ لأن الدوام لله وحده، والاستكفاء بالله عبادة عاتب ربنا عليها بشرًا لم يستكفوا به -سبحانه وتعالى- وبحثوا عن غيره نصيرًا وكفيلًا، فقال:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]

وهذا سؤال استنكاري... بلى سيكفيه في دنيه ودنياه، كل من عبده وتوكل عليه.

يقول ابن عطاء الله السكندري: «غَيِّبْ نَظَرَ الخَلْقِ إِلَيْكَ، بِشُهودِكَ نَظَرَ الخَالِقِ إِلَيْكَ، وَغِبْ عَنْ وُجُودِ إِقْبَالِهِمْ عَلَيْكَ، بِرُؤْيَةِ إِقْبَالِهِ عَلَيْكَ». وهذا معناه ألا تنشغل بنظر الخلق، وانشغل بنظر الخالق، واغفل عن إقبالهم أو إعراضهم، بإحساسك بإقباله تعالى عليك إن كنت على الحق، أو إعراضه عنك إن حِدت عنه.

ثانيا استشعر اسم الله الرقيب

فهو الباقي، وكل ما سواه إلى فناء، وهذه عبادة قلبية، سيعلمها الله لك حين ترى الناس وقد تخلوا عنك، وخاب ظنك في أقرب الناس منك،

فهي رسالة ربانية يبعثها الله لك؛ ليقول لك: هل لك رب سواي، عليم بحالك؟ فقط كن معي ولا تبالِ، وأنا سأكفيك ما أهمك، وأرزقك من حيث لا تحتسب، وأهديك الصراط المستقيم.

مقام اليقظة

تذكر سيدنا أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان ولده مشركًا، وفي غزوة بدر كان ولده في صفوف المشركين، وكان يرى أباه أبا بكر في صفوف المسلمين فينسلخ بعيدًا عنه، فلما أسلم الولد قال لأبيه: لقد كنت أراك يوم بدر، فأخشى أن يسبق سيفي إليك. فقال أبو بكر: والله لو رأيتك لقتلتك. أي إنك إن كنت ستحارب رسول الله ﷺ وتحارب المسلمين، سأقتلك، ولن أرضيك على حساب الله، فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا تأخذه في الله لومة لائم، فهذا هو الصدِّيق الذي ارتقى إلى مرتبة الصديقية وقوة التمسك بالحق، وقد أنزل الله فيه قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]

وأنت أيضًا كن في ركاب الصالحين، ولا تبعْ ضميرك من أجل إرضاء الناس، واستشعر اسم الله الرقيب، واستعن بالله، واستغنَ به عن كل ما سواه.

الخلاصة

من هو المسحور بإرضاء الناس؟

هو الشخص الذي ممكن أن يخالف ضميره ويخالف الحق من أجل إرضاء الناس.

علامات مسحور إرضاء الناس:

- **أولًا:** التلون.
- **ثانيًا:** كثرة الكذب.

عواقب سحر إرضاء الناس:

- **أولًا:** التردد والتشتت.
- **ثانيًا:** فقدان قيمة النفس.
- **ثانيًا:** فقدان معية الله.

علاج سحر إرضاء الناس:

- **أولًا:** استكف بالله.
- **ثانيًا:** استشعر اسم الله الرقيب.

BOOKS

سحر
الانتماء

حدثنا سُفيانُ بن عُيينَةَ قال: سمع عَمرٌو جابرَ بنَ عبدِ اللهِ يقول: كنا مع النبي ﷺ في غزَاةٍ فكَسَعَ رجُلٌ من المُهَاجِرِينَ رجُلًا من الأَنْصَارِ، فقال الأَنْصَارِيُّ: يا لَلأَنْصَارِ! وقال المُهَاجِرِيُّ: يا لَلمُهَاجِرِينَ! فقال رسول اللهِ ﷺ: «ما بالُ دَعوَى الجَاهِلِيَّةِ؟!». قالوا: يا رسُولَ اللهِ، كسَعَ رجُلٌ من المُهَاجِرِينَ رجُلًا من الأَنْصَارِ. فقال: «دعُوهَا؛ فإنَّهَا مُنتِنَةٌ»[1].

حيث أشار رسول الله ﷺ إلى التعصب والعصبية - سواء كان التعصب لشخص أو قبيلة أو مال أو جاه أو غيره - بأنها منتنة، وفيها تفرق وجاهلية.

فإن الانتماء للإنسانية وللوحدة الإنسانية واحترام كرامة الإنسان واجب على كل مؤمن استمع لقول الله:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]

وأيضًا الانتماء للأمة الإسلامية انتماءً تذوب معه كل العصبيات الطائفية والعرقية - هو ما جاء في قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]

ومن هنا أقول: إن انتماء الإنسان لفكرة ما يعتقد فيها تجعله يتمسك بها،

1 رواه مسلم.

ومن ثم يدافع عنهـا، ويحاول أن ينشرها، فلن تجد مبدأ أو قيمة ينتشران إلا بوجود أناسٍ منتمين إليها، ويعتقدون فيها، ويدافعون عنها.

وعندما أوجد الله خلقًا ثالثًا هو الإنسـان، ومن قبله كان هناك الملائكة وأحد الجـن وهو إبليس، أمرهم الله تعالى بالسـجود لآدم، أما الملائكة فكانت تخشى أن يفسـد آدم وذريته في الأرض ويريقوا الدماء، فأجابهم الله أنه يعلم ما لا يعلمون، فاستجابت الملائكة، وخضعت للحق المطلق، أما إبليس فتعصب لجنسـه، فقد كان يرى أن النار التي خُلق منها أشرف من الطين الذي خُلق منه آدم، قال تعالى:

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]

فجادل نصرةً لنفسه لا للحق.

من هو مسحور الانتماء؟

هو ذلك الشخص المتعصب لجنسه، أو لمعتقده، أو لفكره، فيدفعه ذلك لأن ينتصر لما ينتمي إليـه، ويعتقد فيه، وليس للحق. فالتعصب وازدراء الآخر هو أول معصيـة أُرتُكبت في حق رب العالمين من إبليس، حكاها لنا القرآن، يوم قال إبليس:

﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]

وقد حذرنا منها رب العباد.

علامات سحر الانتماء

اولا شدة الجدال من أجل الفكرة والرأي وليس من أجل الحق

في مواقع التواصل الاجتماعي، كالفيسبوك وغيره، كل واحد منا يطرح وجهة نظره، ويدور الحوار بيننا، فنتعلم من بعضنا البعض، لكنك قد تجد من يجادل لنصرة رأيه، حتى لو لم يكن مُحقًّا، فحاله أشبه بحال المشركين الذين قال عنهم الله تعالى:

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣- ٢٤]

فردوا نصيحة نبيهم، حين قال لهم: أتتبعون آباءكم، ولو جئتكم من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق، وأدل على سبيل الرشاد، مما وجدتم عليه آباءكم من الدين والملة؟ قالوا في عناد: إنا بما أرسلتم به جاحدون كافرون.

وهذا أيضًا ما تحدث عنه سيدنا محمد ﷺ حين قال:

«إنّكُم سَتَرَوْنَ بَعْدِي أثَرَةً».

أي اعتداد كل ذي رأي برأيه، فإن كانت رؤية الإنسان لأمر ما هي

حصيلة لمعلوماته، وخبراته، وثقافته، فلا شك أن تلك الرؤية ستختلف من شخص لآخر، فإن كانت نيتك هي أن تصل للحق، فسيأخذ الله بيدك، ويُبصِّرك به، أما إن كنت ذلك الشخص المتعصب، فستجادل نصرة لنفسك، وعندها لن ترى الحق حقًّا، ولا الباطل باطلًا، ثم يقول ﷺ عندما سأله الصحابة:

فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ»[1].

فإذا كان عليك حق فلا بد أن تؤديه، وأن تكون منصفًا، وألا يكون همك الأكبر هو أن تنتصر لما تعتقده، وإن وجدت نفسك وأنت تجادل جانبت الحق فلم تتراجع، فاعلم أنك متعصب، تمامًا كطلحة النمري، الذي جاء إلى اليمامة يسأل عن مسيلمة الكذاب، الذي ادَّعى النبوة، فلما تحدث إليه قال -أي طلحة-:

«أشهد أنك كذاب وأن محمدًا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلي من صادق مُضَر»[2].

1 رواه البخاري «ك/ الفتن، ح 6644».

2 تاريخ الطبري.

أي إن من ينتمي إلى قبيلتنا وإن كان كاذبًا ومخادعًا، أحب إلينا من الذي لا ينتمي إلينا ولو كان صادقًا.

ثانيًا: إعطاء المشروعية في التطاول على الآخر أثناء النقاش والجدال

وهذه مشكلة تواجهنا جميعًا، فتجعلنا نعصي الله، دون أن ندرك، فتجد مثلًا من يسب على صفحته على الفيسبوك شخصًا ما مختلفًا معه، ويسخر منه، ويستهزئ به، ثم يتباهى ويفخر بذلك، فأنت بذلك تكون آثمًا وعاصيًا، قال ﷺ:

«سِبابُ المُسْلِم فسوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفرٌ»[1].

فلا تعطِ لنفسك المشروعية بأن تتجاوز في حق غيرك لنصرة ما تعتقده صوابًا.

حتى لو كان ذلك الجدل والنقاش حول عقيدتك -التي هي أغلى ما يملكه الإنسان- مع شخص غير مسلم، فلا بد أن تُظهر له الاحترام، وأن تترفق به، فإن لم تفعل ذلك تكون قد خالفت ما أمرنا الله به عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

فلا بد أن تنتقي أفضل الألفاظ والعبارات، فحتى وإن اختلفت معه يجب عليك أن تحترمه، فقال ﷺ:

1 متفق عليه.

«ألا مَـنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا، أوِ انتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَـوْقَ طَاقَتِهِ، أو أخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأنا حَجِيجُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

قصة مسحور

هذا الشخص واجه الكثير من المشكلات، وخسر الكثير؛ بسبب شدة تعصبه لآرائه وأفكاره، ومن هذه المشكلات أنه اختلف مع زوجته حول تربية ابنهما، فهذا الشـخص المسحور بسـحر الانتماء، كان والده حازمًا ويضربه بشـدة وهو صغير إذا ارتكب خطأ، ولكنه مع ذلك كبر، وشق طريقه في الحياة، دون عقد نفسـية، ومن هنا رأى أن الضرب هو الطريقة المُثلى لتربية ابنه وتوجيهه، فكان يضرب ابنه انتصارًا لفكرة أن والده كان يفعل معه ذلك، أما الزوجـة فكانت لا ترى ذلك، واعترضت على هذا الأسلوب في التربية، ومع ذلك أصر على رأيه حتى صار ابنه، وهو عمره أربع سنوات، يتلعثم في الكلام؛ بسبب خوفه من والده، ولم يكن مستقرًّا نفسيًّا، وينام لساعات طويلة.

ومشكلة أخرى تعرض لها في عمله، عندما اقترح على شريكه في مكتب المقاولات أن يشـتريا الحديد من أحد أقاربه، فاعترض شريكه؛ لما يعلمه

1 رواه أبو داود في سننه «ك/ الخراج والإمارة والفيء، ح 3052».

عن قريبه هذا أنه سيئ السمعة، ومحتال، وعليه ديون، فضلًا عن الكثير من القضايا، ولكنه -كعادته- تمسك برأيه، وأنه يثق به، وشريكه يحاول أن يقنعه بعدم التعامل مع ذلك الشخص، لكن دون جدوى، وفعلًا تشاركا معه في أحد المشروعات، ووضعا فيه أغلب رأس مال مكتب المقاولات، وبعد فترة بدأ قريبه ذو السمعة السيئة يتأخر في توريد الحديد، ويختلق الأعذار، وبدأ صاحبنا هو وشريكه يتجادلان، وشريكه يؤنبه بأنه حذره من قريبه وسمعته السيئة، فردَّ عليه بأنه مشترك معه في الخطأ؛ لأنه لم يصر على رأيه في رفض التعامل مع ذلك الشخص، فتشاجرا معًا، وخسر شريكه بسبب ذلك.

تعصب لرأيه فتسبب لابنه باضطرابات ومشاكل نفسية، وتعصب لقريبه مع علمه أنه محتال فخسر شريكه وخسر رأس مال مكتبه... وما زال سيخسر الكثير لو أصر على هذا التعصب لرأيه وفكره.

عواقب سحر الانتماء

أولا الفُرقة وضياع الوحدة

نادي بشكتاش التركي هو أحد الأندية الشهيرة، التي تتمتع بشعبية جارفة في تركيا، يمتاز هذا النادي بأنه يملك في عروقه روح الانتماء الشديد لتركيا، حتى إنه استبدل لون الزي الأساسي للفريق من الأبيض والأحمر إلى الأبيض والأسود؛ نظرًا لموت الكثير من الجنود الأتراك،

في معاركهم وصار شعار مشجعي الفريق Against every thing ضد كل شيء؛ أي إنهم ضد كل من لا ينتمي لبشكتاش، فهذا هو التعصب المذموم، الذي ينبغي أن نتخلص منه.

وكم من دماء أريقت بين مشجعي الفرق الرياضية المختلفة بسبب هذا التعصب المقيت! ففي الحديث قال ﷺ:

«لَزَوَالُ الدُّنيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[1].

فذهاب الدنيا بأسرها أهون عند الله من أن تقذف حصاةً فتزهق بسببها روح امرئ مسلم، وأنا شخصيًّا أحب كرة القدم، وأشجع ناديًا بعينه، ولكن لم يحدث أني خسرت شخصًا لمجرد أنه لا ينتمي إلى الفريق الذي أشجعه، أو أن أسب أو أسخر من أي إنسان فتتناقل الأيدي هذا السباب وتنشره على صفحات التواصل الاجتماعي المختلفة، فهذا حرام ويسبب الفرقة، والأحرى بنا أن ندعو لبعضنا بظهر الغيب، لا أن نتبادل الشتائم والسباب، فالله يريد منا أن نحافظ على وحدة أمتنا.

ألا ترى أنا نقول في الصلاة في التشهد: «**التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين**». فنسلم على الله، والرسول، وعلى بعضنا

1 أخرجه النسائي في سننه والترمذي.

البعض، فإشاعة روح السلام بيننا فريضة، والشخص المتعصب يُضعف تلك الوحدة، قال ﷺ:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصلونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمَ»[1].

فإن كان الشيطان قد عجز عن أن يُسجد له، فإنه رضي لنفسه بنشر روح الفرقة والشحناء بين المسلمين؛ ليضعف كيان الأمة الإسلامية، ويمزق الجسد المسلم الواحد، بصور مختلفة للفرقة، تحت مسميات عِدّة، من فرق رياضية أو أحزاب سياسية أو مذاهب دينية.

ثانيا العجز عن تقييم الأمور

فعندما نستمع لبعضنا، ونتناقش معًا، ونعطي لأنفسنا الفرصة بأن نحسن الظن بالآخر، فإن ذلك من شأنه أن يفتح لنا آفاقًا من العلم والمعرفة، والفهم العميق لما نتحاور فيه، أما المتعصب فإنه ينغلق على أفكاره، ويفقد القدرة على التمييز بين الحق والباطل؛ لأن نظرته تكون قاصرة وسطحية، ويعجز عن تقييم الكثير من الأمور بشكل صحيح، ويفوته بالتالي الكثير من الخبرات والمعلومات التي يمكن أن يكتسبها من غيره؛ لأنه لا يرى الحق إلا فيما يعتقده فقط.

1 رواه مسلم.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

فهؤلاء المتكبرون في الأرض، الذين لا يرون الحق إلا فيما يدينون به، وإن يروا طريق الصلاح لا يتخذوه طريقًا، وإن يروا سبيل الضلال يتخذوه طريقًا ودينًا، سيصرف الله عقولهم عن فهم الحجج والأدلة على عظمته -جل في علاه- فلا يتبعون نبيًّا، ولا يصغون إليه، ويغفلون عن النظر في آيات الله، والتفكر فيها، فتعال -إذن- معي لنتقبل الآخر، ونحسن الظن به، بدلًا من أن تمتلئ مجالسنا بالغيبة والنميمة تعصبًا لآرائنا.

علاج سحر الانتماء

أولا التجرد

ومفهومه أن يتخلص المرء من هواه، ويخلص نفسه لله؛ بحثًا عن الحق، وليس انتصارًا لنفسه أو لمعتقده، فالله تعالى يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]

والعدول في الآية الكريمة ليس بالمعنى المعروف العدل وهو ضد الظلم؛ وإنما معنـــاه الابتعاد والميل عن الحق، ليحل محله اتباع الهوى والإعجاب بالرأي، فلا تنسَـــقْ معصوب العينين وراء أهوائك فتبتعد عن الحق، بل لا بد من أن تتجرد لله، وتتقبل النصيحة والنقد.

ثانيًا التأني

أحد الصحابة رآه سـيدنا محمد ﷺ متزنًا في تصرفاته، فيتحدث بتأنٍ، ويتحرك بتأنٍّ، فقال له ﷺ:

«إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمَ وَالأناة»[1].

فاسمع وتحدث بهدوء، ولا ترفع صوتك؛ دعمًا لوجهة نظرك؛ لأن ذلك دليلٌ على ضعفك، وإياك أن تخوض في الآخرين وتســخر منهم لمجرد أن تنتصر لنفســك أو لرأيك، واعلم أن التسرع في ردود أفعالك سيجعلك تفهم الشيء خلاف ما هو عليه، وستدفع الثمن باهظًا.

1 رواه مسلم.

مقام اليقظة

إنه للنجاشي، ملك الحبشة، وكان مسيحيًّا، وعندما أرسل سيدنا محمد الصحابة إلى الحبشة؛ ليبتعدوا عن ظلم المشركين وأذاهم، وقال لهم إن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وعلم المشركون بذلك، وأرسلوا في إثرهم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة[1]؛ لكي يأتيا بهم، ويوقعا بينهم وبين النجاشي، فسأل النجاشي وفد المسلمين: من أنتم؟ وما الذي جاء بكم؟ فقام سيدنا جعفر رضي الله عنه وألقى ذلك البيان في التعريف بالإسلام، فقال: «أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القويُّ منا الضعيفَ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار.... فعدد عليه أمور الإسلام..»، فأعلن النجاشي وبوضوح رأيه فيما سمع، فقال: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»، وهذا يُعدُّ إقرارًا منه بصدق رسالة النبي ﷺ.

لكن عمرو بن العاص لم يستسلم لموقف النجاشي، وقال له: «أيها الملك؛ إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم فاسألهم عما

1 هو عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة القرشيّ المخزوميّ، ويُكْنَى أبا عبدالرّحمن.

يقولون فيه». فسألهم النجاشي مجددًا: «ما تقولون في عيسى ابن مريم؟». فقال له جعفر بن أبي طالب: «نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول». فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودًا، ثم قال: «ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العُود» -أي إنه قال كلامًا يتوافق مع الحق مثل استقامة العصا- فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال -أي احتجوا على كلام الملك- فقال: «وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي -أي آمنون- من سبَّكم غرم.....»[1].

مات النجاشي وكان قد أسلم، ولم ير النبي ﷺ، فصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب، فتعلمت الأمة هذا الحكم الفقهي من صلاة الغائب على من لم يكن حاضرًا من أموات المسلمين... فيا رب احشر أيدينا بيد النجاشي، وطهر قلوبنا من التعصب والغضب انتصارًا للنفس، وليس انتصارًا للحق.

1 رواه أحمد بن حنبل.

الخلاصة

من هو مسحور الانتماء؟

هو ذلك الشخص المتعصب لجنسه، أو لمعتقده، أو لفكره، فيدفعه ذلك لأن ينتصر لما ينتمي إليه، ويعتقد فيه، وليس للحق.

علامات مسحور الانتماء:

- **أولًا:** شدة الجدال من أجل الفكرة والرأي وليس من أجل الحق.
- **ثانيًا:** إعطاء المشروعية في التطاول على الآخر أثناء النقاش والجدال.

عواقب سحر الانتماء:

- **أولًا:** الفُرقة وضياع الوحدة.
- **ثانيًا:** العجز عن تقييم الأمور.

علاج سحر الانتماء:

- **أولًا:** التجرد.
- **ثانيًا:** التأني.

سحر
الإمكانيات
والمواهب

الوهَّاب..

وهب الله الإنسان الإمكانيات التي تؤهله لأن يكون سيد هذا الكون، قال الله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

فاسم الله الوهاب، يتجلى في كل إنسان أعطاه الله موهبة، فهو -تعالى- لم يخلق إنسانًا دون أن يمنحه الإمكانيات والمواهب التي يستعمله بها في تعمير هذا الكون، ويتكسَّب منها؛ ليعيش سعيدًا، وعلى قدر ما وهبه الله من هذه الإمكانيات يكون الحساب يوم القيامة، قال الله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧]

فمنهم من يستخدمها ليكون إنسانًا مصلحًا ونافعًا، لكن البعض قد يتباهى بما لديه من المواهب، سواء في صوته أو شكله أو جسمه أو عقله، فيسعى للانتفاع بها فيما يخالف شرع الله ويغضبه عَزَّوَجَلَّ.

من هو مسحور الإمكانيات والمواهب؟

هو الشخص الذي أُعجب بإمكانياته، فسعى للانتفاع بها على حساب دينه.

علامات مسحور الإمكانيات والمواهب

أولا السعي لإظهار هذه الإمكانيات ولو بالإفساد

إن كنت تشعر أن لديك من الإمكانيات ما يجعلك متميزًا عن أقرانك، فهذا من فضل الله عليك، فاستعمل تلك الإمكانيات فيما ينفع؛ لأن العمر سوف ينتهي، وستلقى الله، ويسألك عنها، فعلى قدر المواهب والإمكانيات التي حباك الله سوف يسألك، وهذا من عدل الله ورحمته.

وذكر الله في القرآن قومًا كانوا غاية في الطول والضخامة، إنهم قوم عاد، قال الله تعالى:

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥]

فكانوا يستمتعون باستعراض إمكانياتهم، وكانوا لفرط ضخامتهم ينحتون مساكنهم في الجبال لتتناسب مع عِظم حجمهم، ويستضعفون مَن دونهم في الحجم والقوة، ويبطشون بهم بطش الجبابرة، والإنسان عندما تسيطر عليه تلك الحالة من الكبر يغفل عن حقيقة أن الله فوقه، ويجحد أوامر الله، ويأبى الإذعان والانقياد، يقول تعالى:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٧]

كنت أقرأ ذات مرة عن مشروعات التخرج التي يقوم بها طلاب الجامعات، فقرأت أن طالبًا اخترع «شيشة» في حجم الهاتف المحمول، سبحان الله!!... أعطاك الله عقلًا فذًّا، فلم لا تبتكر شيئًا مفيدًا تنفع به الناس؟! كيف تسعى لإظهار إمكانياتك بالإفساد؟! وأتذكر أيضًا أيام الدراسة والامتحانات كنت أرى إمكانيات رهيبة في وسائل الغش، فيكتب الطالب الإجابة على قُصاصة من الورق، بشكل مصغر بحيث لا يراها المراقب، ولا يراها أحد سواه، فكنت أَعجبُ لتلك العقول، التي لو حرصت على المذاكرة والتحصيل، لحققت أعلى الدرجات العلمية، ولكن للأسف تُستغل في الإفساد.

إذا نظرت في عالمنا العربي والإسلامي، رأيت كمًّا هائلًا من أصحاب الأصوات الجميلة من النساء والرجال، هذه الأصوات كانت في الماضي تحث الناس على القيم والمبادئ وتغني بما يقوي روابط المودة والإنسانية، أما الآن فكم أصبحت تفتن من الناس! الصوت الحسن موهبة، ولكن أن يُستَغلَّ في الإفساد، فهذا من علامات السحر بالمواهب والإمكانيات.

ثانيًا الحصول على ما ليس من حقك

أخبرنا نبينا محمد ﷺ عن فئة من الناس تجيد الكلام بطلاقة، وتتفاوض ببراعة، فتنال ما ليس من حقها، وفي ذلك يقول ﷺ:

«إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[1].

فإذا نلت بالمكر والحيلة والتلاعب بالألفاظ ما ليس من حقك، فاعلم أنك ظالم، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ لَدَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا»[2].

فالحديث يحذر كل من تسول له نفسه، بما آتاه الله من حسن الكلام، والفصاحة والبيان، ألا يغتصب به حق غيره، فيكون كما لو اقتطع لنفسه من النار، عِياذًا بالله.

قصة مسحور

بطل القصة شاب يسكن في أحد الأحياء المصرية، آتاه الله صحة وعافية ومتَّعه بقوة الجسد؛ ما جعله ينال شهرة بين أصدقائه، حتى إنه إذا أراد أحد أن يعتدي على أي شخص ويسلبه حقًّا كان يستعين به، ومع الوقت صار

1 رواه البخاري «ك. الطب/ ب. إن من البيان سحرًا»

2 رواه البخاري «ك. الشهادات/ ب. من أقام البينة بعد اليمين».

لهذا الشاب مجموعة كبيرة من الأصدقاء تدك جيشًا بأكمله، وامتلك الفتى بقوة بنيانه قلوب الفتيات في منطقته؛ ما دفعه للاستزادة من تمارين الحديد، وانتقاء الثياب التي تبرز العضلات، وعندما انتشرت الدراجات البخارية أخذ في الضغط على أهله كي يشتروا له الموتوسيكل الـ «race»، فاقترض أبوه كي يتمكن من شرائه، ليتخلص من إلحاحه الشديد، وقد نصحه أحد أصدقائه بشراء الخوذة لحماية رأسه، ولكنه أبى ذلك حتى يتعرف الناس إليه، إذا رأوه وهو يركب هذا الموتوسيكل، استمر صيته في ازدياد...

أُعجب ذلك الشاب بفتاة بسيطة وجميلة تسكن في الشارع الذي يليهم، وكان يراها تخرج للعمل، فقرر يومًا أن يغازلها، لكن أخاها كان برفقتها، ولأنه كان شابًّا مغرورًا، ومفتونًا بقوته، لم يتراجع عن رغبته، فتصدى له أخوها، فما كان من الشاب إلا أن ضربه ضربًا شديدًا، حتى بكى الولد أمام أخته من شدة الإهانة، وعاد مع أخته إلى منزلهما، وفي اليوم التالي عاد إلى المنطقة والد البنت ومعه ابنه؛ ليأخذ حقه من ذلك الشاب مفتول العضلات، تصور ماذا حدث... ضُرب الأب على وجهه أمام ابنه الصغير، ومُزقت ملابسه، فرفع يده وقال: «**حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا مفتري على الخلق**»، وانصرف الأب مع ابنه، والألم يعتصر قلبيهما.

نسي الشاب تمامًا تلك الواقعة، وبعد ستة أشهر، وبينما كان يركب دراجته البخارية، إذ لاح أمامه فجأة طفل يعبر الطريق، فأراد أن يتفاداه، فانحرف بالموتوسيكل، فسقط منه، ليرتطم رأسه بالرصيف، ونقل إلى المستشفى، فتبين إصابته بالشلل، وتدهورت حالته، حتى صار يشعر

بثقل في لسانه، وعندما كان زواره يعودونه كان يعتذر إليهم بسبب سوء سلوكه، بل ويوصي كل من يزوره بأن يعتذر لكل من يعرفه، لربما يكون أخطأ في حقه يومًا ما بسبب قوته التي كان يستعملها في البطش بالناس.

بعد عدة أشهر، خرج الشاب من المستشفى، وبدأ يتعافى ويتحرك، وبدأ يصلي في الجامع، وعلى الرغم من أن جسده صار ضعيفًا مُنهكًا بسبب الحادث، فإنَّه أصبح محبوبًا جدًّا في منطقته، وصارت دمعته دائمًا حاضرة، وتحول من الشخص المسحور بسحر عضلاته وقوته، إلى ذلك الشاب الحامد الشاكر الساجد، الذي عندما يرى أحدًا مفتونًا بقوته مثلما كان سابقًا، تدمع عيناه خوفًا عليه، ولسان حاله يقول: لو أني كنت أعلم ما سوف أصير إليه لما تجبرت على الخلق وسحرتني قوتي.

كلما زادك الله من فضله، تواضع لله؛ لأن من تواضع لله رفعه الله، فإياك وسحر الإمكانيات؛ حتى لا تكون سببًا في البلاء في الدنيا، والحساب العسير يوم القيامة.

عواقب السحر بالإمكانيات والمواهب

أولًا الذل بهذه الإمكانيات

الشخص المسحور بسحر الإمكانيات يدفع الثمن غاليًا؛ لأنه كفر نعمة الله عليه وجحدها، قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]

ومن ألوان العذاب التي يراها من كفر بنعمة الإمكانيات والمواهب، فاستعملها في معصية الله، وأذى العباد، والبطش بهم، هو الذل بالإمكانيات، وهو أن يجعلها الله سبب شقائه في الدنيا؛ فمن وَكَل إلى شيء، وَكَلَهُ الله إليه.

قرأت قصة في إحدى الجرائد عن أحد بلطجية الملاهي الليلية، كان يحكي قصته للاعتبار، وكيف كان يفتري على البشر، ويبتزُّ الزبائن ويأخذ منهم أموالًا بغير رضاهم، حتى أصيب في يوم من الأيام بالشلل دون أي أسباب أو مقدمات، فتغيرت حياته تمامًا، وتحول من شخص غليظ يبطش بالناس إلى شخص رقيق القلب يُشفق على الناس ويُحسن إليهم.

وقد حذرنا نبينا محمد ﷺ من أناس يستغلون ثقافتهم ومعرفتهم الدينية الواسعة وقوة حجتهم في التكسب من الدنيا على حساب الدين، فيغيرون في شرع الله من أجل المال، هؤلاء لا بد أن يعلموا أن الله سيُشقيهم بتلك الموهبة، فقد قال الله تعالى:

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]

فأي شخص يمكر من أجل أن يفتن الناس عن دينهم، أو يُلحق الأذى

بهم، أو يتآمر على بلده، فلن يحلَّ مكروهُ ذلك المكر الذي مكره إلا به.

ثانيًا ❁ ميراث السيئات الجارية

فيرث في صحائف أعماله سيئات كثيرة؛ لأن الشخص الذي يستغل إمكانياته في الباطل، ويحقق نجاحًا، يفتن غيره، ويشجعه على إساءة استثمار إمكانياته، فمثلًا أن أرى فريق عمل متكاملًا في إحدى الشركات يكذبون ويحتالون من أجل المال، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة، فإذا بحثت خلفهم وجدت مديرًا ناجحًا في حياته العملية؛ ولكن بعقله الذي يستغله في الأفكار الحرام، أتذكر قوله ﷺ:

«إنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فُجَّارًا، إلَّا من اتَّقَى اللهَ وبرَّ وصَدَقَ»[1].

فمثل هذا الشخص الناجح ذي النهج المحرم، قد يسعى بعض الشباب لتقليده، فيكون لهم قدوة ومثلًا أعلى، فيبوء يوم القيامة بإثمه وإثمهم، فقد قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ دَعَا إلى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ

1 رواه الترمذي.

آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»[1].

من الممكن أن يوسع الله عليك في الرزق، فتسافر لبلدٍ ما؛ لتنفق الأموال في المعاصي، ولا تكتفي بذلك، بل وتصور نفسك، وتنشر هذه الصور على الفيسبوك، فهنا تكون قد بهرت غيرك ممن يفتقر إلى تلك الإمكانيات، فيتمنى لو أوتي مثلك، كي يفعل ما فعلت، قال رسول الله ﷺ:

«مَثَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نفرٍ: رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ يُنفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ عِلمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثلُ هَذَا عَمِلتُ فِيهِ مِثلَ الذي يَعمَلُ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ يُنفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، ورَجُلٍ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ عِلمًا وَلَا مَالًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثلُ هَذَا عَمِلتُ فِيهِ مِثلَ الَّذِي يَعْمَلُ، قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: فَهُمَا فِي الوِزْرِ سَوَاءٌ»[2].

فالشخص من الممكن أن يتوب عن ذنوبه، ولكن ماذا يفعل في ذنوب غيره ممن انبهروا به؟!

1 رواه مسلم

2 رواه الترمذي.

علاج سحر الإمكانيات والمواهب

أولا تذكر زوال قوتك:

«كل من أنعم الله عليه بنعمة سيخسرها»... ضعها نصب عينيك كي تتذكر زوال دولتك، فقد قال الله تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

تذكر أن القوي سيضعف يومًا، والجميلة ستهرم ويُطفأ جمالها، والغني قد يعجز عن شراء حب الناس بماله، أو شراء مثقال ذرة من الصحة والعافية، قال الله تعالى:

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الروم: ٤٥].

أعرف قصة لشاب غني، بالغ الوسامة، اعتاد كل عام أن يسافر إلى أمريكا، وفي عام من الأعوام سافر ووضع صورته على الفيسبوك وقد التفَّت حوله الجميلات، وفي يده زجاجة خمر، وقد حظيت الصورة بالكثير من المشاركات والتعليقات على الفيسبوك، فصورة الفاتنات حوله في ذلك المكان المبهر تخطف القلوب، لكن الشاب بعدها توفي، وما زالت الصورة موجودة على الفيسبوك، وحاول أصدقاؤه أن يقوموا

بحملة لإغلاق صفحته، ولكن لم يستطيعوا؛ لأنهم لا يعرفون كلمة السر... فزالت دولته، وبقي ميراث السيئات.

ثانيًا تواضع للشخص الذي لا يمتلك هذه الإمكانيات

فإن كنتِ جميلة فتواضعي لمن أقل منكِ جمالًا، وإذا كنتَ قويًّا فقف بجانب الضعيف، تواضع له، وإياك أن تبطش به، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ولا يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ»[1].

اخدم من لا يمتلك سلطة مثلك، واقضِ له حوائجه؛ حتى لا تتكبر بإمكانياتك.

ثالثًا دعاء

أذكرك وأذكر نفسي بدعاء كان النبي ﷺ يدعو به مرتين يوميًّا بعد العصر وبعد الفجر، وهو:

«يا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[2].

فلا بد أن ندعو به، ونطلب من الله ألا يكلنا لمواهبنا وإمكانياتنا،

1 أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

2 رواه النسائي والبزار.

فننساه، فلا حول عن أي معصية، ولا قوة على أي طاعة، إلا بالاستعانة بالله سبحانه وتعالى.

مقام اليقظة

لذي القرنين، ذلك الملك العظيم، الذي وهبه الله إمكانيات فسخرها لخدمة البشرية، قال الله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٣ - ٩٥].

فقد كان يأجوج ومأجوج أقوامًا مفسدين في الأرض، يأكلون الأخضر واليابس، يتكاثرون كالدود، فعرض قوم مستضعفون على ذي القرنين أن يعطوه ما يريد لكي يبني لهم سدًّا، يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج، فبنى لهم سدًّا عظيمًا دون أي مقابل، اللهم إلا أن يُعينوه في بناء ذلك السد، وعاشت لملايين السنين أجيال من البشرية في أمان من فساد عظيم كان سيلحق بالأرض، بفضل الله أولًا، ثم بفضل ذي القرنين اليقظ، الذي استغل إمكانياته لخدمة البشرية.

وكان من دعاء أحد الصالحين: **اللهم خذني إليك مني، وارزقني الفناء عني، ولا تجعلني مشغولًا بنفسي، محجوبًا بحسي، واكشف لي عن كل سر مكتوم، يا حي يا قيوم.**

فيا رب إن كنتُ لا أعلم موهبتي فاكشف لي عنها، وعن سر استخلافك لي في الأرض، وسر قوتي؛ لكي أستغلها في سعادتي، وخدمة دينك، ونفع عبادك، واحفظني من أن أفتن بسحر المواهب والإمكانيات، يا ألله، يا ذا الفضل والإنعام.

الخلاصة

من هو مسحور الإمكانيات والمواهب؟

هو الشخص الذي أُعجب بإمكانياته؛ فسعى للانتفاع بها على حساب دينه.

علامات مسحور الإمكانيات والمواهب:

- **أولًا:** السعي لإظهار هذه الإمكانيات ولو بالإفساد.
- **ثانيًا:** الحصول على ما ليس من حقك.

عواقب السحر بالإمكانيات والمواهب:

- **أولًا:** الذل بهذه الإمكانيات.
- **ثانيًا:** ميراث السيئات الجارية.

علاج سحر الإمكانيات والمواهب:

- **أولًا:** تذكر زوال قوتك.
- **ثانيًا:** تواضع للشخص الذي لا يمتلك هذه الإمكانيات.
- **ثالثًا:** دعاء.

سحر
الإنترنت

هو سحر العصر الحديث، استحوذ على عقول الملايين من كل أنحاء العالم، لا سيما الشباب، حتى عَدَّ علماءُ النفس الإسراف فيه نوعًا من أنواع الإدمان، وفكرة الإدمان قريبة جدًّا من فكرة السحر، **فالشخص المدمن لشيءٍ ما تجده متعلقًا به، ويدفع عن نفسه -في الغالب- تهمة الإدمان، ويزعم أنه يستطيع أن يبتعد عن هذا الشيء وقتما أراد، لكنَّ حقيقة الأمر أن هذا الشيء صار محور حياته ومركزيتها**، وهذا بالضبط ما يحدث مع مسحور الإنترنت، الذي انشغل به حتى أثر سلبًا على صحته النفسية، وتفاعله مع من حوله؛ ما دفع علم النفس الحديث ليفرد له أبحاثًا، وطرقًا مختلفة للعلاج...

من هو مسحور الإنترنت؟

المسحور بالإنترنت هو الذي يستخدمه استخدامًا مفرطًا لساعات طويلة، أو خاطئةً عن طريق الدخول إلى مواقع تتعارض مع القيم الأخلاقية، وتغضب رب البرية.

سر إدمان الإنترنت...

هو الوفرة، أي وفرة ما يعرضه من الصور، والفيديوهات... وفرة في المواد الترفيهية... وكذلك المواد الدينية والثقافية، بل وحتى الإباحية... وفرة في كل شيء.

فهيا... افتح قلبك معي؛ لتتخلص من التعلُّق الزائد بالإنترنت؛ حتى

لا يضيع عمـرك وأنت في غفلة، وفي ذلك يقول ابـن القيم: «ضياع العمر أسـوأ من الموت؛ فإن الموت يقطعك عـن الدنيا، وضياع العمر يقطعك عن الآخـرة». لذلك هيـا ندخل قليلًا في نفوسـنا لنرى كيـف يؤثر فينا سحر الإنترنت.

علامات سحر الإنترنت

وهذه العلامات ليست اجتهادًا شـخصيًّا؛ فقد قرأت أبحاث الغرب عن إدمان الإنترنت، واسـتخلصت علامتين واضحتين جدًّا في مجتمعنا العربي والإسلامي..

العلامة الأولى استخدام الإنترنت ما يفوق خمسًا وثلاثين ساعة في الأسبوع

أي ما يزيد على خمس ساعات يوميًّا لغير غرض العمل؛ كالتواصل مع أصدقائك عبر مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة كالفيسـبوك وتويتر، ومشاهدة الفيديوهات على اليوتيوب، والتنقل بين المواقع الإخبارية... فكل هـذه الأغراض لا بأس بها، لكن الإفراط فيها يجعلك ممن جحدوا نعمة الله عليهم، فالإنترنت -لا شك- نعمة مِن الله هدى إليها البشرية، فينبغي أن تستخدم بما يُرضي الله ﷻ، وأذكرك بقوله ﷺ:

«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْـأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَـاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ ما عَمِلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَـبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ،

وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[1].

سل نفسك لو أنك بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ الآن وسألك عن عمرك ماذا فعلت فيه، فماذا ستقول له؟!

تأمل معي:

متوسط عمر الإنسان ستون عامًا، منها خمس عشرة سنة تقريبًا قبل سن البلوغ والتكليف، وعشرون سنة لمن معدل نومهم لا يتجاوز الثماني ساعات في اليوم، ومتوسط دخولك الحمام خمس دقائق في اليوم، أي سنة من العمر تقريبًا، فيكون ما تبقى من الستين أربعًا وعشرين سنة، والذي يستخدم الإنترنت لخمس ساعات يوميًّا يقضي اثنتي عشرة سنة من حياته على الإنترنت، أي نصف حياته المستيقظ فيها، فهل تستطيع أن تتصور عندما يسألك الله عن حياتك في أي شيء قضيتها... ماذا ستقول؟!... هل تتصور ما معنى أن نصف حياتك أمضيته في التحدث مع الأصدقاء، ومشاركة الصور وتبادل التعليقات، وفي الألعاب الإلكترونية، ومتابعة المواقع الإخبارية؟!! لا بأس في كل هذا، ولكن ليس لمدة خمس ساعات في اليوم، فمن سُحر بالإنترنت هو الذي يتجاوز الثلاث ساعات في اليوم، أما من وصل إلى خمس ساعات، فهذا يعني أن السحر تملك منه حتى صار مدمنًا للإنترنت.

1 رواه الترمذي وصححه عن أبي برزة الأسلمي.

العلامة الثانية: الاضطراب عند فقد الإنترنت

«ليس المقصود هنا من يستخدمه في العمل»

يقول المتخصصون إن الاضطراب يصيب الإنسان عند فقد أي شيء يسبب له السكينة والسعادة والاستقرار؛ فالمسحور بسحر الإنترنت يكون في حالة اضطراب شديدة إذا فقده؛ لأنه يقضي معه أغلب وقته، وبالتالي فإنه يشعر بفراغ هائل في حياته، عند انقطاع الإنترنت، فيفقد معه كل إحساس بالاستقرار أو السكينة؛ لأن الإنترنت صار لا إراديًّا يسري في دمه، واستحوذ على قسط أكبر من اللازم في يومه...

وأريد منك أن تواجه نفسك بصراحة وتسألها: أيهما تضطرب أكثر عند فقده: كتاب ربنا Allah's book أم الـ Facebook، أيهما عندك أهم؟ أيهما تتصفح أكثر؟ مع أيٍّ تتواصل أكثر؟ بـshare في حياتك من الفيسبوك أم من كتاب رب العالمين أكثر؟

قصة مسحور «خسر عالمه الحقيقي من أجل عالم افتراضي!»

كان طالبًا في الثانوية العامة، وقتها لم يكن مهتمًّا بالإنترنت، وليس لديه حساب على الفيسبوك، بل وكان دائمًا يسخر من الشباب الذين يضيعون أوقاتهم في مقاهي الإنترنت، حتى كان في يوم من الأيام مع أحد أصحابه من محبي الإنترنت، ورآه يحمل جهاز كمبيوتر صغيرًا، فجلس بجواره يراقبه وهو يشاهد الفيديوهات، وينتقل من موقع لآخر، ومن صورة

لأخرى، فأعجب بالفكرة، وذهب واشترى جهاز كمبيوتر، وبدأت حياته مع الإنترنت، وأنهى الثانوية العامة، والتحق بالجامعة، وحكى أحد أصحابه أنه لم يكن يجلس معهم إلا وهو ينظر في هاتفه المحمول المتصل بالإنترنت، وأنهى الجامعة بتقدير متوسط، ليس فيه أي إنجاز؛ لأنه أهمل دراسته، فقد كان يرجع من الجامعة الساعة السادسة، ثم ينام ساعتين، ليستيقظ بعدها لتصفح الإنترنت، حتى زاد وزنه بشكل ملحوظ بسبب قلة الحركة، والجلوس لساعات طويلة أمام النت.

وبعد تخرجه بستة أشهر استطاع أن يلتحق بوظيفة، وكان السر في تأخره وهو يبحث عن عمل أنه يريد أن يعمل في مكتب Indoor؛ حتى يكون باستمرار أمام شاشة الكمبيوتر، وكان مديره كلما دخل عليه مكتبه وجده يتصفح الفيسبوك، والشاب يحاول أن يُخفي ذلك في كل مرة، حتى رآه المدير في المرآة، وواجهه بذلك، فلم يستطع الكذب، فخصم المدير من راتبه.. وتزوج الشاب بعدها من فتاة، كانت زميلة له في الجامعة، لتبدأ المشاكل بعد الزواج مباشرة.

كانت الزوجة نشيطة جدًّا، وتعمل وتُطور من نفسها، وكانت تتطلع للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه، أما هو فكان ثابتًا لا يتطور، يرجع من البنك الذي يعمل به فينام قليلًا، ثم يستيقظ؛ ليجتمع بأصحابه للهو، فكانوا يأكلون، ويشاهدون المقاطع المصورة عبر الإنترنت، وإن لم يجتمع بهم كانت لديه في البيت غرفة صغيرة، لا يدخلها أحد ولا حتى

زوجته، وضع فيها الكمبيوتر، والسماعات، وكان يجلس بها لساعات طويلة للتحدث في الغرف الصوتية على شبكة الإنترنت، وذات يوم دخلت عليه زوجته فجأة، فوجدته يشاهد لقطة إباحية، فلما واجهته تشاجر معها، وادّعى أنه كان عليها ألا تواجهه حتى لا تحرجه، ومرت الأيام، وزوجته مستمرة في التطور، وهو على حاله لا يتحرك، ويزداد سمنة، ويشرب السجائر بشراهة.

حتى قررت الزوجة ذات يوم أن تكشفه أمام نفسه، فأنشأت حسابًا وهميًّا على الفيسبوك باسم مستعار، وصورة لامرأة أخرى شديدة الجمال، وأرسلت إليه تطلب صداقته، فقبل على الفور، وبدأ يتحدث إليها عبر غرف المحادثة، وأخذ يقص عليها المشاكل بينه وبين زوجته، وأخبرته أنها أيضًا تعاني مشاكل مع زوجها، وحكت له قصة حياتها الحقيقية، فأخذ يقول لها إن زوجها رجل سيئ جدًّا؛ لأنه يُهملها ويجلس أمام الإنترنت، وعندما طلب أن يراها، قالت له إنها مستعدة أن تكون عنده بعد دقائق، فسُرَّ لذلك، وعلى الفور تحركت من غرفتها إلى غرفته، وطرقت باب الغرفة ثم دخلت وقالت له: «أنا التي كنت تريد أن تراها»، وحكت له كيف كانت تخدعه لأسابيع مضت، فارتبك وقال لها: كنت أعرف، أنا فقط أردت أن أوهمك أني صدقتك.

تقول: «بعدها سقط من نظري؛ لأنه كذاب، ولأنه إنسان غير مسئول، نادرًا ما كان يخرج معي، أو يذهب معي للطبيب، ولا يستمع إليَّ، ولا

يذهب معي لأزور أهلي، أو حتى ليزور أهله، فقد كان يعيش في عالم افتراضيٍّ، مستغنيًا به عن واقع حياته ومسئولياته»... وبعدها طُلقت منه؛ لأنها لم تره رجلًا، ولا يصلح أن يكون لها زوجًا.

عواقب سحر الإنترنت

أولا فقدان الواقعية

علماء النفس يقولون إن الشخص المتأثر سلبًا بالإنترنت دائمًا يرى كل شيء على غير حقيقته، فمن يسرف مثلًا في الألعاب الإلكترونية تجد في تصرفاته شيئًا من العنف؛ استمده من طبيعة تلك الألعاب، وانعكس على سلوكه الذي صار مضطربًا، فأحيانًا تجد عنده هزيمة نفسية؛ تأثرًا بهزيمته في الألعاب، وأحيانًا أخرى تجد لديه قوة غير مبررة، إذا حقق فيها مكاسب.

ومن يشاهد مواقع إباحية على الإنترنت -التي جاوزت الأكثر من أربعة ملايين صفحة أغلبها ينشرها اليهود؛ لأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة، ويفسدون في الأرض- تلك المواقع فيها من العرض المبهر، وإثارة الشهوات، ما لا يرضي رب العالمين -سبحانه وتعالى- فالمنجرف وراء المواقع الإباحية يكون عنده تطلعات في الدنيا غير واقعية، فينتج عن ذلك عدم رضاه بالحياة الطبيعية، حتى لو كان متزوجًا؛ بسبب الكآبة والشعور بعدم الرضا من فرط ما يراه من إبهار، هل تتصور أن كلمة «جنس» -أعزك الله- من أكثر الكلمات التي تم البحث عنها في جوجل

من العرب والمسلمين؟!!

أضف إلى ذلك أمرًا في غاية الخطـورة، هو أنَّ العالم الافتراضي ليس به مسـئوليات، فيجعل الإنسـان يفتقر إلى الخبرة العملية في الحياة، فتجده متخبِّطًـا، يُحب بسرعة، ويكره بسرعة، ومندفعًـا جدًّا في انفعالاته، وقد لاحظت أننا عنـد تواصلنا عبر الإنترنت متسرعون جدًّا في أحكامنا على بعضنا وانفعالاتنا، ومن السـهل جدًّا أن يسُب أو يُخوِّن بعضنا البعض، واعلم أنَّ فقدانك لواقعيتك يعني فقدان سـني عمرك؛ لأن عمرك عبارة عن خبرات متراكمة، ومن كان بـدون خبرات في الحياة، ويعيش في عالم من التمني والأوهام فقد أضاع عمره، وخسر نفسه.

ثانيًا التجرؤ

إن الخصوصية التي منحها الكمبيوتر، بحيث أصبح لكل فرد من أفراد الأسرة جهـازه الخاص به، يتصل من خلاله بالإنترنت ليرى ما يشـاء، جعلت لكل فـرد عالمه الخاص به، لا يُطلع عليه أحدًا، حتى إننا نادرًا ما نرى الكمبيوتر في مكان جلوس الأسرة، وهذا الذي دفع معلمتي لتضع جهـاز الكمبيوتر في الصالة، وقالـت لي: «إن الأولاد يكبرون ولا أريد أن يكون لكل واحـد منهم عالمه في غرفته، أريد الجميع هنا أمام عيني»، وقد أحدث ذلك في عالمنا العربي والإسلامي نوعًا من الجرأة؛ الجرأة على معاصي السر، حتى أصبح الشـباب العربي أكثر ما يبحث عنه في شبكة الإنترنت هو الجنس، وأحمد الله رب العالمين أن نسـبة الشـباب للبنات

في المواقع الإباحية تسعة إلى واحد، يعني أن بناتنا ما زلن بخير بفضل الله، لكنها كارثة أن تكون أمة سيدنا محمد ﷺ هي أكثر الأمم الباحثة عن الجنس في الإنترنت، ولم يقتصر العري على المشاهد الإباحية، بل أصبحنا نرى نساء شبه عاريات في الأغاني المصورة والأفلام، حتى صار الكثيرون يرونه أمرًا عاديًا.

علاج سحر الإنترنت

أولا درّج استخدامك للإنترنت

الإحصائيات العالمية تقول إن ثماني ساعات في الأسبوع هو الاستخدام الأمثل للإنترنت؛ أي تقريبًا ساعة في اليوم أو أكثر قليلًا؛ حتى يكون لديك الوقت الكافي للعمل، وللعلاقات الاجتماعية، وممارسة الرياضة، وغير ذلك من الأنشطة الأخرى، فابدأ من الآن ودرِّج استخدامك للإنترنت، فإن كنت تستخدمه لثلاثين ساعة، فاجعلها بعد أسبوع عشرين، ثم بعد أسبوعين خمس عشرة، حتى تصل إلى عشر، وهو كافٍ جدًّا حتى لا تدخل في مرحلة الإدمان، وهذا يحتاج شخصًا قويًّا، يستطيع أن يستغني عن متعة الإنترنت، ولا يقع في قبضته، بحسب تعبير العالمة الأمريكية «كمبرلي يانج».

ثانيا تحكم في الشاشة ولا تجعلها تتحكم فيك

فتتنقل من صفحة لصفحة، ومن صورة لصورة، دون أن تعلم ما تريد،

فيجب عليك عند اتصالك بالإنترنت أن تعرف ماذا تريد، وتستحضر النيَّة الصالحة وأنت تشاهد أي مادة ما، أو تبحث عن معلومات، أو أخبار؛ حتى لا تنجذب، وتُسحر... تحكم في الإنترنت، ولا تجعله يتحكم فيك، وكُن يقظًا.

مقام اليقظة

كُن قابضًا على الجمر، وقدوتنا في ذلك هو الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه.

لأنه في هذا الزمن من يبتعد عن الاستخدام الخاطئ والمفرط للإنترنت يكون قابضًا على دينه تمامًا كالقابض على الجمر، وسيدنا بلال هو أكثر من هانت عليه نفسه في الله، كما قال عنه سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

«....إلا بلالًا فإنه هانت عليه نفسه في الله»[1].

أي كان ربه أغلى عليه من نفسه.

فكن كبلال، فإن وجدت أمامك صورة غير لائقة فقُل: أحدٌ أحدٌ، اقبض على دينك، ولو أرسل إليك شخص فيديو فيه مشاهد غير لائقة فقل: أحدٌ أحدٌ... كُن يقظًا، لعل بهذا الفعل -الذي قد تراه بسيطًا- يقبله

1 رواه ابن ماجه «150»، وأحمد «3822».

الله، ويكبره، وتجد نفسك بُعثت مع بلال، مؤذن رسول الله ﷺ.

فقُل: يا رب؛ لا تتركني أسحر بشيء يجعلني أتجرأ على المعاصي... ويضيع عمري... وأفرط في مسئولياتي والتزاماتي، قُل: يا رب؛ اجعلني قابضًا على ديني كما كان بلال قابضًا على دينه؛ حتى أُبعث مع مؤذن رسول الله ﷺ.

الخلاصة

من هو مسحور الإنترنت؟

المسحور بالإنترنت هو الذي يستخدم الإنترنت استخدامًا مفرطًا لساعات طويلة، أو خاطئةً عن طريق الدخول إلى مواقع تتعارض مع القيم الأخلاقية، وتغضب رب البرية.

علامات سحر الإنترنت:

- **العلامة الأولى:** استخدام الإنترنت ما يفوق خمسًا وثلاثين ساعة في الأسبوع.
- **العلامة الثانية:** الاضطراب عند فقد الإنترنت «ليس المقصود هنا من يستخدمه في العمل».

عواقب سحر الإنترنت:

- **أولًا:** فقدان الواقعية.
- **ثانيًا:** التجرؤ.

علاج سحر الإنترنت:

- **أولًا:** درّج استخدامك للإنترنت.
- **ثانيًا:** تحكم في الشاشة ولا تجعلها تتحكم فيك.

سحر
البلاء

على مدار عمر الإنسان، ولفترة طالت أم قصرت، لا بد أن يتتابع ظهور هذا النوع من السحر في حياة الإنسان؛ ليُعكر صفوها، ويؤثر في استقرارها، فيحزن له القلب، وتدمع العين، فمن الناس من يرضى بقضاء الله، فيكون سببًا في القرب من الله، واستشعار معيته ولطفه، ومنهم من يسخط على الأقدار، فيُحجب عن الله، وعن فهم حكمته، والتسليم لمشيئته وإرادته.

إنه سحر البلاء، فما منا من أحد إلا ويُبتلى في هذه الدنيا، والابتلاءات تكون من ربٍّ عليمٍ حكيم، يعرف متى يبتليك ومتى يُعافيك... متى يُحزنك ومتى يُفرحك... ولكن دائمًا الشخص يسأل نفسه: لماذا يتركني الله أحزن إذا كان لديه القدرة على أن يسعدني؟! لماذا يحرمنا الله من أشياء، مع أن خزائنه ملأى، وهو قادرٌ -جل في علاه- بـ«كن فيكون» أن يوسِّع علينا؟!.. هي تساؤلات تجول بخاطرنا في أوقات المحن، وساعات الابتلاء، وهكذا الدنيا، دائمًا لا يقنع الإنسان فيها بحاله، وتظل بداخل كل منا تطلعات وأمنيات، تهفو نفسه لتحقيقها، وفي ذلك يقول الشاعر:

صغيرٌ يطلب الكِبَرا ... وشيخٌ وَدَّ لو صَغُرا
وخالٍ يشتهي عملا ... وذو عَمَلٍ به ضَجِرا
وربُّ المالِ في تعبٍ ... وفي تعبٍ من افتقرا
شَكاةٌ ما لها حكَمٌ ... سوى الخصمينِ إن حضرا
فهل حاروا مع الأقدار ... أم هم حيَّروا القدَرا

من هو المسحور بالبلاء

هو شخص ساخط على الأقدار، حزين من أفعال الله، ولا أريد أن أقول إنه حزين من الله -على الرغم من أني سمعتها من أكثر من شخص- ولكن لنجعلها أنه حزين من الأقدار، وهو بداخله يعتقد أنَّ البلاء هو عقاب من الله لا يستحقه، فيُحجب عن حكمة الله، ويعيش في وادٍ عميق، وحفرة مظلمة من الأفكار السلبية عن المستقبل، وما ينتظره فيه.

لماذا خلق الله الابتلاء؟

يقول العلماء إن الابتلاء يستدعي الانكسار من العبد، فمنهم من يدفعه ذلك لأنْ يُقلع عن ذنب كان مُصِرًّا عليه، وآخر يُبتلى ليَحُطَّ الله عنه سيئاته، ويرفع درجاته، وهناك من ينكسر فيلجأ إلى الله بالدعاء، بعد أن كان لسنوات طويلة محافظًا على صلاته، لكنه لا يدعو الله ولا يسأله حاجته، وعلماء النفس يقولون إن الطفل المُدلل الذي يعطيه أهله كل شيء، ولا يمنعونه أي شيء، هذا الطفل يصبح سخيفًا، وأنانيًّا، ولا يتحمل المسئولية، أما الطفل الذي يعرف أهله متى يعطونه، ومتى يمنعونه، فيصبح مسئولًا، ويقدر قيمة الأشياء، ولله المثل الأعلى، فالله يمنع عنك أشياء لكي يربيك، ويُظهر لك من نفسك ملكات ما كانت لتخرج إلا في أوقات المحن والشدائد؛ لذا يقولون إن أعظم الاختراعات التي ظهرت في البشرية جاءت وقت الحروب، وأقرب مثال هو نهضة

أوروبا الحديثة التي لم تبدأ إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

علامات سحر البلاء

اولا شهيد الظروف

وهو الذي يسحره البلاء، ويستحوذ عليه، فيظن أن الله قد تركه، وتخلَّى عنه، ولا يستطيع أن يستشعر عناية الله؛ فيلجأ لعناية الناس؛ فتجده دائمًا يشكو، لكن ليس لمن يستنصحهم فقط من أهل الخبرة أو المقربين منه، وإنما يشكو لكل من يلقاه حوله؛ ليظل تحت رعاية القلوب، فتلتف حوله، وتهتم لأمره، وينسى أن الله معه، ويغفل عن الاستعانة به، يقول تعالى:

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩]

أي إن الإنسان لا يمل من الدعاء بالخير والعافية، وإن ناله ضر، أو أصابه مكروه، فإنه ييئس من روح الله، ويقنط من رحمته، ويشعر بأنه ظُلم، ولا يستحق ما يحدث معه.

وهذا الشخص شهيد الظروف تجده يدعو الله بدون حضور للقلب، وتسيطر عليه حالة من الاستغناء، فلا يدعو دعاء المضطر؛ لأن بداخله من الحزن والمرارة ما يجعله لا يستطيع أن يلجأ إلى الله، فيستكفي بمن هم حوله... فإن وجدت في نفسك شيئًا من ذلك فاعلم أنك سُحرت.

ثانيًا اللجوء للحرام

أكبر اختبار عند البلاء هو أن تظل تحت طوع الله رغم أحزانك، والحقيقة أن البعض عند الابتلاء يكون غير راضٍ عن الله، ولكنه يحاول أن يوهم نفسه خلاف ذلك، ويصير بينه وبين الله نوع من القطيعة؛ لأنه يشعر بأن الله قد تخلَّى عنه، فيلجأ للحرام، بعد أن فقد الثقة في اتباع صراط الله المستقيم، كمن كان يجتهد طوال العام، ثم وجد صعوبة في الإجابة أثناء الامتحان، فأخذ يغش من زملائه، أو من أراد أن يخرج من الشعور بالهمِّ والحزن فلجأ إلى المُسكرات، أو من طرق أبواب الرزق، فلما تأخر عنه مد يده للحرام.

فاللجوء للحرام إحدى علامات البلاء التي تدل على أن البلاء استحوذ على قلبك، وأعماك عن اليقين في حكمة الله، ولطفه بك جل في علاه، وأحد الصالحين يقول: «لَبلاءٌ في طاعةٍ خيرٌ من نعمةٍ في معصية»، أي أن تظل في البلاء دون أن تعصي لكي تظفر بنعمة لن تأتيك إلا بقدر الله ومشيئته، خير من أن تحيا في رخاءٍ وأنت تعصي الله، فتفقد رضا الله في الدنيا والآخرة.

قصة مسحور

هي قصة في السبعينيات، قرأتها في كتاب للدكتور مصطفى محمود، أرسل إليه بها شاب هو صاحب القصة، يطلب مشورته فيها.

يقول الشاب إنه من عائلة ميسورة، حياته مستقرة ولكنها جحيم،

مستقرة لأنه لا يوجد عنده أي إشكاليات في دراسته أو صحته، ولكن سر الجحيم هو أخته الكبرى؛ لأن اهتمام البيت كله ينصبُّ عليها، فهي تحب أن تتجمل، وتقف أمام المرآة، تمشط شعرها، وتضع مساحيق التجميل طوال اليوم، وتشتري الفستان وترتديه لمدة لا تزيد على أسبوعين، ثم تتركه وتبكي ليشتروا لها فستانًا جديدًا، ولأن الوالد يحبها كثيرًا كان أحيانًا يقترض ليحضر لها ما تريد، وإذا جلست الأسرة لتناول الطعام، وأرادت صنفًا غير موجود، يأمره والده أن يترك طعامه ليخرج ويشتري لها ما تشتهيه.

أما عن والدة ذلك الشاب فقد كان يقول إنها كانت تحبه كثيرًا، وكانت تعوضه بفرط حنانها عن قسوة والده، غير أن ذلك لم يكن كافيًا قَطُّ ليتغلب به على مشاعر الحزن العميقة من سوء معاملة والده له، الذي كان دائمًا يؤنبه، وإذا رسب في امتحان يصيح فيه، ويتهمه بأنه مصدر الهم والغم في حياته، على الرغم من أن أخته كانت ترسب في كل المواد دون أن يلومها والدها، أو يظهر أي ضيق لهذا الأمر، ويقول الشاب إنه كلما كان يشكو لأحد، نصحه بأن يصبر، وأن الله سوف يعوضه خيرًا ويفتح عليه.

قرر الشاب أن يلجأ إلى الله، ويتقرب إليه بالعبادة والطاعات، لعل الله يخفف عنه ما هو فيه، فبدأ يصلي في المسجد، وفي أحد الأيام عندما خرج من البيت ليصلي الفجر أغلق الباب خلفه فأحدث صوتًا، ففوجئ الولد أن والده أغلق الباب من الداخل بالقفل عقابًا له على أنه أحدث ذلك الصوت، كانت الساعة الرابعة والنصف فجرًا، فعاد الشاب من المسجد

ليظل واقفًا أمام البيت حتى السابعة والنصف صباحًا، ينتظر أن يفتح له والده الباب ليدخل ويستعد للذهاب للمدرسة، وكان وقتها في الثانوية العامة، فقرر ألا يجتهد في المذاكرة حتى لا يحصل على نتيجة تُفرح أسرته، وكان لـه ما أراد، وبالفعل أنهى الثانوية العامة بمجموع 75٪، ووالده- كعادته- أخذ يوبخه على تلك النتيجة، على الرغم من أن أخته كانت قد أنهت الثانوية من عامين بمجموع 70٪ دون أن يلومها أحد.

قام والد الشـاب بإيجاد وظيفة له، وشـعر الشـاب بأن والده يريد أن يتخلص منه، ولكنه مع ذلك التحق بتلك الوظيفة، إلى جانب دراسته في كلية التجارة، فخفف ذلك عنه قليلًا مشاعر الحزن والضيق التي يعيشها، غير أن فكرة أن الله لا يحبه كانت لا تزال تسـيطر عليه؛ مما جعله يدخن السجائر، بل ولجأ لتعاطي الحشيش هروبًا من تلك المشاعر السلبية التي تسيطر عليه، ولما أنهى الشاب دراسته الجامعية بتقدير مقبول؛ لأنه كان لا يزال مُصرًّا على ألا يذاكر، عرضوا عليه في تلك الوظيفة أن يستمر معهم في العمل مقابل ثلاثة أضعـاف المرتب الذي كان يتقاضاه، لكنه رفض؛ لأنه رأى أن ذلك سـيُفرح والده، وهو لا يريد له ذلك، ولأنه كان يرى أن بلـده ليس فيه خير، ولا يمكن لأحد أن يفلح فيه، أو أن يحقق فيه أي إنجاز، حتى عندما تقدم لأخته خاطِب، خرج له بملابس ممزقة؛ حتى لا يشرف أسرته، وليُشعر والده بأنه ليس له أي تعلق بالحياة، وأرسل قصته إلى الدكتور مصطفى محمود ليستشيره ماذا يفعل.

إذا نظـرت في القصة فسـتجد أن الله وإن كان قـد ابتلاه بذلك الأب القاسي، فإنه -تعالى- عوَّضه بأم حنون كانت تأخذ المال من والده خلسة لتعطيه، وعندما أنهى دراسـته فتح الله له بابًا للرزق سريعًا، فكان يمكن أن يكمل معه حياته، ويتزوج، لكنه -مع الأسف- تغافل عن كل ذلك، وحُجب عن استشعار لطف الله به، وعن رؤية الحياة بمنظور أفضل، فإذا وجدت نفسـك تفعل ذلك فاعرف أن البلاء استحوذ عليك، وخطف قلبك من التضرع لرب العالمين.

عواقب سحر البلاء

اولا العجز عن فهم الحكمة الربانية

عندما يشتد البلاء بالعبد يجعله متحيرًا في أمره، فيضيق صدره، وهنا قد يُحجب القلب عن استشعار لطف الله، وفهم حكمته، وإليك قصة تحمل ذلك المعنى، وهي لشاب مستهتر، لا يتحمل المسئولية، وكان عاقًّا لوالديه المريضين، فيخرج ويتركهما لأيام، وذات مرة سافر مع أصحابه على متن سـفينة، وفجأة علت الأمواج، وتكسرت السـفينة، ليجد الشاب نفسه وحيدًا على جزيرة، فاضطر أن يبحث عن طعامٍ يأكله، وبنى لنفسه كوخًا لينام فيه، وأصبح قائمًا بشئون حياته، وفي يوم كان الجو باردًا، فأشعل نارًا ليسـتدفئ بها، وأخذ ينظر إلى البحر، ويتذكر أهله، وكم يفتقدهم، فغلبه النوم، ليستيقظ بعدها ويجد النار قد اشتعلت في الكوخ فالتهمته، فسخط

لذلك، وغضب؛ لماذا يحدث معه كل هذا؟! وفي اليوم التالي جاءت سفينة لترسو على تلك الجزيرة، وأخبروه أنهم رأوا نارًا من بعيد، فعلموا أنه لا بد أن يكون هناك أحياء يعيشون عليها، فأخذوه معهم، وعاد إلى أهله.

لم يدرك هذا الشاب وقت البلاء أن الله كان يربيه ليتحمل المسئولية، وليدرك فضل والديه عليه، وقيمتهما في حياته، ولما اشتد بلاؤه واحترق الكوخ لم يدرك أنه لا بد أن يكون ذلك لحكمة أرادها الله، حتى انكشف له أن ما حدث كان لصالحه، لتنتهي محنته ويعود إلى أهله... «**فمن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره**».

ثانيًا التلذذ بإحساس الضحية

يقول علماء النفس إن الشخص المُبتلى عندما يرى الناس وقد التفوا حوله، وكيف أن القلوب صارت تشفق عليه، قد يدفعه ذلك إلى طلب المزيد من الاهتمام، ولفت الأنظار، فلا تجده يخرج من ابتلاء إلا ويبحث عن آخر، ليتلذذ بشعور الضحية، التي تكالبت عليها الأقدار، فمن مشكلة في المال، إلى مشكلة في العمل، إلى أخرى في الصحة، وهكذا، لا تنفك المشكلات تحيط حياته أبدًا.

ولا شك أن ذلك الشعور يعد نوعًا من اليأس من رحمة الله، ففي كتابه تعالى:

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]

أي ومـــن ييئس من رحمة الله إلا من ضلوا عـــن دين الله، وتركوا رجاء الله؟ وهذا الشـــخص لا يلبث أن ينفضَّ الناس من حوله؛ بسبب نظرته الســـلبية للحياة، ورؤيته لنفســـه أنه ضحية للظروف، فيُحجب قلبه عن رؤية نعم الله، وشكره عليها، جل في علاه.

ثالثًا التعرض لسخط الله

وهذه أشد عاقبة، فأنت إن لم ترضَ بأفعال الله معك، وتشاهد حكمته، وتعرف أنه لطيف بك، ويختار لك الأفضل، فستسخط، يقول ﷺ:

«إِنَّ عِظَـــمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَـــلَاءِ، وَإِنَّ اللـــهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[1].

فالله أعلم بك منك، يقول سبحانه:

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]

والذي أخفى من السر خواطر القلب، فعندما تكون من داخلك تسأل الله لماذا يفعل بك ذلك، وهو تعالى يقول عن نفسه:

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

1 رواه الترمذي، وحسنه.

فهو لا يُسأل عن قضائه في خلقه، وهم يُسألون عن أفعالهم، والنبي ﷺ يقول:

«إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَمْسَكَ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ عِيرٌ[1]»[2].

فلا تعرض نفسك لسخط الله بالعتاب على الله، وكن على يقين من حكمة الله.

علاج سحر البلاء

أولا تعلم بث الشكوى إلى الله

أي إنسان لا بد أن يمر في حياته بفترات بلاء، فهذه سُنَّة الله في خلقه، يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]

أي ليختبركم ويمتحنكم، فيرى كيف تعملون، وينظر -سبحانه وتعالى- أي القلوب يتجه إليه، ويُحسن الظن به، فمهما اشتد البلاء فلا تفقد ثقتك بلطف اللطيف، وتعلم أن تبث شكواك إلى الله، وهذا مقام

1 العير: الحمار الوحشي، وقيل: أراد الجبل الذي في المدينة.

2 رواه أحمد بن حنبل.

الأنبياء، فمن دعائه ﷺ عندما أساء إليه أهل الطائف، ورموه بالحجارة:

«اللهُـمَّ إِنِّي أَشْـكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِـي، وَقِلَّةَ حِيلَتِـي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاس».

فقد تتسـاءل: كيف يحدث ذلك لسيدنا محمد ﷺ؟! ولكنك لا تعرف عمق حكمة رب العالمين، فإذا كان أشرف الخلق سـيدنا محمد قد ابتُلي، فمن الطبيعي أن نمر جميعًا بالبلاء.

وسيدنا يعقوب عليه السلام فقدَ ابنه عشرين عامًا، لكنه لم ييئس قط من رحمة الله، وظل يبُث إليه شكواه، يقول تعالى:

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٥ - ٨٦]

فهو يعلم أن ليس له سـوى الله، يجيب المضطـر إذا دعاه، وهو أرحم به ممن سواه.

ثانيًا اكتشف كنز المحنة

ففي كل محنـة منحة، وعندما تقرأ قصص حيـاة الصالحين في العصر القديم والحديث، تجد أنهم تعرضوا لمحنة البلاء، فكان ذلك سـبب فتح

ونصر لهم، منهم من حفظ القرآن أثناء فترة مرضه، ومنهن من طلقها زوجها ظلمًا لتجد نفسها مضطرة للاعتماد على نفسها وشق طريق العمل وفُتحت عليها أبواب رزق واسعة ما كانت ستتجه إليها لولا طلاقها، وفي أقدار الله -ولو كانت محنًا- ألطاف كثيرة..

فاكتشف الكنز بداخل كل محنة

﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩]

وهذه حكمة عظيمة، إذ قد تكره النفوس أمرًا يبدو في ظاهره شرًّا، لكن عاقبته خير، فبعض القضاء يمكن التوصل إلى معرفة ما فيه من خير عند التفكر والتدبر... وبعضه أخفى الله حكمته فيه، فاحمد الله عليه حمد الراضي بقضائه؛ لليقين في حكمته.

مقام اليقظة

إنه للتابعي الجليل عروة بن الزبير رضي الله عنه الذي خرج لزيارة أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك، واصطحب معه ولده الصغير يحيى، وعندما وصل إلى دار الخلافة شعر بألم شديد في رجله، ورأى الأطباء أنه لا بد من قطعها، فأتاه رجل يعزيه، فظن أنه يقصد ما حلَّ برجله، لكنه أخبره أنه يعزيه في ولده الذي سقط تحت أرجل الدواب، فقطَّعته، فمات، فقال عروة: «**اللهم كانوا سبعة -يقصد أولاده- فأخذتَ واحدًا وأبقيتَ**

ستة، وكنَّ أربعًا -يقصد أطرافه الأربعة- فأخذتَ واحدة وأبقيتَ ثلاثًا، وايمنك لئن كنتَ أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن كنتَ ابتلَيْتَ لقد أعفيتَ».

فمهما يكن لا تنسَ إحسان الله إليك، وفضله عليك، فتعالَ نحيا بهذا القلب الراضي بقضاء الله، الموقن بحكمته، المستسلم لأمره ومشيئته، وإذا مررت ببلاء فكن على يقين بأن الله قريب، فسيدنا موسى عليه السلام عندما سأل الله: يا رب، أين أجدك؟ فقال تعالى: «عند المنكسرة قلوبهم». فاخضع لله، وأبشر بالخير، واجعل كلَّ يوم يمُر بك وأنت في محنة أو ابتلاء؛ خطوة ترتقي بها في علاقتك بالله.

الخلاصة

من هو المسحور بالبلاء؟

هو شخص ساخط على الأقدار، حزين من أفعال الله... وهو بداخله يعتقد أنَّ البلاء هو عقاب من الله لا يستحقه، فيُحجب عن حكمة الله، ويعيش في وادٍ عميق، وحفرة مظلمة من الأفكار السلبية عن المستقبل، وما ينتظره فيه.

علامات سحر البلاء:

- **أولًا:** شهيد الظروف.
- **ثانيًا:** اللجوء للحرام.

عواقب سحر البلاء:

- **أولًا:** العجز عن فهم الحكمة الربانية.
- **ثانيًا:** التلذذ بإحساس الضحية.
- **ثالثًا:** التعرض لسخط الله.

علاج سحر البلاء:

- **أولًا:** تعلم بث الشكوى إلى الله.
- **ثانيًا:** اكتشف كنز المحنة.

كل ما مررنا عليه معًا.. كان حياة مليئة بنعم أحلها الله لنا، جاءت وكانت لنا لنُحسن بها وفيها ومنها؛ لتكون وقودًا لحياة تعين كلًّا منا على أن يُحسن عبادته لرب العالمين..

فيكون قد أدى أمانته في أن يعبد الله كما أمره..

وحتى يشتد عزمه، وتتوسع مداركه، وتزيد همته، وتقوى طاقته ليعبر كل العوائق ويتخطى كل سحر قد يأتي من شيء أحبه..

فلن يكون له معين لذلك غير الجنة (صورة، وعبرة، ووقود، ومحرك) ليسعى إليها، ويصبر بها ويتقوى على نفسه بها.. حينها فقط سيخرج من قلبه.. سحر هذه الدنيا.. لدنيا باقية هنيئة آمنة مستقرة تجبره فيما فقد، وتعوض صبره على ما مضى..

فكيف تكون تلك الجنة التي بها يخلص الإنسان من سحر هذه الدنيا؟

الجنة

متاع الدنيا واقع مشـــهود، ونعيم الجنة غائب موعود، ولكي تســـتطيع أن تحيا الواقع المشـــهود، دون أن تُسحر به، يجب أن تتعلق بشدة بالغائب الموعود؛ حتى تترك لذة مُحرمة مُزينة، مهما انغمس فيها الكثيرون، وحثُّوك عـــلى فعلها، يجب أن يكون القلب متعلّقًـــا بموعود رب العالمين؛ بالجنة، ومن هنا ينبغي أن تتصور حديث سيدنا محمد ﷺ عنها، أمرًا واقعًا وليس غيبًا... فهيا لنعيش في الجنة، مع أناس لم تســـحرهم الدنيا، فاســـتمتعوا بالمباح فيها، دون أن تُخطف قلوبهم، وتصبح مركزية حياتهم، فتُنســـيهم الغائب الموعود، فمتاع الدنيا مشـــوب بالكدر، وأي متعة يجب أن يكون بها منغصات، وهذه طبيعة الدنيا، قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]

فـــما من متعة إلا ولها ثمن، أما الآخرة فهي متاع مُطلق، لا يوجد بها أي مسئوليات أو تبعات أو نكد، بل هي لذة فقط.

يوم القيامة يذهب العباد لله وهم ثلاثة أصناف

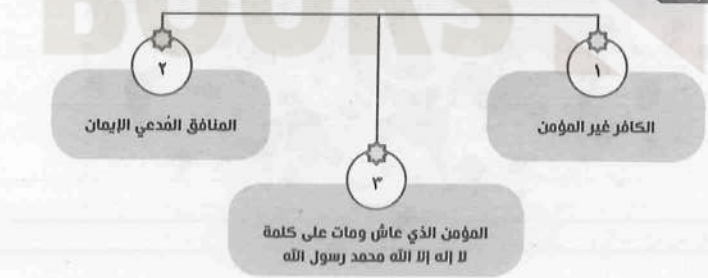

١ الكافر غير المؤمن

تُدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، فيقف كل كافر وراء ما كان يعبده، سواء من البشر أو الحجر أو الحيوانات، ويبعد عن أرض المحشر، ويُحجب عن رب العالمين.

٢ المنافق المُدعي الإيمان

يُضرب بينهم وبين المؤمنين بسور، قال تعالى:

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [الحديد: ١٣- ١٤]

فسحر الدنيا عُرض على الناس، فاختار البعض المتعة المُباحة، واختار آخرون المتعة الساحرة، فأظهروا الإيمان وأبطنوا إنكار حق الله، دون مبالاة برضا الله، فانضم المنافقون لحزب الخاسرين، عاشوا محجوبين عن الله بسحر الدنيا، فحُجب عنهم في الآخرة، قال تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [المطففين: ١٥-١٦].

٣ المؤمن الذي عاش ومات على كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله

هم حزب الله، قال تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

نعم.. يخطـئ ويصيب، يطيع ويعصي، لكنه يريـد الله، ويدمن التوبة، ويحرص عـلى ألا يظلم أو يؤذي أحدًا.. يقف المؤمنـون بعدما تجاوزوا الصراط على قنطرة، والقنطرة هي مساحة بين الصراط وبين الجنة، فيأخذ كلٌّ منهم حقه من أخيه؛ حتى يدخلوا الجنة بصدور سليمة، ويعيشوا معًا إخوانًا متحابين، قال تعالى:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وللجنـة ثمانية أبـواب، بين الباب والآخـر أربعون عامًـا، ليس بها مسـئوليات، ولا أمراض، ولا مشـكلات، ولا خـوف، ولا قلق، ولا خلافات، ولك أن تتخيل ما بها من ملذات، قال تعالى:

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]

فكل نبي يأتي رئيسًا لأمته، ويأتي على رأس الوفود أجمع سيدنا محمد ﷺ:

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

يتقدم النبي ﷺ ليمسك حِلق الجنة بيديه ليطرق الباب، فيسأله الملك رضوان الذي يعرف أنه غير مسموح له بفتح باب الجنة إلا لواحد فقط، فيسأله: من أنت؟ فيقول النبي ﷺ: أنا محمد -انظر لتواضع النبي الذي قال اسمه دون ألقاب- فيقول المَلَك: بك أُمرت ألا أفتح إلا لك. فيدخل النبي من باب الجنة وكل أبواب الجنة عليها زحام، فهذا باب الصيام لمن صام إيمانًا واحتسابًا، وباب الجهاد لمن أفنوا حياتهم لإعلاء كلمة الحق، وباب الصلاة للذين يسارعون إليها عند سماع الأذان مباشرة، ولا ينشغلون بما سواها، قال الله تعالى عنها:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

أزهى وأبهى ما في الجنة أن رسول الله ﷺ هو من فتحها، وها هي أبواب الجنة تُفتح، فتهل رياحها، الجنة السلعة التي كانت نصب عينيك لتصرفك عن كل ما حُرّم عليك في الدنيا، حتى وإن أنكر الناس عليك ذلك

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]

والمؤمن الذي ترك المعصية تذكر قول الله تعالى:

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ [النحل: ٩٦]

الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]

واسأل نفسك ما أول شيء ستفعله عند دخولك الجنة، هناك من يقول إنه سيقفز فرحًا، وآخر يقول إنه سيسجد شكرًا لله الذي أدخله الجنة برحمته رغم تقصيره وذنوبه، وثالث يقول: سأسترخي وألتقط أنفاسي من عناء الدنيا الطويل، سُئل أحمد بن حنبل: متى الراحة؟ قال: عند أول قدم في الجنة.

قال تعالى عن اللحظات الأولى لدخول المؤمنين الجنة:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]

مبارك دخولك الجنة، وقد ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن هناك نهرًا، يشرب منه العبد، فيذهب عنه الأذى، ولا يحتاج بعدها لقضاء

حاجته كما كان في الدنيا، ونهر آخر يشرب منه فيظهر عليه سمة أهل النعيم،

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]

فإذا سار العبد في الجنة تستقبله الوِلدان؛ أي الأطفال، الذين يأخذون بيديك لبيتك الذي تعرف مكانه جيدًا، قال تعالى:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦].

في الجنة أنت لست وحيدًا، أنت مع والديك اللذين تفرقا عنك في الدنيا، مع جدك وجدتك، مع أولادك، العائلة كلها في الجنة، قال تعالى:

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]

فالصبر على اجتناب المتع الحرام كالجهاد في سبيل الله، ونعم عقبى الدار تعني أن الجنة أغلى هدية يمكن أن يظفر بها إنسان، قال ﷺ عن بيوت المؤمنين:

«إِنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لؤلؤة مُجَوَّفَة، عَرْضُهَا ستُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِين، يَطُوفُ عَلَيْهِم المُؤمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِما، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذا، آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْن

أن يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[1].

في إحدى ليالي رمضان وبينما كان الإمام يقرأ قوله تعالى في سورة الرحمن:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦-٥٢]

حضرتني خاطرة وهي أن الله يشوقنا لجنته، كالشخص الذي يدعوك إلى ضيافته -ولله المثل الأعلى- وأنت تعلم أنه سيستقبلك بكل حب ومودة، وسيقوم بواجب الضيافة معك على أكمل وجه، كل هذا من أجلك أنت.

وصلتَ للجنة، فحمدًا لله على سلامتك، وصلتَ لقصرك، وحوله الأنهار، نهر من لبن، وآخر من عسل مُصفًّى، نهر من ماء غير آسن، وآخر من خمر لذة للشاربين، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٧]

ذلك لأنك بعت نفسك لله، وخضعت لأوامره، ولم تُسحر بالدنيا، بل

1 رواه البخاري.

فارقتها على لا إله إلا الله محمد رسول الله، فأنتَ عبد الله، وأنتِ أَمَةُ الله، كلاكما يستحق أن يكون من أهل الجنة؛ لأنه جاهد نفسه، وفاق حب رسول الله ﷺ في قلبه كل حب، فتحمل من أجل ذلك إحساس الغربة، بل ربما صار عاشقًا له، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال:

أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابنُ عُمرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ[1].

فالدنيا ليست دارنا الأبدية، نعمرها بل نحبها لأنها اختيار الله، لكن لا نرضى بها فقط، بل عيوننا على الجنة، إنها بلد الأفراح، كما وصفها ابن القيم في كتابه[2].

الجنة لا شمسَ بها، ولا برد، قال تعالى:

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]

ونورها عرش الرحمن، قال تعالى:

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]

1 رواه البخاري، وأحمد، وابن ماجه، والترمذي.

2 بلد الأفراح: كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» للإمام ابن قيم الجوزية يتكون من سبعين بابًا، يأخذ المؤلف من خلالها القارئ في رحلة حقيقية إلى الجنة.

وكل عبد في الجنة يأخذ ما تشتهيه نفسه، وهذا لأقل أهل الجنة منزلة، والعبد إذ يجلس مع الحور العين، يظهر له نور، فيلتفت فإذا به نور زوجته، التي كانت معه في الدنيا، يهنأ كلاكما بالآخر، في سعادة أبدية متجددة، لا يشوبها الفتور، ولا يكدر صفوها أي خلافات أو منغِّصات.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يقُولُ لِأهْلِ الجَنَّةِ: يَا أهْلَ الجَنَّة. فَيَقُولُونَ: لبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ والخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِنْ خَلقِكَ. فيَقُولُ: ألا أُعْطِيكُمْ أفضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فيَقُولُونَ: يَا رَب وأيُّ شيءٍ أفضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوانِي فلا أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَدًا»[1]

ثم يُؤتى بالموت في هيئة كبش، يُذبح، فلا موت بعد ذلك، وهم فيها خالدون، ثم يُنادى عليهم لأحلى لحظة يحلم بها عباد الرحمن، حين يدعوهم -جل في علاه- لرؤيته، فهيّا إلى زيارة الرحمن.

أنت تحب الله في الدنيا لعظيم نعمه وإحسانه، فما بالك إذا دخلت الجنة، فكيف سيكون حبك له، وشعورك بفضله عليك، ورحمته بك؟ روي في الأثر المشهور:

1 رواه مسلم «2829».

«يَقُولُ اللهُ لِعِبَادِهِ فِي الجَنَّة: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَيَنْظُر كُلُّ العِبَادِ للهِ -جلَّ في عُلاهُ- وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ. فيتجلَّى لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَضْحَكُ إِلَيْهِم وَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّة، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يَسْمَعُونَ مِنْهُ تَعَالَى: أَيْنَ عِبَادِيَ الَّذِينَ أَطَاعُونِي بِالغَيْبِ وَلَمْ يَرَوْنِي، وَصَدَّقُوا رُسُلِي، وَاتَّبَعُوا أَمْرِي؟ فَهَذا يَوْمُ المَزِيدِ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: قَدْ رَضِينَا فَارْضَ عَنَّا. فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، إِنِّي لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ مَا أَسْكَنتُكُمْ جَنَّتِي، هَذَا يَوْمُ المَزِيدِ فَاسْألوني. فَيَجْتَمِعُونَ عَلى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: أَرِنَا وَجْهَكَ نَنظُرْ إِلَيهِ. فَيَكْشِفُ لَهُمْ رَبُّ العِزَّةِ والجَلَالَةِ الحُجُبَ، ويَتَجلَّى لَهُمْ، فَيَغْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ، وَلَوْلا أَنَّ اللهَ قَضَى أَلَّا يَحْتَرِقُوا لاحْتَرَقُوا».

إنها لذة ما بعدها لذة، ومتعة تفوق دخول الجنة نفسه، وقد تسأل نفسك: وكيف ذلك؟.... وأنت في الدنيا تجاهد لتتخلص من سحرها، وتنتقل بين المراتب، من مرتبة العائد، لمرتبة المريد، ثم مرتبة المجاهد، حتى تصل لمرتبة المُحب، فتشعر وقتها أن كل ما تتمناه هو أن ترى من أحببت، ترى الله العظيم -جل في علاه- ليس بينك وبينه حجاب.

وعندما يعود أهل الجنة من رؤية الخالق، ترى في وجوههم نضرة النعيم، قال تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]

ولك كل ما تشتهي نفسك، بل وما لم يخطر على قلبك، هذا النعيم يستحق منك أن تترك الذنوب، التي كانت حجابًا بينك وبين الله، فتئوب إليه، ولا تُريد إلا ما يُريد -جلَّ في علاه- فتُصبح في مرتبة العودة، ثم تجاهد نفسك في مواجهة العقبات، فتترك ما تهوى من أجل من تخشى؛ لتكون في مرتبة المجاهد، حتى يصطفيك لمرتبة المحبة، مرتبة «شوقاه لمن يراني ولا أراه!»، وتذكر قول الله تعالى:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]

هيا نجدد البيعة، بيعة «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»، عش في الدنيا مع الله، واستمتع بنعمه عليك، فالله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ولكن دون نسيان حق الله في تلك النعم، فلا تعصِه بها، ولو أصابتك غفلة فعُدْ إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله ﷺ؛ فالتمس في رحابها شفاءً لصدرك، ونورًا لدربك.

اللهم احفظنا من سحر الدنيا، واجعلنا من الشاكرين الذاكرين، إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

فهرس

إهداء 5
ما هي سلسلة بناء العبد الرباني؟ 7
التعامل مع الدنيا.. كيف؟! 8
النفس والشيطان 21
مقامات اليقظة 35
سحر الحُب 47
سحر المال 61
سحر الفن 75
سحر الشراء والاقتناء 89
سحر العمل والنجاح 105
سحر النساء 117
سحر المصلحة 129
سحر الحرية 145
سحر الوسطية 157
سحر النوم والراحة 173
سحر المظاهر والشهرة 191
سحر العقل 207
سحر السلطة والجاه 225
سحر الضحك والمزاح 239
سحر التوكل 255
سحر الغضب 269
سحر الصحبة 285
سحر إرضاء الناس 301
سحر الانتماء 317
سحر الإمكانيات والمواهب 333
سحر الإنترنت 349
سحر البلاء 363
الجنة 379